□ علو الهِمّة في الجهاد □

مع أن اللهَ مَلِكَ الملوك ، وخلْقه عبيدٌ ، وهو سبحانه يفعل في ملكه ما يريد ، مع هذا اشترى من المؤمنين نفوسهم لنفاستها لديه ، إحسانًا منه وفضلًا ، ورقم ذلك العقد الكريم في كتابه الحكيم ، فهو يُقرأ أبدًا بألسنتهم ويُتلى : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يُقاتلون في سبيل الله فَيَقْتُلون ويُقتلون وعدًا عليه حقًّا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** ﴾ . [التوبة : ١١١] فجعل سبحانه هاهنا الجنة ثمنًا لنفوس المؤمنين وأموالهم ، وأتى بالتوكيد لذلك ، وأضاف الجليلُ هذا العقد إلى نفسه سبحانه ، وأنه هو الذي اشترى هذا المبيع ، ووعدَ بتسليم هذا الثمن وعدًا لا يُخلفه ولا يتركه ، وجعل محلَّ هذا الوعد أفضل كُتُبه المنزلة من السماء ، ولا أحد أوفى من الله ، وأمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ، ويبشّر به بعضهم بعضًا ، وأخبرهم إخبارًا مؤكّدًا بأن ذلك البيع الذي بايعوه به هو الفوز العظيم ، والبيع هاهنا بمعنى المبيع الذي أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة .

والجهاد في سبيل الله أغلى التّجارات مع ملك الملوك ، الذي خزائن جوده لا يغيضها الإنفاق ، قال تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الذين آمنوا هل أَدُلُّكم على تجارةٍ تُنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويُدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم** ﴾ [الصف : ١٠ - ١٢] .

أفلا عاقل يعلم أن الجنة تحت ظلال السيوف ، وأن الرّيّ الأعظم في شرب كؤوس الحتوف ، وأن من اغبرّتْ قدماه في سبيل الله ، حرّمه الله

على النار ، ومن أنفق دينارًا ، كُتب له بسبعمائة دينار ، وأن الشهداء حقًّا عند الله من الأحياء ، وأن أرواحهم في جوف طيرٍ خُضرٍ تتبوّأ من الجنة حيث تشاء ، وأنه لا يحسُّ ألم القتل إلَّا كمسِّ القرْصة ، وكم للموت على الفراش من سكْرة وغصّة ، فهذا فضلٌ لا يُضاهَىٰ ، وخيرٌ لا يتناهى ، فهل من متعرِّضٍ لهذه الرُّتب وإن كان نيلُها مقسومًا ، وصرف عمره في طلبها وإن كان منها محرومًا ، ومشمِّر للجهاد عن ساق الاجتهاد ، هل من نفير إلى ذوي العناد من كل العباد،وتجهيز الجيوش والسّرايا ، وبذْل الصِّلات والعطايا ، وإقراض الأموال لمن يضاعفها ويزكّيها ، ودفع سلع النفوس من غير مُماطلة لمشتريها ، وأن ننفر في سبيل الله خِفافًا وثِقالًا ، ونتوجّه لجهاد أعداء الله رُكبانًا ورجالًا ، وأن نجرّ الخميس القمقام[1] إلى أولياء إبليس اللئام ، حتى يخرجوا إلى الإسلام من أديانهم ، ويُعطوا الجزية صغرةً بأيمانهم ، أو نستلب نفوسهم من أبدانهم ، ونجتذب رؤوسهم من تيجانهم ، فجموع ذوي الإلحاد مكسَّرة ، وجيوش أُولي العناد مُدبرة مُدمَّرة ، وعزمات رجال الضلال مؤنثة مصغّرة ، أفلا نطير إليهم زرافاتٍ ووحدانًا ، ونُغير عليهم رجالًا وفرسانًا ، ونُخاطر بالنفوس والمُهَج ، ونركب قفر البرِّ وَثَبَجَ البحر لنيل الدّرج ، أفلا يبيت كلٌّ منّا وسلاحه له ضجيعًا ، ويُصبح معترك الحروب للمسلمين ربيعًا ، وحَرّ الوطيس لهم غَيْثًا مَرِيعًا[2].

أفلا نُبيد بأيدي الجلاد حُماة الشرك وأنصاره ، ونصول بنُصُول الحداد على دُعاة الكفار لنهتك أستاره ، ونتطهّر بدماء المشركين والكفار من أرجاس الذنوب وأنجاس الأوزار .

---

(١) القمقام : العدد الكثير .

(٢) المريع : الخصب .

ألا من أيامٍ تعود ، يلمع البِيض البواتِر في ظُلُمات نَقْعٍ كالدَّياجِر ، وجريان الدم الزّاخِر من الحناجر بالخناجر ، هُنالك تفتح من الجنة أبوابها ، وترتفع فرشها ، وتوضع أكوابها ، وتبرز الحور العين عروبها وأترابها ، هنالك يقوم للجهاد خُطّابها ، يضربون فوق الأعناق ، ويستعذبون من المنيّة مُرّ المذاق ، ويبيعون الحياة الفانية بالعيش الباق ، يردون مورد الشهادة منهلًا لن يظمئوا بعده أبدا ، تربح تجارتهم وهم أسعد السعداء .

يا رجال الله ، أتُقفَل أبواب الجهاد فلا تُطرق ! وتُهمَل أسبابه فلا تُرمق ! وتُصفَن خيوله فلا تركُض ! وتصمت طبولُه فلا تنبض ! وتربض أُسوده فلا تنهض ! أتمتدّ أيدي الكفرة الأذِلّاء إلى المسلمين فلا تُقبض ! أتُغمد السيوف من أعداء الدِّين ، إخلادًا إلى حضيض الدَّعَة والأمان ! ويخرس لسان النَّفِير إليهم فصاح نفيرهم في أهل الإيمان !

آمَتْ عروس الشهادة إذ عدمت الخاطِبين ، وأمات الناس الجهاد كأنهم ليسوا به مُخاطَبين ، فلا نجد إلّا من طوى بساطَ نشاطه عنه ، أو اثّاقل إلى نعيم الدنيا الزّائل رغبةً منه ، أو تركه جزعًا من القتْل وهَلَعًا ، أو أعرض عنه شُحًّا على الإنفاق وطمعا ، أو جَهِلَ ما فيه من الثواب الجزيل ، أو رضي بالحياة الدنيا من الآخرة ، وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل .

أفلا يقظة للهِمَم الرُّقَّد ! أفلا نهضة للعزم المُقْعَد !

أيهوي نجم الجهاد بعد أن كان مُشرقًا سَنِيًّا ، وينمحي رَسْمُه واسمه كأن لم يكُن له من قبل سَمِيًّا ؟!

﴿ يَـٰأَيُّهَا الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل إلا تنفروا يعذبكم عذابًا أليمًا ويستبدل قومًا غيركم ولا تضروه

شيئًا والله على كل شيءٍ قدير ﴾ [التوبة : ٣٨ - ٣٩] .

إن النَّفْرة للجهاد في سبيل الله انطلاق من قيد الأرض ، وارتفاع من ثقلة اللحم والدم ، وتحقيقٌ للمعنى العلوي في الإنسان ، وتغليبٌ لعنصر الشوق المجنح في كيانه على عنصر القيد والضرورة .

بالجهاد الذي فيه المشَقَّة والعناء ، يذهب الهمّ والغمّ ، ولكنّها الشقّة البعيدة التي تتناحر دونها الهمم السّاقِطة ، والعزائم الضعيفة ، ولكنّه الجهد الخطر الذي تجزع منه الأرواح الهزيلة المنخوبة ، ولكنّه الأُفق العالي الذي تتخاذل دونه النفوس الصغيرة والبِنْية المهزولة .

كثيرٌ هم أولئك الذين يتهاوون في الطريق الصاعد إلى الآفاق الكريمة ، إنهم ليعيشون على حاشية الحياة ، وإن خُيِّل إليهم أنهم بلغوا منافع ونالوا مطالب ، واجتنبوا أداء الثمن الغالي ، فالثمن القليل لا يشتري سوى التّافه الرخيص .

قال تعالى : ﴿ **ولا تقولوا لمن يُقْتَل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون** ﴾ [البقرة : ١٥٤] .

وقال تعالى : ﴿ **ولا تحسبنّ الذين قُتِلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياءٌ عند ربِّهم يُرزَقُون** ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

أخي : إن كنت عالي الهِمّة ، فلا ريب أن هٰذِهِ الأحاديث لها وقْع أيّ وقع في نفسك .. تحدو بها ليلَ نهار ، علَّك ترى خَفْق البُنُود وصهيل الخيل في الوَغَى .

قال رسول الله ﷺ : « أفْضَل الناس مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله ، ثم مؤمن في شِعْبٍ من الشِّعاب يتَّقي الله وَيَدَع الناس من شرِّه »[1] .

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه عن أبي هريرة .

وقال ﷺ : « أفضل العمل الصلاة لوقتها ، والجهاد في سبيل الله »[١] .

ويكفي الجهاد فضلًا تَمَنِّي الرسول ﷺ ألَّا يقعُد خلف سريّةٍ ، ويكفي الشهادةَ فخرًا تمنّي رسول الله ﷺ لها .

قال رسول الله ﷺ : « انْتَدَبَ الله لمن خرج في سبيله ، لا يُخرجه إلا إيمانٌ بي ، وتصديقٌ برسلي ، أن أرجعه بما نال من أجرٍ أو غنيمة ، أو أُدخله الجنة ، ولولا أن أشُـقّ على أُمتي ، ما قعـدتُ خلفَ سـريّة ، ولَوَدِدْتُ أن أُقتل في سبيل الله ، ثم أحيا ثم أُقتل ، ثم أحيا ثم أُقتل »[٢] .

ولما تمنى سليمان عليه السلام كثْرة الأولاد ؛ ليكونوا فرسانًا يجاهدون في سبيل الله .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « قال سليمان بن داود : لأطُوفنَّ الليلة على سبعين امرأة ، تحمل كُلُّ امرأةٍ فارسًا يُجاهد في سبيل الله . فقال له صاحبُه : إن شاء الله . فلم يقُل ، ولم تحمل شيئًا ، إلّا واحدًا ساقطًا أحَدُ شِقَّيْه » فقال النبي ﷺ : « لو قالها لجاهدوا في سبيل الله » . رواه البخاري ومسلم .

قال شعيب وابن أبي الزِّناد : « تِسْعِين » . وهو أصحُّ .

وقال ﷺ : « إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف »[٣] .

---

(١) صحيح . رواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١١٢٣) . وعند البخاري ومسلم : « ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله » .

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم ، والنسائي عن أبي هريرة .

(٣) رواه أحمد ومسلم ، والترمذي عن أبي موسى .

وقال ﷺ : « إن سياحة أُمتي الجهاد في سبيل الله »[١].

وقال رسول الله ﷺ لأبي ذرّ : « أُوصيك بتقوى الله تعالى ، فإنه رأس كل شيءٍ ، وعليك بالجهاد ، فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكْر الله تعالى ، وتلاوة القرآن ، فإنه رَوْحُكَ في السماء وَذِكْرك في الأرض »[٢].

وقال رسول الله ﷺ : « أيّما مسلم رمى بسهمٍ في سبيل الله ، فبلغ مخطئًا أو مُصيبًا ، فله من الأجر كرقبةٍ أعْتَقَهَا من ولد إسماعيل ... »[٣].

وقال ﷺ : « تكفَّل الله لمن جاهد في سبيله ، لا يُخرجه من بيته إلا الجهادُ في سبيله ، وتصديق كلماته ، بأن يُدخله الجنة ، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمةٍ »[٤].

وقال رسول الله ﷺ : « ثلاثة كلّهم ضَامِنٌ على الله : رجلٌ خرج غازيًا في سبيل الله ، فهو ضامن على الله حتى يتوفَّاه ، فيُدخله الجنة أو يُردّه بما نال من أجرٍ أو غنيمةٍ ... »[٥].

---

(١) صحيح . أخرجه أبو داود ، والحاكم في المستدرك وصححه ، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي أُمامة ، وأخرجه ابن عساكر وابن المبارك عن سعد بن مسعود الكِنْدي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٠٩٣) .

(٢) حسن . رواه أحمد عن أبي سعيد ، وحسّنه الألباني في الصحيحة رقم (٥٥٥) وصحيح الجامع رقم (٢٥٤٣) .

(٣) صحيح . رواه الطبراني في الكبير عن عمرو بن عبسة ، وأحمد في مسنده ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٧٣٩) والصحيحة رقم (١٧٥٦) .

(٤) رواه البخاري ومسلم ، والنسائي عن أبي هريرة .

(٥) صحيح . رواه أبو داود ، وابن حبان ، والحاكم وصححه عن أبي أُمامة ، وصححه الألباني في تخريج المشكاة (٧٢٧) وصحيح الجامع رقم (٣٠٥٣) .

وقال ﷺ: « ثلاثة في ضمان الله عز وجل : رجل خرج إلى مسجدٍ من مساجد الله عز وجلّ ، ورجل خرج غازيًا في سبيل الله تعالى ، ورجل خرج حاجًّا »[(١)].

وقال رسول الله ﷺ : « عليكم بالجهاد في سبيل الله ، فإنه بابٌ من أبواب الجنة ، يُذهِب الله به الهمَّ والغمَّ »[(٢)].

وقال رسول الله ﷺ : « الرَّوْحة والغَدْوة في سبيل الله ، أفضل من الدنيا وما فيها »[(٣)].

وقال رسول الله ﷺ : « غَدْوَة في سبيل الله أو رَوْحَة ، خيرٌ مما طلعتْ عليه الشمسُ وغربتْ »[(٤)].

وقال رسول الله ﷺ : « قيام ساعةٍ في الصَّفِّ للقتال في سبيل الله ، خيرٌ من قيام ستين سنة »[(٥)].

وقال رسول الله ﷺ : « موقفُ ساعةٍ في سبيل الله ، خيرٌ من قيامِ ليلة القَدْر عند الحجر ....

---

(١) صحيح . رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٠٥١) والصحيحة رقم (٥٩٨) .

(٢) صحيح . رواه الطبراني في الأوسط عن أبي أُمامة ، وأحمد والحاكم والهيثم ، وابن بشران والضياء عن عبادة ، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٩٤١) وصحيح الجامع (٤٠٦٣) .

(٣) رواه البخاري ومسلم والنسائي عن أبي سعيد .

(٤) رواه أحمد ومسلم والنسائي عن أبي أيوب .

(٥) صحيح . أخرجه ابن عدي وابن عساكر عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٤٢٩) .

الأسود »[١].

وقال ﷺ في حديث معاذ : « وَذِرْوَة سَنَامِهِ : الجهاد » .

وقال رسول الله ﷺ : « ما اغبرَّتْ قدما عبدٍ في سبيل الله ، إلَّا حرَّم الله عليه النار »[٢].

وقال رسول الله ﷺ : « مَثَلُ المجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يُجاهد في سبيله - كمثل الصائم الدائم ، الذي لا يفتُر من صيامٍ ولا صدقةٍ ، حتى يرجع ، وتوكَّل الله للمجاهد في سبيله إنْ توفَّاه أن يُدخله الجنة ، أو يرجعه سالمًا مع أجرٍ أو غنيمة »[٣].

وقال ﷺ : « مثل المجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد في سبيله - كمثل الصائم القائم الخاشع الرّاكع الساجد »[٤].

وقال ﷺ : « ما خالط قلبَ امرئ مسلم رَهْجٌ في سبيل الله ، إلَّا حرّم الله عليه النار »[٥].

---

(١) صحيح . رواه ابن حبان ، والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٦٣٦) .

(٢) صحيح . رواه الشيرازي في الألقاب عن عثمان ، والبخاري والترمذي والنسائي ، وأحمد عن عبد الرحمن بن جبر ، وأحمد والدارمي عن مالك بن عبد الله ، والطيالسي وأحمد عن جابر .

(٣) رواه البخاري ، ومسلم ، والنسائي والترمذي عن أبي هريرة .

(٤) صحيح . رواه النسائي عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٨٥٠) .

(٥) صحيح . رواه أحمد عن عائشة ، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢٢٧) وصحيح الجامع رقم (٥٦١٦) .
والرهج : الغُبار .

وقال ﷺ : « من راح رَوْحَة في سبيل الله ، كان له بمثْل ما أصابه من الغُبار مسْكًا يوم القيامة »[١].

وقال ﷺ : « من قاتل في سبيل الله فُواق ناقةٍ ، فقد وجبتْ له الجنة ، ومن سأل القتْل في سبيل الله من نفسه صادقًا ، ثم مات ، أو قُتل ، فإنّ له أجر شهيدٍ ، ومن جُرح جرحًا في سبيل الله ، أو نُكب نَكْبَةً ، فإنها تجيء يوم القيامة كأغْزَر ما كانت ، لونها لون الزَّعْفَران ، وريحها ريح المسك ، ومن خرج به خُرَّاج في سبيل الله ، كان عليه طابع الشهداء »[٢].

وقال ﷺ : « والذي نفسي بيده ، لو أن رجالًا من المؤمنين لا تطيب أنفسُهم أن يتخلَّفوا عني ، ولا أجد ما أحْمِلُهم عليه ، ما تخلَّفتُ عن سريّةٍ تغزو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده ، لوددتُ أني أُقتل في سبيل الله ثم أحيا ، ثم أُقتل ثم أحيا ، ثم أُقتل ثم أحيا ، ثم أُقتل »[٣].

وقال ﷺ : « لا تفعل ، فإن مقام أحدكم في سبيل الله ، أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا ، أَلَا تُحِبُّون أن يغفر الله لكم ويُدخلكم الجنة ؟ اغْزُوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فُواق ناقةٍ ، وجبتْ له الجنة »[٤].

وقال رسول الله ﷺ : « يا أبا سعيد ، من رضي بالله ربًّا ، وبالإسلام

---

(١) حسن . رواه ابن ماجه والضياء عن أنس ، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٢٣٣٨) وصحيح الجامع رقم (٦٢٦٠) .

(٢) رواه أحمد ، وأبو داود والترمذي والنسائي ، وابن حبان عن معاذ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٤١٦) .

(٣) رواه أحمد والبخاري ومسلم ، والنسائي عن أبي هريرة .

(٤) حسن . رواه الترمذي ، والحاكم عن أبي هريرة ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٣٧٩) وتخريج المشكاة (٣٨٣٠) .

دِينًا ، وبمحمدٍ نبيًّا ، وجبْت له الجنة . وأُخرى يُرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ، ما بين كلِّ درجتين كما بين السماء والأرض ؛ الجهاد في سبيل الله ، الجهاد في سبيل الله »[1].

قال تعالى : ﴿ **أجعلتم سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يَهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يُبشِّرهم ربهم برحمةٍ منه ورضوانٍ وجنّاتٍ لهم فيها نعيمٌ مقيمٌ خالدين فيها أبدًا إن الله عنده أجرٌ عظيمٌ** ﴾ [التوبة : ١٩ - ٢٢] .

وقال ﷺ : « إن أرواح الشهداء في جوف طيرٍ خُضرٍ ، لها قناديلُ معلَّقةٌ تحت العرش ، تسرح من الجنة حيث شاءتْ ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطَّلع إليهم ربُّهم اطِّلاعة فقال : هل تشتهون شيئًا ؟ قالوا : أيّ شيءٍ نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ فيفعل ذلك بهم ثلاث مراتٍ ، فلمّا رأوْا أنهم لم يُتركوا من أن يُسألوا ، قالوا : يا ربّ ، نريد أن تردّ أرواحنا في أجسادنا ، حتى نرجع إلى الدنيا فنُقتل في سبيلك مرةً أُخرى . فلمَّا رأى أنْ ليس لهم حاجة تُركوا »[2].

وقال ﷺ : « للشهيد عند الله سبع خصال : يُغفر له في أوّل دَفْعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويُحَلَّى حُلَّة الإيمان ، ويُزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويُجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفَزَع الأكبر ، ويُوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتةُ منه خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ويشفع

---

(١) رواه أحمد ، ومسلم ، والنسائي عن أبي سعيد .
(٢) رواه مسلم والترمذي عن ابن مسعود .

في سبعين إنسانًا من أهل بيته »[١].

وقال ﷺ : « ما من مكلومٍ يُكْلَم في سبيل الله ، إلّا جاء يوم القيامة وكَلْمُه يَدْمَى ، اللّونُ لونُ الدمِ ، والرِّيح ريح المسك »[٢].

وقال ﷺ : « من سأل الله الشهادة بِصِدْقٍ ، بَلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه »[٣].

وقال ﷺ : « يُؤْتى بالرجل يوم القيامة من أهل الجنة ، فيقول له : يا ابن آدم ، كيف وجدت منزلك ؟ فيقول : أيْ ربّ ، خير منزلٍ . فيقول : سَلْ وتَمَنَّ . فيقول : يا ربّ ، ما أسأل ولا أتمنّى إلا أن تَرُدَّني إلى الدنيا ، فأُقتل في سبيلك عشر مرارٍ . لما يرى من فَضْلِ الشهادة ... »[٤].

وقال رسول الله ﷺ : « يضحك الله إلى رَجُلَيْن قتلَ أحدُهما الآخَرَ ، يدخُلان الجنة ، يُقاتل هذا في سبيل الله فيُقْتَل ، ثم يتوب الله على القاتِل فيُسلِم ، فيُقاتِل في سبيل الله فَيُستَشْهَد »[٥]. وإنا لنرجو أن يكون عكاشة بن محصن وطليحة الأسدي من هؤلاء .

وقال ﷺ : « يُغفر للشهيد كل ذنبٍ إلّا الدَّيْن »[٦].

---

(١) صحيح . رواه أحمد ، والترمذي ، وابن ماجه عن المقدام بن معدي كرب ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥١٨٢) وأحكام الجنائز (٣٥ - ٣٦) .

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة .

(٣) رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه عن سهل بن حنيف .

(٤) رواه أحمد ومسلم والنسائي عن أنس .

(٥) رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة .

(٦) رواه أحمد ومسلم عن ابن عمرو .

وقال ﷺ : « لما أُصيب إخوانكم بأُحد ، جعل الله أرواحهم في جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أنهار الجنة ، تأكُل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديلَ من ذهبٍ ، معلّقة في ظِلّ العرش ، فلمّا وجدوا طِيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم ، قالوا : مَنْ يُبَلِّغُ عنّا أنّا أحياء في الجنة نُرزق ؛ لئلّا يزهدوا في الجهاد ، ولا يتَّكِلُوا عند الحرب ؟ فقال الله تعالى : أنا أُبلِّغهم عنكم »[1].

وقال رسول الله ﷺ : « عَجِب ربُّنا من رَجُلٍ غزا في سبيل الله ، فانهزم أصحابُه ، فَعَلِمَ ما عليه ، فرجع حتى أُهريق دمُه ، فيقول الله عز وجل لملائكته : انظروا إلى عبدي ، رجع رغبةً فيما عندي ، وشفقةً مما عندي ، حتى أُهريق دمه »[2].

وقال ﷺ : « عينان لا تَرَيَانِ النار : عينٌ بَكَتْ وَجَلًا من خشية الله ، وعين باتتْ تَكْلأُ في سبيل الله »[3].

وَبَيّنَ ﷺ أن الشهيد لا يُفتن في قبره فقال : « كفى ببارِقَةِ السيوف على رأسه فتنة »[4].

وقال رسول الله ﷺ : « « رِبَاطُ شهرٍ خير من صيامِ دهرٍ ، ومن

(١) صحيح . رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن عباس ، وصححه الحاكم ، والألباني في صحيح الجامع رقم (٥٢٠٥) .

(٢) صحيح . رواه أبو داود عن ابن مسعود ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٩٨١) .

(٣) صحيح . رواه الطبراني في الأوسط عن أنس ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤١١١) .

(٤) صحيح . رواه النسائي عن رجل ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٤٨٣) .

مات مُرابطًا في سبيل الله أَمِنَ من الفزع الأكبر ، وغُدِي[١] عليه برزقه ، وَرِيحَ[٢] من الجنة ، ويُجرى عليه أجر المرابط حتى يبعثه الله »[٣].

وقال ﷺ : « رباط يومٍ في سبيل الله ، خيرٌ من الدنيا وما عليها ، وموضع سَوْطِ أحدكم من الجنة ، خيرٌ من الدنيا وما عليها ، والرَّوْحَة يَرُوحها العبد في سبيل الله أو الغَدْوَة ، خيرٌ من الدنيا وما فيها »[٤].

وقال رسول الله ﷺ : « القتلى ثلاثة : رجلٌ مؤمنٌ جاهَدَ بنفسه وماله في سبيل الله ، حتى إذا لَقِيَ العدو قاتَلَهم حتى يُقتل ، فذلك الشهيد المُمْتَحَن في خيمة الله تحت عرشه ، ولا يَفْضُلُه النبيون إلا بِفَضْلِ درجةِ النُّبوَّة . ورجل مؤمن قرف على نفسه من الذنوب والخطايا ، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى قُتل ، فتلك مصمصةٌ محتْ ذنوبه وخطاياه ؛ إن السيف محَّاءٌ للخطايا ، وأُدْخِلَ من أيّ أبواب الجنة شاء ، فإن لها ثمانية أبواب - ولجهنم سبعة أبواب - وبعضها أفضلُ من بعضٍ . ورجل منافق ، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، حتى إذا لقي العدو قاتل حتى قُتل ، فذلك في النار ، إن السيف لا يمحو النفاق »[٥].

---

(١) مُرَّ عليه برزقه .

(٢) طُيِّب .

(٣) صحيح . رواه الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٤٧٩) .

(٤) رواه مسلم عن سلمان .

(٥) إسناده حسن . رجاله ثقات رجال الصحيح غير أبي المثني - فقد روى عنه اثنان .

أخرجه ابن حبان واللفظ له ، والطيالسي ومن طريقه البيهقي ، وأخرجه أحمد والدارمي ، والطبراني ، وقال الهيثمي : ورجال أحمد رجال الصحيح خلا =

وقال ﷺ : « أفضل الشهداء من سُفِكَ دمه وعُقِر جواده »[١] .

وقال ﷺ : « أفضلُ الشهداء الذين يُقاتِلون في الصَّفِّ الأوَّل ، فلا يَلْفِتُون وجوههم حتى يُقتلوا ، أولئك يتلبَّطُون[٢] في الغُرَف العُلا من الجنة ، يضحك إليهم ربُّك ، فإذا ضحك ربُّك إلى عبدٍ في موطنٍ ، فلا حساب عليهم »[٣] .

اللهم اضحكْ إلينا ، وارزقنا أعلى درجات الشهداء ، واحشُرنا إليك من حواصل الطيور .

يا وَيْحَ نَفْسي وما ارتفعتْ بنا هِمَمٌ إلى الجنانِ وتالي القومِ أوّابُ
إلى كَوَاعِب لِلأطرافِ قاصِرَة وَظِلّ طُوبَى وَعِطْرُ الشَّذْو يَنْسَابُ
إلى قناديل ذَهَبٍ عُلِّقتْ شرفًا بعرشِ ربي لمن قُتِلُوا وما غَابُوا

قال أنس : أنزل الله في الذين قُتلوا ببئر معونة قرآنًا قرأناه حتى نُسِخَ بعدُ : (أن بَلِّغوا قومَنَا أن قد لَقِينا ربَّنا فَرَضِيَ عنّا وَرَضِينَا عنه)[٤] .

وقال ﷺ : « أنا زعيمٌ – والزعيم : الحميل – لمن آمن بي وأسلم

= أبي المثنى وهو ثقة .
والشهيد المُمتَحَن : المصفَّى المهذّب ، وعند أحمد والطبراني « المفتخر » ، وقرف : أي كسب ، ومصمصة : أي مطهرة من دنس الخطايا .

(١) صحيح . رواه الطبراني في الكبير عن أبي أُمامة ، وأحمد ، وأبو داود عن عبد الله ابن حبشي ، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٥٠٤) وصحيح الجامع رقم (١١٠٨) .

(٢) أي يتمرَّغون .

(٣) صحيح . رواه أحمد ، والطبراني في الكبير عن نعيم بن همار ، وأخرجه أبو يعلى ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧ – ١١) .

(٤) رواه البخاري ومسلم والبغوي ، وابن حبان .

وهاجر ، ببيتٍ في ربض الجنة ، وببيتٍ في وسط الجنة ، وأنا زعيمٌ لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ، ببيتٍ في ربض الجنة ، وببيت في وسط الجنة ، وببيتٍ في أعلى غُرَف الجنة ، فمن فعل ذلك ، لم يَدَع للخير مطْلبًا ، ولا من الشَّرِّ مهربًا ، يموت حيث شاء أن يموت » .

والزعيم هو الحميل ، هو الكفيل ، وهو مدرج في الحديث(١) .

قالوا سهرتَ وفي فُؤادكَ حرقةٌ ... تدمَى وألفُ تساؤلٍ يتردّدُ
وعلى جبينك قصّةٌ مكلومةٌ ... تروي المآسي للجميع وتسرُدُ
ودموعك الملْأَى بألف حكايةٍ ... رسمتْ على خَدَّيْكَ نارًا تُوقدُ
أنا يا صِحابُ قضيَّةٌ مسلوبةٌ ... لَعِبَ الدَّعيُّ بِهَا وغاب السيّدُ
أنا يا صِحَابُ مشاعرٌ موتورةٌ ... للثأر تسعى والمسالك تُوصَدُ
أنا يا صحاب مدامعٌ محمومةٌ ... تَهْمي من الألم المُميتِ فتبردُ
أنا يا صحابُ من الجراح مُعَذَّبٌ ... في كل أرضٍ جرحنا يتمدّدُ
في كل أرضٍ تُستباح دماؤنا ... في كل أرضٍ يُستباح المسجدُ
هل هذه كشميرُ ضاع نحيبُها ... بين اللَّظَى وبها الكلابُ استأسدوا
أم هذه حلبٌ ظلامٌ موحِشٌ ... صمتٌ يقطِّعه الأنينُ الأسودُ
أم هذه القدسُ الجريحةُ تشتكي ... مما يُخطِّطه القريب الأنجدُ
أم هذه أفغانُ تلعَقُ جرحها ... وتبيتُ تبحث عن صديقٍ يُنجدُ
وأبِيتُ تلحقني معرَّةُ ذِلَّتي ... وبكاءُ أحبابي هناك استنجدوا

ولله دَرُّ القائل :

هذي بساتين الجنان تزيَّنتْ ... للخاطبين فأين منْ يرتادُ

---

(١) إسناده صحيح . رواه ابن حبان واللفظ له ، والنسائي ، والطبراني في الكبير ، والبيهقي في السنن ، والحاكم في المستدرك وصححه ، ووافقه الذهبي .

يا ويحنا ماذا أصاب رجالنا أَوَ ما لنا سعدٌ ولا مقدادُ
نامتْ ليالي الغافلين وليلُنا أرقٌ يُذيب قلوبَنا وسُهادُ
سُلَّتْ سيوفُ المعتدين وعربدتْ وسيوفُنا ضاقتْ بها الأغمادُ
أهو القُنُوط يهدُّ رُكْن عزيمتي وبه ظلَامُ مخاوفي تزدادُ
يا ليلَ أُمَّتنا الطويلَ متى نرى فجرًا تُغرِّد فوقه الأمجادُ
أجدادنا كتبوا مآثرَ عزِّها فمحا مآثر عزِّها الأحفادُ
ترعى حِماها كلُّ سائبةٍ وفي تمزيقها يتجمَّع الأضدادُ
تصغي لأغنية الهوى فنهارها نومٌ ثقيل والمساء سِفادُ
دَعْنا نُسَافِر في دروبِ إبائنا ولنا من الهِمَم العظيمةِ زادُ
ميعادُنا النصرُ المبين فَإنْ يكُن موتٌ فعند إلٰهنا الميعادُ
دَعْنا نمُت حتى ننال شهادةً فالموت في دربِ الهُدى ميلادُ

* * *

□ أعلى الناس هِمَّة في الجهاد رسولُنا ﷺ □

قال رسول الله ﷺ : « ما من الناس من نَفْسٍ مسلمةٍ يقبضها ربها ، تُحبّ أن ترجع إليكم ، وأن لها الدنيا وما فيها غير الشهداء ، ولأن أُقتل في سبيل الله ، أحبُّ إليّ من أن يكون لي أهْل الوَبَر والمَدَر »(١).

كان رسول الله ﷺ أشجع الناس ، وأقواهم قلبًا ، وأثْبَتَهم جنانًا ، وقد حضر المواقف الصعبة المشهورة ، وفرّ الكُماةُ والأبطالُ عنه غير مرّةٍ ، وهو ثابتٌ لا يبرح ، ومُقْبِل لا يُدبر ، ولا يتزحزح .

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أحْسَن الناس ، وكان أجْوَد الناس ، وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهلُ المدينة ذات ليلةٍ ، فانطلق ناس قِبَل الصوت ، فتلقّاهم رسول الله ﷺ راجعًا وقد سبقهم إلى الصوت ، وهو على فَرَسٍ لأبي طلحة عُرْيٍ ، وفي عنقه السيف ، وهو يقول : « لم تُراعُوا ... لم تراعوا »(٢).

وفي لفظ للبخاري ، قال : فزع الناس ، فركب رسول الله ﷺ فرسًا لأبي طلحة قطَفًا(٣) ، ثم خرج يركُض وحده ، فركب الناس يركضون خَلْفَه ، فقال : « لم تُراعُوا ، إنه لبحر » . قال : فما سُبق بعد ذلك اليوم .

وقال ابن عمر : ما رأيتُ أشجع ولا أنْجَد ولا أجْوَد ولا أرْضَى من رسول الله ﷺ .

---

(١)

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه .

(٣) القطاف : تقارب الخطو في السرعة .

وفي صحيح مسلم عن البراء : كنّا والله إذا احمرَّ البأس نتَّقِي به ، وإن الشجاع منا الذي يُحَاذِي به ؛ يعني النبي ﷺ .

وقال عليٌّ : « لقد رأيتُني يوم بدرٍ ونحن نلوذُ بالنبي ﷺ ، وهو أقْرَبُنا إلى العدوّ ، وكان من أشدّ الناس يومئذٍ بأسًا » .

وفي الصحيحين عن البراء - وسأله رجل من قيس : أفَرَرْتُم عن رسول الله ﷺ يوم حُنَيْنٍ ؟ - قال البراء : رسول الله ﷺ لم يفرّ ،وكانت هوازنُ يومئذٍ رُماةً ، وإنّا لمّا حملْنا عليهم انكفّوا ، فأقبلنا على الغنائم ، فاستقبلونا بالسِّهام ، ولقد رأيتُ رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء ، وإن أبا سفيان بن الحارث آخِذٌ بلجامها ، وهو يقول : « أنا النبيُّ لا كَذِبْ ، أنا ابنُ عبدِ المُطَّلِبْ » .

وروى مسلم عن العباس رضي الله عنه قال : « فلما التقى المسلمون والكفار ، ولّى المسلمون مُدبِرين ، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته نحو الكفار ، وأنا آخِذٌ بلجامها أكُفُّهَا إرادةَ أن لا تُسرِع ، وأبو سفيان آخذٌ بركابه ، ثم نادى : يا للمسلمين » .

ولما رآه أبيّ بن خلف يوم أُحُد وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوتُ إن نجا . وقد كان يقول للنبي ﷺ : عندي فرسٌ ، أعلفها كلَّ يومٍ فرقًا من ذرةٍ ، أقْتُلك عليها . فقال له النبي ﷺ : « أنا أقتُلك إن شاء الله » . فلمّا رآه يوم أحد ، شدّ أُبيٌّ على فرسه على رسول الله ﷺ ، فاعترضَهُ رجال من المسلمين ، فقال النبي ﷺ هكذا ؛ أي خَلُّوا طريقه ، وتناول الحربةَ من الحارث بن الصِّمَّة ، فانتفض بها انتفاضةً تطايروا عنه تطايُرَ الشعراء[1] . عن ظهر البعير إذا انْتَفَضَ ، ثم استقبله النبيُّ ﷺ ، وطعنَهُ

(١) الشُّعْر ، بضم الشين وسكون العين : جمع شَعْراء ، وهي ذِبَّانٌ حُمر - =

في عنقه طعنةً تَدَأْدَأ(١) عنها عن فرسه مرارًا ، وقيل : بل كسر ضلعًا من أضلاعه ، فرجع إلى قريش ، يقول : قتلني محمد . وهم يقولون : لا بأس . فقال : لو كان ما بي بجميع الناس ؛ لَقَتَلَهم ، أليس قد قال : أنا أقتُلك ، والله لو بَصَق عليَّ لقتلني . فمات - لعنه الله - بسرف في قفولهم إلى مكة .

أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثاني اثنين :

كان رضي الله عنه يَذُبّ عن رسول الله ﷺ .

فعن عُروة بن الزبير قال : سألتُ ابنَ عمرو بن العاص : أخبِرْني بأشد شيءٍ صنعه المشركون بالنبي ﷺ . قال : بَيْنَا النبي ﷺ يصلي في حِجر الكعبة ، إذ أقبل عقبة بن أبي مُعَيْط ، فوضَعَ ثوبه في عنقه ، فخنَقَهُ خَنْقًا شديدًا ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ، ودَفَعَهُ عن النبي ﷺ ، قال : ﴿ **أتقتلون رجلًا أن يقول ربِّيَ الله** ﴾ [غافر : ٢٨] رواه أحمد والبخاري .

وفي يوم بدرٍ جعل الصحابة لرسول الله ﷺ عَرِيشًا ، وقالوا : من يكون مع النبي ﷺ ؛ لئلّا يصل إليه المشركون ؟ فوالله ما دنا منه أحدٌ إلَّا أبو بكرٍ ، شاهِرًا السيف على رأس رسول الله ﷺ .

نعم ... كان الصديق أشجع الناس بعد رسول الله ﷺ ، فإنه كان أثبتهم قلبًا ، وحَسْبُكَ من ذلك ثباتُ قلبه يوم بدر ، وهو يقول للنبي ﷺ : يا رسول الله ، كفاك بعض مُناشَدَتك ربّك ، فإنه مُنجِز لك ما وَعَدَكَ . وثبات قلبه يوم أُحُد ، وقد صرخ الشيطان بأن محمدًا ﷺ قد قُتِلَ ، ولم

= وقيل : زُرق - تقع على الإبل والحمير فتؤذيها أذًى شديدًا .

(١) دَأْدَأ - وَتَدَأْدَأ : تدحرج وسقط .

يبقَ أحدٌ مع أحد ، وثبات قلبه يوم الخندق ، ويوم صُلح الحديبية ، ويوم حُنَينٍ حين فرَّ الناس ولم يفرّ .

ولو لم يكن من شجاعته إلا ثبات قلبه ، وتثبيته المسلمين عند الخطب الأعظم والأمر الأفخم بموت نبينا ﷺ ، إذ زاغتْ قلوب كثيرٍ من الناس ، وزُلزِلُوا بموته زلزالًا شديدًا ، وأُقعِدَ بعضهم ، وشكَّ آخرون ، لكفانا ذلك دليلًا على عظيم شجاعته وقوة قلبه ، إذ كان قلبه في تلك النازلة العُظمى التي اهتزّتْ لها الدنيا بأجمعها ، لو وُزن بقلوب الأمة لَرَجَحَهَا .

وكان عزمه في قتال من ارتدّ ، لو فُرِّقَ على قلوب الجبناء من أهل الأرض لشجّعهم إلى أن قام بمهمة قناة الإسلام بعد اعوجاجها ، وجرت الملة الشهباء على سننها ومنهاجها ، وأذّن مؤذِّن الإيمان ﴿ **ألا إن حزب الله هم الغالبون** ﴾ وتولّى حزبُ الشيطان وهم خاسرون ، فتلك - لعمر الله - الشجاعة التي تضاءلت لها فرسان الأُمم ، والهِمَّة التي تنازلتْ لها أعالي الهمم ، فرضوان الله عليهم أبدًا ما شهر بارق ، وقُهر مارق ، وعلى بقية الصحابة أجمعين[(١)] .

الفاروق الذي تفِرُّ شياطينُ الإنسِ والجنِّ منه :

قال رسول الله ﷺ : « إيهًا يا ابن الخطاب ، والذي نفسي بيده ، ما لَقِيَكَ الشيطان سالكًا فجًّا قطُّ ، إلا سلك فجًّا غير فجِّك »[(٢)].

وقال رسول الله ﷺ : « إني لأنظر إلى شياطين الإنس والجن قد فرُّوا من عمر »[(٣)].

---

(١) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ٢/ ٩٦٥ - ٩٦٦ .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) حسن . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح . وعزاه المزي للنسائي .

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم أعزَّ الإسلام بأحبِّ هذيْن الرجُلَين إليك ؛ بأبي جهلٍ أو بعمر بن الخطاب » قال : وكان أحبَّهما إليه عمر .[١]

وروى البخاري ، عن عبد الله بن مسعود قال : ما زلنا أعِزَّة منذ أسلم عمرُ[٢] .

وعن ابن مسعود : أن عمر صارعَ جِنِّيًّا ثلاث مراتٍ فَصَرَعَهُ[٣] .

وقد ذكر القرطبي في تاريخه ، أن عمر رضي الله عنه كان يُمسك أُذُنه اليسرى بيده اليمنى ، ويَثِب ، فيصير على ظهر الفَرَس ، من غير أن يُمسك شيئًا بيده .

وعن ابن عمر قال : لما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لم تعلم قريشٌ بإسلامه ، فقال : أيُّ أهل مكة أفْشَى للحديث ؟ فقالوا : جميل بن معمر الجُمَحي ، فخرج إليه وأنا أتبعُ أثَرَهُ ، أعقِلُ ما أرى وأسمع ، فأتاه فقال : يا جميلُ ، إني قد أسلمتُ . قال : فوالله ما ردّ عليه كلمةً ، حتى قام عامدًا إلى المسجد ، فنادى أنديةَ قريش فقال : يا معشر قريش ،

---

(١) صحيح لشواهده . أخرجه الترمذي ، وأحمد ، وابن حبان ، وعَبْدُ بن حُميد ، وأحمد في فضائلْ الصحابة ، وابن سعد في الطبقات .

(٢) وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة ، وابن سعد في الطبقات ، وابن أبي شيبة في المصنف .

(٣) صحيح لشواهده . رواه الهيثمي بمعناه وقال : رواه الطبراني بإسنادين ، ورجال الرواية الثانية رجال الصحيح ، إلا أن الشعبي لم يسمع من ابن مسعود ، والطريقة الثانية فيها المسعودي وقد اختلط ، فبان لنا صحة رواية المسعودي برواية الشعبي .

إنّ ابن الخطاب قد صَبَأ . فقال عمر : كذبَ ، ولكنّي أسلمتُ ، وآمنت بالله ، وصدَّقت رسوله . فثاوروه ، فقاتلهم حتى ركدت الشمس على رؤوسهم ، حتى فَتَر عمرُ ، وجلس فقال : افعلوا ما بدا لكم ، فوالله لو كُنَّا ثلثمائة رَجُلٍ ، لقد تركتموها أو تركناها لكم . فَبَيْنَا هم كذلك قيام ، **إذ جاء رجُلٌ عليه حُلَّة حرير ، وقميص موَشَّى فقال : ما لكم ؟ فقالوا :** إن ابن الخطاب قد صبأ . قال : فَمَهْ ، امرؤٌ اختار دينًا لنفسه ، أفتظنون أن بني عَدِيّ تُسلم إليكم صاحبهم . قال : فكأنما كانوا ثوبًا انكشف عنه . فقلت له بعدُ بالمدينة : يا أبهْ ، من الرجل الذي ردَّ عنك القوم يومئذٍ ؟ قال : يا بُنَيَّ ، ذاك العاص بن وائل[1].

إنه عمرُ هادِم دولة بني ساسان ، في عهده زال مُلْك المجوس ، **وذهبت إمبراطورِيةُ كسرى ، ولا يزال التاريخ يذكر لرستم قائد قوات الفرس** مقولته الشهيرة : « أكل عمرُ كبدي ، أحرق الله كبده . وإنما هو عمر الذي يُكَلِّم الكلاب فيعلّمهم العقل ، علّم هؤلاء حتى علّموا »[2].

يَا مَنْ يرى عمرًا تكسُوه بُرْدَتُهُ ... والزَّيتُ أُدْمٌ له والكُوخُ مأواهُ
يهتزُّ كسرى على كُرْسِيِّهِ فَرَقًا ... من خوفه وملوكُ الرُّومِ تَخْشَاهُ

أبو محمد ، طلحة بن عُبيد الله التَّيْمي ، أحد العشرة :

قال الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١ / ٢٦) : في جامع أبي عيسى بإسناد حسن ، أن رسول الله ﷺ قال يوم أُحُد : « أوجب طلحة »[3].

---

(١) حسن . رواه ابن حبان في موارد الظمآن ٢ / ٢١٨ .

(٢) الطبري ٣ / ٥٣٢ .

(٣) سنده حسن . أخرجه الترمذي وأحمد وابن سعد ، والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي ، وسنده حسن ، وهو في الإصابة والاستيعاب وتاريخ الطبري .

وفي رواية : « أوجب طلحة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع » .

وعن جابر قال : لما كان يوم أحد ، وولى الناس ، كان رسول الله ﷺ في ناحيةٍ في اثني عشر رجلًا ، منهم طلحة ، فأدركهم المشركون ، فقال النبي ﷺ : « مَنْ للقوم ؟ » قال طلحة : أنا . قال : « كما أنت » . فقال رجل : أنا . قال : « أنت » . فقاتل حتى قُتل ، ثم التفت فإذا المشركون ، فقال : « مَنْ لهم » ؟ قال طلحة : أنا . قال : « كما أنت » . **فقال رجل من الأنصار : أنا . قال : « أنت » . فقاتل حتى قتل ، فلم يزل** كذلك حتى بقي مع نبي الله طلحةُ ، فقال : « منْ للقوم ؟ » قال طلحة : أنا . فقاتل طلحة قتال الأحدَ عشر ، حتى قُطعت أصابعه ، فقال : « حَسِّ » . فقال رسول الله ﷺ : « لو قلتَ : « باسم الله » لرفعتْك الملائكة ، والناسُ ينظرون » ثم ردّ الله المشركين .

وعند الطبراني : « لو قلتَ : « بسم الله » لطارت بك الملائكة ، والناس ينظرون إليك »[1].

وعند النسائي والبيهقي في الدلائل : « حتى تَلِجَ بك في جوِّ السماء » .

لله دَرُّ أبي محمد .. ما فعل ، حتى لو نطق بـ« بسم الله » لطارت به الملائكة ، حتى تَلِجَ به السماءَ ؟!

روى البخاري عن خالد بن قيسٍ ، قال : رأيت يد طلحة التي وَقَى

---

(١) الحديث حسن . أخرجه النسائي والطبراني والحاكم وابن شاهين والبيهقي في الدلائل ، وقال الذهبي : رواته ثقات . وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٥ / ٢٠٤) : « ورجال إسناده ثقات كلهم على شرط مسلم ، لكن أبو الزبير مدلس ، وقد عنعنه ، وبالجملة : فالحديث حسن بمجموع هذه الطرق . والله أعلم » .

بها النبيَّ ﷺ يومَ أُحُد شَلاء .

وعن المعتمر - وهو ابن سليمان - قال : سمعت أبي ، عن أبي عثمان ، قال : لم يبقَ مع رسول الله ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن غيرُ طلحة وسعد . عن حديثهما[١] .

« وعن عائشة وأمِّ إسحاق بنْتي طلحة ، قالتا : جُرح أبونا يومَ أحدٍ أربعًا وعشرين جراحة ، وقع منها في رأسه شجّة مربّعة ، وقُطع نساه - يعني العِرْق - وشُلّتْ إصبعه ، وكان سائر الجراح في جسَده ، وغلبه الغَشْيُ ، ورسول الله ﷺ مكسورةٌ رباعيتُه ، مشجوجٌ في وجهه ، قد علاه الغشي ، وطلحة مُحتَمِلُه ، يرجع به القَهْقَرى ، كلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه ، حتى أسنده إلى الشِّعْب »[٢] .

قال تعالى : ﴿ مِنَ المؤمنينَ رجالٌ صَدَقُوا ما عَاهدُوا الله عليه فمِنهُم مَّن قضَىٰ نَحْبَهُ ومنهم مَّن ينتظر وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

عن طلحة أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابيٍّ جاء يسأله عمَّنْ قضى نَحْبَه : من هو ؟ وكانوا لا يجترئون على مسألته ﷺ ، ويوقِّرونه ويَهابونه ، فسأله الأعرابي فأعرضَ عنه ، ثم سأله فأعرضَ عنه ، ثم إني اطَّلعتُ مِن باب المسجد - وعليَّ ثيابٌ خُضْر - فلما رآني رسول الله ﷺ قال : « أينَ السائل عمّن قضى نَحْبَه ؟» قال الأعرابي : أنا . قال : « هذا ممَّن قضى نَحْبَه »[٣] .

---

(١) معناه : وهما حدَّثاني بذلك . أو يريد أنها حدثان .

(٢) سير أعلام النبلاء ١ / ٣٢ .

(٣) سنده حسن . أخرجه الترمذي في المناقب ، وقال : حسن غريب . والطبراني في الكبير وابن سعد . وسنده حسن .

وقال ﷺ : « طلحة ممَّن قضىٰ نحبه »[١].

وعن طلحة رضي الله عنه ، قال : عُقِرتُ يوم أحد في جميع جسدي ، حتى في ذَكَري[٢].

وطلحة يومَ الشِّعْبِ واسى محمَّدًا لدَى ساعة ضَاقَتْ عليهِ وسُدَّتِ
وِقاهُ بكفَّيْهِ الرِّماحَ فَقُطِّعَتْ أصابِعُهُ تَحتَ الرماحِ فَشُلَّتِ

الزُّبير بن العوَّام ، حوارِيُّ الرسول :

أوَّلُ مَنْ سَلَّ سَيْفَه في الإِسلام ، رضي الله عنه :

قال رسول الله ﷺ : « إنّ لكلّ نبي حواريًّا ، وإن حواريّي : الزبيرُ »[٣].

وقال ﷺ : « الزبير ابن عمّتي ، وحواريّي من أمتي »[٤].

بأبي وأمي فارس رسول الله ﷺ وحواريّه ، مَنْ نزلتْ بسِيمَاهُ الملائكة في يوم بدر ، وجمَع له رسول الله ﷺ بين أبويْه .

عن عروة بن الزبير قال : كانت على الزبير - يوْم بدرٍ - عمامةٌ صفراءُ ، فنزل جبريل على سيماءِ الزبير .

---

(١) صحيح ، رواه الترمذي وابن ماجه عن معاوية ، وابن عساكر عن عائشة ، وابن سعد والترمذي وأبو يعلى والضياء عن طلحة ، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٩١٦ ، والصحيحة رقم ١٢٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١ / ٣٩ .

(٣) رواه البخاري والترمذي عن جابر ، والترمذي والحاكم عن علي .

(٤) صحيح ، رواه أحمد في مسنده عن جابر ، وصحّحه الألباني في الصحيحة رقم ١٨٧٧ ، وصحيح الجامع رقم ٣٥٨٣ .

يقول عامر بن صالح بن عبد الله بن الزبير :

جَدِّي ابنُ عمّةِ أحمدٍ ووزيرُهُ عنـدَ البـلاءِ وفـارسُ الشَّقْـراءِ
وَغَـداةَ بـدرٍ كان أوَّلَ فـارسٍ شَهِدَ الوغَى في اللَّامَةِ الصَّفراءِ
نَزَلتْ بِسِيمَـاهُ المـلائِكُ نُصْرَةً بالحـوْضِ يَوْمَ تألُّبِ الأعـداءِ

قال الثوريّ : نَجْدةُ الصحابةِ : حمزة ، وعليّ ، والزبير .

قالت عائشة لعروة : يا ابن أختي ، كان أبواك - يعني الزبير وأبا بكر - من ﴿ **الذين استجابُوا لله والرسول مِن بعد ما أصابهم القَرْحُ** ... ﴾ الآية [آل عمران : ١٧٢] .

لما انصرف المشركون من أُحُدٍ ، وأصاب النبيَّ ﷺ وأصحابَه ما أصابهم ، خاف أن يرجعُوا ، فقال : « مَنْ ينتدبُ لهؤلاء في آثارهم ، حتى يعلموا أنّ بنا قوةً ؟ » فانتدب أبو بكر والزبير في سبعين ، فخرجوا في آثار المشركين ، فسمعُوا بهم ، فانصرفوا . قال تعالى : ﴿ **فانقَلبُوا بنعمةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُم سُوءٌ** ... ﴾ الآية [آل عمران : ١٧٤] ، لم يلقوا عدوًّا[(١)] .

وروى البخاري ومسلم عن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ يومَ الخَندق : **« مَنْ يأتينا بخبرِ بني قُريظة ؟ » فقال الزبير : أنا . فذهب على فرسٍ** ، فجاء بخبرهم . ثم قال الثانية ، فقال الزبير : أنا . فذهب ، ثم الثالثة ، فقال النبي ﷺ : « لكلّ نبيٍّ حواريٌّ ، **وحواريّي[(٢)] الزبير** » .

---

(١) أخرجه البخاري إلى قوله : سبعين ، وأخرج الجزءَ الأوّلَ مسلمٌ ، وابن ماجه ، وابن سعد ، والحميدي ، والحاكم .

(٢) الحواري : هو الخالص من كل شيء . قاله مصعب الزبيري ، والحواريّ : خالصة الإنسان وصفيّه المختص به كأنه أخلص ونقي من كل عيب . وتحوير الثياب : تبييضها وغسلها ، ومنه سمي أصحاب عيسى : حواريين ، لأنهم كانوا =

عن ابن الزبير ، عن أبيه قال : جمع لي رسول الله ﷺ أبوَيْه .

وعن ابن الزبير أنه قال له : يا أبه ، قد رأيتُك تحملُ على فرسك الأشقر يومَ الخندق . قال : يا بنيَّ ، رأيتَني ؟ قال : نعم . قال : فإن رسول الله ﷺ يومئذٍ لَيجمعُ لأبيك أبوَيْه ، يقول : « ارْمِ ، فِدَاكَ أبي وأمي » .

وعن ابن أبي الزّناد قال : ضرب الزبيرُ يوم الخندق عثمانَ بنَ عبد الله ابن المغيرة بالسَّيف على مِغْفَره ، فقطعه إلى القَرَبُوس[1] ، فقالوا : ما أجود سيفك ! فغضب الزبير ، يريد أن العمل ليده لا للسيف .

وعن علي بن زيد : أخبرني من رأى الزبيرَ ، وفي صدْره أمثالُ العيونِ من الطَّعن والرَّمْي .

وعن عروة قال : كان في الزبير ثلاثُ ضرباتٍ بالسيف : إحداهن في عاتِقِه ، إنْ كنتُ لأُدخل أصابعي فيها ، ضُرب ثنتين يومَ بدْر ، وواحدةً يوم اليرموك .

قال عروة : قال عبد الملك بن مروان ، حين قُتل ابن الزبير : يا عروة ، هل تعرف سيف الزبير ؟ قلت : نعم . قال : فما فيه ؟ قلت : فَلَّةٌ فلها يومَ بدرٍ . فاستلّه فرآها فيه ، فقال : بهنَّ فلولٌ من قِراع الكتائبِ .

قال علي بن أبي طالب : أشجع الناس : الزبير ، ولا يعرف قَدْرَ الرجال إلا الرجالُ .

عن الزبير قال : لقيتُ يوم بدر عُبيدةَ بن سعيد بن العاص ، وهو

= قصّارين يبيضون الثياب . وقيل:الحواري : الناصر .

(١) مُقدَّم السَّرج ومُؤخره .

مُدجَّج لا يُرى إلا عيناه ، وكان يُكنَى : أبا ذاتِ الكِرَش . فحمَلتُ عليه بالعَنَزَة ، فطعنتُه في عينه ، فمات . فأُخْبرت أن الزبير قال : لقد وضعتُ رجلي عليه ، فكان الجهْدُ أن نزعتُها . يعني الحربة ، فلقد انثنى طرفُها . رواه البخاري .

« قَتَل الزبيرُ في هذه المعركة عبيدةَ بن سعيد بن العاص ، وقتل عمَّه نَوْفَل بنَ خُويلد بن أسد » .

لله ما أصدق الزبيرَ مع الله ورسوله حين يقتل عمَّه .

وعن عروةَ أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير : ألا تشُدّ فنشدَّ معك ؟ قال : إني إنْ شددتُ كذبتم . فقالوا : لا نفعل . فحمل عليهم حتى شقَّ صفوفَهم ، فجاوزهم وما معه أحَد ، ثم رجع مُقبلًا ، فأخذوا بلجامه فضربوه ضربَتَيْن ، ضربةً على عاتقه ، بينهما ضربة ضُرِبَهَا يومَ بدر . قال عروة : فكنت أُدخل أصابعي في تلك الضربات ، ألعبُ وأنا صغير . قال : وكان معه عبد الله بن الزبير وهو ابنُ عشر سنين ، فحمله على فرس ، ووكل به رجلًا[1] .

قال الذهبي في السِّير معلِّقًا : « هذه الوقعة هي يوم اليمامة إن شاء الله ؛ فإن عبد الله كان إذْ ذاك ابنَ عشر سنين » .

وذكر ابن كثير أن الموقعة هي « اليرموك » . ولا مانع من وقوع ذلك في الموقعتين .

ويا لروعة إقدام الزبير حين يُحجم الأبطالُ من صحابة رسول الله ﷺ ، ولا يصبرون معه .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١ / ٦٢ - ٦٣ .

قال ابن كثير : « وقد كان فيمن شَهِدَ اليرموك : الزبيرُ بن العوام ، وهو أفضل مَنْ هناك مِنَ الصحابة ، وكان من فرسان الناس وشجعانهم ، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ ، فقالوا : ألا تحملُ فنحمل معك ؟ فقال : إنكم لا تثبتون . فقالوا : بلى . فحمل وحملوا ، فلما واجهوا صفوفَ الروم أحجموا وأقدم هو ، فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر ، وعاد إلى أصحابه . ثم جاءوا إليه مرةً ثانية ففعل كما فعل في الأولى ، وجُرح يومئذٍ جُرحَيْن بين كتفيْه . وفي رواية : جُرْحٌ »[١] .

ويقول ابن كثير مرة أخرى : « خرج مع الناس إلى الشام مجاهدًا ، فشهد اليَرْمُوك ، فتشرَّفوا بحضوره ، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العلياء ، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتَّين ، مِن أوّلهم إلى آخرهم »[٢] .

« ورأى النبيُّ يوم « أحد » رجلًا يقتل المسلمين قَتْلًا عنيفًا ، فقال : « قمْ إليه يا زبير » فَرَقِي إليه الزبير ، حتى إذا عَلا فوقه اقتحم عليه فاعتنقه ، فأقبلا ينحدران حتى وقعا إلى الأرض ، فوقع الزبيرُ على صدره وَقَتَلَه »[٣] .

قال الزبير رضي الله عنه : « جمع لي رسول الله ﷺ أبوَيْه مرتَّيْن : في أُحد ، وفي قريظة »[٤] .

« ويوم (حُنين) طاعَن الزبيرُ المشركين حتى أزالهم عن أماكنهم ، وكان قائد المشركين يراقب سير القتال ، فأخبره أصحابه أنهم يروْن فارسًا واضعًا رمحَه على عاتقه ، عاصبًا رأسه بملاءَةٍ حمراء ، فقال : هذا الزبير بن

---

(١) البداية والنهاية ٧ / ١١ .
(٢) البداية والنهاية ٧ / ٢٦٠ .
(٣) تهذيب ابن عساكر ٥ / ٣٥٨ .
(٤) الاستيعاب (٢/ ٥١٣) ، وأُسد الغابة (٢ / ١٩٧) .

العوام ، وأحلِفُ باللّات ليخالطنَّكم فاثبتوا له . فلما انتهى الزبير إلى مواضع المشركين وأبصرهم ، قصدهم ، فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها »[1].

لله دَرُّ أشجع الناس الذي قال فيه علي بن أبي طالب : « يغضَبُ كالنَّمِر ، وَيَثِبُ وُثوبَ الأَسَد »[2].

« ولما قصد عمرو بن العاص مصر لفتْحها كانت معه قوَّات تبلغ ثلاثةَ آلافٍ وخمسمائة رجل ، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستمدُّه ، فأشفق عمر من قلة عدد قوات عمرو ، فأرسل الزبيرَ بنَ العوام في اثني عشر ألفًا ، وقيل : أرسل عمر أربعة آلافِ رجلٍ ، عليهم من الصحابة الكبار : الزبير ، والمقداد بن الأسود ، وعُبادة بن الصامت ، ومَسْلمة بن مُخَلّد ، وقال آخرون : خارجة بن حذافة هو الرابع . وكتب إليه : « إني أمددتك بأربعةِ آلافٍ ، على كلّ ألفٍ منهم رجل مَقامَ ألفٍ » . وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال »[3].

وحين قدِم الزبير على عمرو وجدَه مُحَاصِرًا حصن (بابليون) ، فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن ، ثم فرّق الرجال حوْل الخندق ، وطال الحصار حتى بلغت مدّته سبعة أشهرٍ ، فقيل للزبير : « إن بها الطاعون » . فقال : « إنما جئنا للطعن والطاعون »[4].

---

(١) قادة فتح الشام ومصر صـ ٢٠٥ للواء الركن محمود شيث خطاب – طبع دار الفكر .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٥ / ٣٦٢ .

(٣) فتوح مصر والمغرب صـ ٦١ ، ومعجم البلدان ٦ / ٣٧٦ ، وقادة فتح الشام ومصر صـ ٢٠٨ ، ٢٢٦ .

(٤) طبقات ابن سعد ٣ / ١٠٧ ، والبلاذري صـ ٢١٥ .

« وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص ، فقال الزبير : « إني أهِبُ نفسي لله ، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين » . فوضع سُلَّمًا وأسنده إلى جانب الحصن من ناحيةِ سُوق الحمّام ثم صَعِد ، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعًا ، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبّر ومعه السيف ، فتحامل الناس على السُّلّم حتى نهاهم عمرو ؛ خوْفًا من أن ينكسر ، فلما رأى الرُّوم أنّ العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا ، وبذلك فتح حصن بابليون أبوابَه للمسلمين ؛ فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر ، وكانت شجاعة الزبير النادرة السبب المباشر لانتصار المسلمين على المُقَوْقِس »[1] .

ولله دَرُّ حسان حين يقول :

أقام على عهْد النبيِّ وهَدْيِهِ ... حواريُّه والقوْلُ بالفعلِ يُعْدَلُ
أقام على منهاجِهِ وطريقِهِ ... يُوالي وليَّ الحقِّ والحقُّ أَعْدَلُ
هو الفارِسُ المشهورُ والبطلُ الذي ... يصولُ إذا ما كان يومٌ مُحَجَّلُ
إذا كشفتْ عن ساقها الحربُ حَشَّهَا ... بأبيضَ سَبَّاقٍ إلى الموت يُرْقِلُ[2]
وإنَّ امرأً كانت صفيةُ أمَّهُ ... ومِن أسدٍ في بيتها لَمُؤَثَّلُ
له من رسولِ اللهِ قُرَبى قريبةٌ ... ومن نُصْرَةِ الإسلام مَجْدٌ مُؤَثَّلُ
فكمْ كُرْبَةٍ ذَبَّ الزبيرُ بسيفِهِ ... عن المصطفَى واللهُ يُعْطي فيُجزلُ
ثناؤُكَ خيرٌ من فَعالِ معاشرٍ ... وفعلُكَ يا ابنَ الهاشِمِيةِ أفضلُ[3]

---

(١) قادة فتح الشام ومصر صـ ٢٠٩ ، ٢٢٧ .

(٢) يقال : أرقل القوم إلى الحرب إرقالًا : أسرعوا ، والإرقال : ضرْب من الخَبَب ، وهي سرعة سيْر الإبل .

(٣) ديوان حسان ١٩٩ - ٢٠٠ طبعة دار صادر البيروتية .

ويرحم الله مَنْ قال :

لما أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْر تَواضَعَتْ   سُورُ المدينةِ والجِبَالُ الخُشَّعُ

الإمامُ البطل الضِّرْغام ، أسد الله أبو عمارة ، وأبو يعلى حمزةُ بن عبد المطلب :

قال رسول الله ﷺ : « سَيِّدُ الشهداء عند الله يوم القيامة حمزةُ بن عبد المطلب »[1].

وقال ﷺ : « سيّد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجلٌ قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه ، فقتله »[2].

قال ابن إسحاق : لما أسلم حمزة ، علمت قريشٌ أن رسول الله ﷺ قد امتنع ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفُّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

وكان حمزة رضي الله عنه أوّلَ قاتلٍ لأوّلِ قتيلٍ من المشركين يوم بدر ، فلما « تَواجَه الفئتانِ ، وتقابل الفريقانِ ، وحضر الخَصْمانِ بين يدي الرَّحمٰن ، واستغاث بربه سيد الأنبياء ، وضجَّ الصحابة بصنوف الدعاء إلى رب الأرض والسماء ، سامعِ الدعاء وكاشِفِ البلاء ، فكان أولَ من قُتل من المشركين : الأسودُ بن عبد الأسد المخزومي .

قال ابن إسحاق : وكان رجلًا شرسًا سَيِّئ الخلق ، فقال : أعاهد الله لأشربنّ من حَوْضهم ، أو لأهدِمنّه ، أو لأموتنَّ دُونه ، فلما خرج خرج إليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة فأطنّ[3] قدمَه بنصف ساقه وهو

(١) حسن ، أخرجه الحاكم في المستدرك عن جابر ، والطبراني في الكبير عن علي ، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٦٧٦ ، والصحيحة رقم ٣٧٤ .

(٢) حسن ، رواه الحاكم والضياء عن جابر ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٦٧٥ ، والصحيحة رقم ٣٧٤ .

(٣) أطنَّ : قطع .

دون الحوْض ، فوقع على ظهره تشخب[١] رجلُه دمًا نحو أصحابه ، ثم حبَا إلى الحوْض حتى اقتحم فيه ، يريد زعم أن تبرَّ يمينُه ، وأَتْبَعَهُ حمزة فضربه حتى قتله في الحوْض »[٢].

« وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أنه كان يُقسم فيها قَسَمًا : إن هذه الآية ﴿ **هذانِ خصْمانِ اختصمُوا في ربِّهم** ... ﴾ نزلت في حمزة وصاحبيْه ، وعُتْبة وصاحبيْه يوم برزُوا في يوم بدر »[٣].

برز عُتْبة وشيْبة والوليد بن عتبة ، فلما توسطوا بين الصفين ، دَعَوا إلى البراز ، فخرج إليهم فتية من الأنصار ثلاثة ، وهم : عوف ومعاذ ابنا الحارث ، وأمهما عفـراء ، والثالث : عبد الله بن رواحـة - فيما قيل - فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهْط من الأنصار . فقالوا : ما لنا بكم من حاجة . وفي رواية : فقالوا : أكفاء كِرام ، ولكن أخرجوا إلينا مِنْ بني عمِّنا . ونادَى مناديهم : يا محمد ، أخرجْ إلينا أكْفاءنا من قومنا . فقال النبي ﷺ : « قُمْ يا عبيدة بن الحارث ، وقمْ يا حمزة ، وقم يا علي » . فلما دَنَوْا منهم ، قالوا مَن أنتم ؟ تكلموا نعرفكم . فقال حمزة : أنا أسد الله وأسد رسول الله ، أنا حمزة بن عبد المطلب . فقال : كفْؤٌ كريم . وقال علي : أنا عبد الله وأخو رسول الله . وقال عبيدة : أنا الذي في الحلفاء . فأمّا حمزة فلم يُمهل شيبةَ أن قتله ، **وأما عليّ فلم يُمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما** بضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ، وكرّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عتبة فذفّفا عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابهما رضي الله عنه .

---

(١) تشخب : تسيل .

(٢) البداية والنهاية ٣ / ٢٧٢ .

(٣) رواه البخاري ، ومسلم ، وابن ماجه ، والنسائي في فضائل الصحابة .

فقالت هندُ في ذلك :

أعَيْني جُودي بدمعٍ سَرَبْ على خيرِ خُنْدُفَ لمْ ينقلبْ
تداعَى لـه رهْطُـه غُـدْوةً بنـو هـاشمٍ وبنـو المطَّلِبْ
يُذيقُـونَهُ حـدّ أسيافِهِـمْ يُعلونـه بعدَمـا قَـدْ عَطِـبْ

ولهذا نذرت هندُ أن تأكل من كبد حمزة[1].

رضي الله عن أسد الله وأسد رسوله ؛ فكم قتل من رجالاتِ المشركين يوم بدر ومنهم طعيمة بن عدي بن الخيار .

عن سعد بن أبي وقاص : كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل يوم أحد بين يديْ رسول الله ﷺ بسيفين ويقول : أنا أسد الله[2].

وعن جابر بن عبد الله قال : فَقَدَ رسول الله ﷺ يوم أُحد حمزةَ حين فاءَ الناسُ من القتال ، قال : فقال رجل : رأيتُه عند تلك الشجرة وهو يقول : « أنا أسد الله وأسد رسوله »[3].

قال الضِّرغَامُ - قولًا صدق به ومضَى عليه - : « والذي أَنزل عليك الكتاب لنجالدنَّهم » . فَيقتل حمزةُ يوم أحد أرطأة بنَ عبد شَرْحَبيل بن هاشم بن عبد مناف ، وكان أحد النفر الذين يحملون اللِّواء ، وكذلك قتل عثمانَ بن أبي طلحة كبشَ قريشٍ ، وحاملَ لوائها ، والقائل :

إنّ علـى أهـلِ اللّـواءِ حقـًّا أن يخَضِبُوا الصَّعْدَةَ أو تَنْدَقّا

فحمل عليه حمزة فقتله .

---

(١) البداية والنهاية ٣ / ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(٢) إسناده صحيح ، رواه الحاكم في المستدرك ، وابن سعد ٣ / ١ / ٦ .

(٣) صحيح ، رواه الحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

كَحمزة لمّا وفّى صادقًا بذي هبة صارمٍ سلجَجِ[١]
فلاقاهُ عبدُ بني نَوْفلٍ يبربرُ كالجملِ الأدْعَجِ
فأوْجَرَهُ حربةً كالشّهَابِ تلهَّبُ في اللَّهبِ المُوهَجِ

قال وحشيُّ بن حرب : مرّ بحمزة سباع بن عبد العزى الغبشاني ، وكان يكنى بأبي نِيارٍ ، فقال حمزة : هلمّ إليّ يا ابن مُقَطِّعة البظور ؛ وكانت أمُّه أمُّ أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، وكانت ختّانةً بمكة ، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله ، والله إني لأنظر لحمزة كأنه الجمل الأَوْرَق ، يَهُدُّ الناس بسيفه هدًّا ، ما يقوم له شيء .

وعند البخاري من قوْل وحشيّ : « خرج سباع فقال : هل من مبارزٍ ؟ قال : فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال : يا سباع ، يا ابن أمِّ أنمار مُقَطِّعَةِ البظور ، أتحادّ الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : ثم شدّ عليه ، فكان كأمسِ الذاهب » .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : نظروا ، فإذا حمزة قد بُقِرَ بطنُه ، وأخذتْ هند كبده ، فلاكتْها . فلم تستطع هند أن تأكلها ، فقال رسول الله ﷺ : « أكلتْ منها شيئًا ؟ » قالوا : لا . قال : « ما كان الله ليُدخل شيئًا من حمزةَ النار »[٢].

وقال رسول الله ﷺ : « لولا جَزَع النساء ، لتركته حتى يُحشر من حواصل الطيْر وبطون السِّباع »[٣].

---

(١) سَلْجَج : طيب لذيذ .

(٢) حسن لغيره ، رواه ابن سعد في الطبقات .

(٣) إسناده حسن لغيره ، رواه ابن سعد في الطبقات .

رضي الله عن أسد الله ، الذي قال فيه عبد الرحمٰن بن عوف : « قُتل حمزة وهو خير منِّي »[١].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمع رسول الله ﷺ نساءَ الأنصار يَبكين على هلكاهُنّ ، فقال : « لكنّ حمزة لا بواكيَ له » . فجئْن فبكين على حمزة عنده ، إلى أن قال : « مروهُنَّ لا يبكين على هالكٍ بعدَ اليوم »[٢].

ولكنّ الإسلامَ وديارَه لا بواكيَ له ولها :

بكى رسول الله ﷺ حمزةَ .. بكى الفروسية والرجولة « ولكن حمزة لا بواكيَ له » .. وفي واقعنا تَدْمَى القلوب قبل العيون صارخة : « ولكن السيف لا بواكي له » ، « ولكن الأعراض لا بواكي لها » ، « ولكن الإسلام لا بواكي له » .

فكمْ من مسجدٍ جعلُوه ديرًا ... على محَرابه رُسِـمَ الصَّليبُ
دَمُ الخِـنزيرِ فيه لهم خَلُـوقٌ ... وتحريقُ المصاحفِ فيهِ طيبُ

وهذي صرخاتِ طفلةٍ من البوسنة :

في عالمٍ قَطَعَ الرقابَ وأشعَلَ النيران في صدر العذَارَى المؤمناتْ
في عالمٍ جعَلَ البطونَ خنادقًا للموت أطلق في بيوت اللهِ رِجْسَ المَعْصِيَاتْ
في عالمٍ فقأَ العيونَ وغاص في دم الصغار وأسكت الصَّلواتْ
في عالمٍ أعطى الكلاب الحقَّ في عِرضِ البناتْ
مِنْ ثدي أمي كان لوْن الدَّمِ يحكي قصة الأهوال في الزمن اللّعينْ

---

(١) رواه البخاري .

(٢) إسناده قوي : أخرجه أحمد ، وابن ماجه ، وابن سعد ، والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي ، وقال ابن كثير في « البداية » ٤ / ٤٨ : هو على شرط مسلم .

كفّنتُ بين يديَّ وجهيَ وانحنيتُ على التراب أُقبّل الأَب الحنونْ
وقد توارى في قطار الراحلينْ
ومضيتُ عاريةً أُغطي عُرْي نفسي والقطار الأسود الملعونْ
يطوي ليلنا الدامي الحزينْ
الآن يا مولاي في صَمْتِ المنابرْ
يشرب الأوْغاد دم المسلمينْ
الآن يأكل ثَدْيَ أُمِّي ألفُ نخَّاسٍ
ويشرب من دمائي ألف قوّادٍ
ويعبث في مآذننا ضلالُ المُفسدينْ
الآن أرحل في قطار الموْت ألعنُ كلّ خائنْ
مَنْ خان يومًا مسجدًا مَن باع آلاف المآذنْ
لا تسأل البحّارَ حين يموتُ مَن في البحر قد خرقَ السفائِنْ
الآن يا مولاي نرحل في قطار الموت تبكينا المدائنْ
فالكل يا مولاي خائنٌ فالكل يا مولاي خائنْ[1]

في البوسنة : ذبح الآباءُ أمامَ الأبناء ... صَبُّ المسكراتِ بالقوة في أفواه القاصرات وحقنهن بدماء الخنازير قبل الاغتصاب ... امرأة تموت فورًا فيغتصبها جندي صربيّ مباشرةً بعد موْتها ، وكان يقول : لا تزال ساخنة ، يمكنني أن أفعل ذلك : ذبح الآلاف كما تُذبح الشّياه ، قطْع رؤوسهم بالمنشار الكهربائي ، وتعليق رؤوسهم على جانبي الطُرُق وفي المساجد ... اغتصاب المئات من القاصرات ، ما بين خمسة سنوات إلى اثنتي عشرةَ سنة ... اغتصاب آلاف المسلمات ...

---

(١) رسالة من طفلة مسلمة بالبوسنة .

فالبكاء على حمزة ، على أسد الله ، الذي كان مِدْرَهًا[1] يذود عن الإسلام كلّ كَفُورٍ ، البكاء على حمزة .. البكاء على الإسلام الآن .. **أشْجَى** :

يا سيدي .. فلأعترِفْ ..
أنّ الجواد الجامحَ المجنون قد خسِرَ الرِّهانْ
وبأن أَوحالَ الليالي السُّود
فوق رؤوسنا
صارت ثياب الملك والتيجانْ
وبأنّ أشباه الرجال تحكّموا
وبأنّ هذا العَصرَ للغلمانْ
يا سيدي .. فَلأَعترف
أن المآذن لا تساوي رقصةً
أو هزّ خَصرٍ في حمى السلطان
أن الفراشاتِ الجميلة
لن تقاوم خِسَّة الثعبانْ
أن الأُسود تموت حُزْنًا
عندما تتحكم الفئرانْ
أن السَّماسِرة الكبارَ توحَّشوا
باعُوا الشعوبَ وأجهضوا الأوطانْ
ولأَعترف يا سيدي
أني وَفَيْتُ .. وأنّ غيريَ خانْ
أني نزفتُ رحيقَ عمري كي يطلّ الصبحُ
لكنْ خانني الوغْد الجبان

---

(١) سَيِّدًا .

قتلوا الشباب وصوْلة الفرسانْ
في زمنِ النخاسَة والهوانْ
سجنوا الزهور وفجر العمر قربانا
لأصنام تبيع الإفك جهرًا
في حِمَى الشيطانْ
القدس ترسم وجْه أحمدَ
والملائك حولهُ
والكون يتلو سورةَ الرَّحمٰنْ
القدس في الأفق البعيدِ
تُطِلُّ أحيانا وفي أحشائها
طَيْفُ ابن زنكيٍّ وحوْله الفرْسانْ
القدس تبدو في ثيابِ الحزنِ
قنديلًا بلا ضوءٍ
بلا نبضٍ .. بلا ألوانْ
تبكي كثيرًا
كلّما حانتْ صلاةُ الفجرِ
وانطفأتْ عيونُ الصبحِ
وانطلق المؤذِّنُ بالأذانْ
القدسُ تسأَلُ
كيف صار الابنُ سمسارًا وباعَ الأمَّ
في سوق الهوانِ بأرخصِ الأثمانْ
صوتُ المآذِنِ والمنابرِ لم يزلْ
في القدسِ يرفع رايةَ العصيانْ

اللهُ أكبرُ منكَ يا زمنَ الهوانْ
اللهُ أكبرُ منكَ يا زمنَ الهوانْ
اللهُ أكبرُ منكَ يا زمنَ الهوانْ

* * *

كانت لنا يومًا .. هنا أوطانْ
وطنٌ بلوْنِ الصُّبْحِ كانْ ..
وطنٌ بلون الفرح
حين يجيءُ منتصرًا على الأحزانْ
وطنٌ أضاءَ الكون عمرًا
بالسماحةِ .. والهدايةِ .. والأمانْ
وطنٌ على أرجائه الخضراءِ هَلَّ الوحيُ
في التوراة .. والإنجيلِ والقرآنْ
في كلّ شبرٍ مِن ثَرَاه
تمهّل التاريخُ .. وانتفضَ الزمانْ
وطنٌ بلونِ الصبح كانْ
يمتد مِن صوْت المؤذنِ
في رُبوعِ الشام .. للسودانْ
ينسَابُ فوق ضفاف دجلةَ ينتشني فيها
ويخشعُ في رُبَا لبنانْ
ويُطِلّ فوق خمائِل الزيتونِ
في بغداد .. في حلب .. وفي عمّانْ
عَيْنَاهُ دجلةُ والفراتُ
جناحُه يمتدُّ في اليمنِ السعيدِ

إلى ضفافِ المغربِ العربي
من أقصى الخليج إلى ذُرا أسوانْ
وُلِد الزمانُ وكبّر الهرمانْ
القلب في سَيْنَاءَ ينبضُ
يحملُ الوحي المتوّجَ بالجلالِ
فيخسأُ الشيطانْ
وطنٌ تطوف عليه مكةُ كعبةُ الدنيا
وبيتُ الحقّ .. والإيمانْ
وطنٌ عنيدٌ أيقظَ الدنيا
وعلّمها طريق المجدِ
علّمها آي الذّكرِ
علمّها البيانْ

* * *

وطنٌ جميلٌ كان يومًا كعبةَ الأوطانْ
ماذا تبقّى منهُ ..
الآن تأكلهُ الكلابُ وترتوي
بالدَّم فوقَ ربوعِهِ الديدانْ
الآن ترحل عنه أفواجُ الحمامِ
وَتَنْعَق الغربانْ
الآن ترتع فيه أسرابُ الجرادِ
وتعبثُ الفئرانْ
الآن يأتي الماءُ مسمومًا
ويأتي الخبزُ مسمومًا

ويأتي الحلمُ مسمومًا
ويأتي الفجر مصلوبًا على الجدرانْ
وطنٌ بلون الفرح يبدو الآن محمولًا
على نعشٍ مِنَ الأحزانْ
جسدٌ هزيلٌ في صقيعِ الموتِ
مصلوبٌ بلا أكفانْ
وطنٌ جميلٌ كان يومًا كعبةَ الأوطانْ
الآنَ ترتحلُ الرجولةُ عن ثَراهُ
ويسقط الفرسانْ
في ساحة الدَّجل الرخيصِ
يغيبُ وجْه الحقِّ
تسقط أمنياتُ العمرِ
يزحَفُ موكبُ الطغيانْ
في ساحةِ القَهْرِ الطويلِ
يضيع صوتُ العدْل
تخبو تسبيحاتُ الفجرِ
تعلُو صيحةُ البهتانْ
وطنٌ بلونِ الصبحِ كانْ
وطنٌ كبيرٌ أنت في عيني
هزيلٌ في ظلامِ السّجن والسجّانْ
وطنٌ جسورٌ أنت في عيني
ذليلٌ في ثياب العجْز والنسيانْ
وطنٌ عريقٌ أنت في عيني
أراكَ الآن أطلالًا

بلا اسم .. بلا رَسْمٍ .. بلا عنوانْ
وطنٌ بلون الصبح كانْ
في أيّ عينٍ
سَوف أحمي وجهَ ابني
بعدما صلبوا صلاحَ الدينِ
يا وطني على الجدرانْ
في أيّ صدرٍ
سوف يسكن قلبُ ابني
بعدما عزلُوا صلاحَ الدينِ
من عَيْن الصغارِ .. وتوّجوا ديّانْ
يا للمهانة عندما تغدو سيوف المجدِ
أَوْسمةً بلا فرسانْ
يا للمهانة عندما يغدو صلاح الدين
خلفَ القدسِ مطرودًا
بلا أهلٍ .. بلا سكنٍ .. بلا وطنٍ .. بلا سلطانْ
في كل شيء أنت يا وطني مهانْ
مَنْ عَلَّمَ الأسد الأبيّ
بأنْ يُنكِّسَ رأسه ويهادنَ الجرذانْ
مَنْ عَلَّمَ الفرس المكابرَ
أن يهرولَ ساجدًا في موْكب الحملانْ
من علّم القلبَ التقيّ
بأن يبيع صلاته ويعود للأوثانْ
من عَلَّمَ الوطنَ العريقَ

بأن يبيع جنودَه ..
ويقايض الفرسانَ .. بالغلمانْ
مَنْ علّم الوطنَ العزيزَ بأن يبيعَ تُرابَهُ
للراغبين بأبخسِ الأثمانْ
مَنْ عَلّمَ السيفَ الجسورَ
بأن يُعانِقَ خَصْمَهُ
ويعلّق الشهداءَ في الميدانْ
يـٰأيُّهَا الوطن المهانْ
إني بريء منكَ ..
أيها الزمن الجبانْ[1]
إني بريء منك يا ..
عصرَ الضياع وسطوةَ الخصيانْ
إني بريء منكَ ..
مِنْ كَفُورك والجبانْ

البطل الكرّارُ البَرَاءُ بن مالك بن النضر ، رضي الله عنه :

قال ﷺ : « كم من أشعثَ أغبرَ ذي طِمرينِ لا يُؤْبَهُ له ، لو أقسم على الله لأبرّه ، منهم البراء بن مالك »[2].

كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الجيش : لا تستعملوا البراءَ على جيش ؛ فإنه مهلكة من المهالك ، يقدم بهم .

---

(١) قصيدة « رسالة إلى صلاح الدين » بتصرف ، للشاعر فاروق جويدة .
(٢) صحيح : رواه الترمذي والضياء عن أنس ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٤٥٧٣ ، تخريج مشكلة الفقر ١٢٥ .

قال الذهبي في السير (١ / ١٩٦) : « بلغنا أن البراءَ يومَ حربِ مسيلمةَ الكذاب أمر أصحابه أن يحتملوه على ترس على أسنة رماحهم ، ويلقوه في الحديقة ، فاقتحم إليهم وشدّ عليهم ، وقاتل حتى افتتح باب الحديقة ، فجُرح يومئذ بضعةً وثمانين جرحًا ، ولذلك قام خالد بن الوليد عليه شهرًا يداوي جراحه »[١].

لك الله يا براء ، تجادل صناديد الشرك بمفردك في حديقة الموت ، حتى تفتح بابها ، والله ما عقمتْ أمةٌ أنجبتْك .

« وقد اشتُهر أن البراء قَتَل في حروبه مائة نفس من الشجعان مبارزةً . وعن ابن سيرين قال : قال الأشعري - يعني في حصار « تُسْتَر » - للبراء ابن مالك : إنْ قد دُللنا على سِرْبٍ يخرج إلى وسطِ المدينة ، فانظر نفرًا يدخلون معك فيه . فقال البراء لمجزأة بن ثور : انظر رجلًا من قومك طريفًا جَلْدًا فسمّه لي . قال : وَلِمَ ؟ قال : لحاجةٍ . قال : فإني أنا ذلك الرجل . قال : دُللنا على سرب ، وأردنا أن ندخله . قال : فأنا معك . فدخل مجزأة أولَ من دخل ، فلما خرج من السِّرب شدخوه بصخرة ، ثم خرج الناس من السرب ، فخرج البراء فقاتلهم في جَوْف المدينة ، وقتل رضي الله عنه ، وفتح الله عليهم » .

وعن أنس مرفوعًا قال : « كم من ضعيف مُتضعف ذي طمرين ، لو أقسم على الله لأبرّه ، منهم البراء بن مالك »[٢].

وإن البراء لقي المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين ،

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط صـ ١٠٩ ، والإصابة ١ / ٢٣٦ ، والاستيعاب لابن عبد البر ١ / ٢٨٧ .

(٢) أخرجه الحاكم ٣ / ٢٩٢ وصحّحه ، ووافقه الذهبي ، وابن عبد البر في الاستيعاب .

فقالوا له : يا براء،إن رسول الله ﷺ قال أنك لو أقسمت على الله لأبرّك ، **فأقسمْ** على ربك . **قال : أقسِم عليك** يا رب لمَا **مَنَحْتَنَا أكتافَهم** ... وذكر الحديث .

ومنحهم الله أكتاف القوم .

وعند الطبري : اللهم اهزمهم لنا ، واستشهدني[1]. وكان له ما أراد .

قال حمّاد بن سلمة : زعم ثابت ، عن أنس **قال : دخلتُ** على البراء وهو يتغنّى ويرنّمُ قوسه ، فقلتُ : إلى متى هذا ؟ قال : أتراني أموتُ على فراشي ؟! والله لقد قتلْتُ بضعًا وتسعين[2].

استشهد الأسد المغوار يوم فتح « تُسْتَر » سنة عشرين .

علَمُ المجاهدين أبو عبد الله جعفر بن أبي طالب ذو الجَناحيْن ، السَّيِّد الشهيد ، رضي الله عنه :

أوّلُ من عَقَرَ في الإسلام .

قال رجلٌ من بني مُرّة بن عوف : لَكَأنّي أنظر إلى جعفر يوم « مُؤْتة » حين اقتحم عن فرسٍ له شقراءَ فعقرها ، ثم قاتل حتى **قتِل**[3].

قال جعفر بعدما عَقَر جوادَه :

يا حبــذا الجنــة واقترابُها ... طَيّبَــةٌ وبــاردٌ شَرَابُهــا
والرُّوم رُومٌ قد دنا عذابُها ... عــليّ إنْ لاقيتُهــا ضِرَابُهَــا

عن محمد بن عمر بن علي قال : « ضربه رومي فقطعه نصفين ، فوُجد في

---

(١) تاريخ الطبري صـ٥١٠ .
(٢) طبقات ابن سعد ٧ / ١ / ١٠ وإسناده صحيح .
(٣) رجاله ثقات ، وإسناده قوي .

نصفه بضعةٌ وثلاثون جرحًا .

وروَى البخاري عن ابن عمر قال : أَمَّرَ رسولُ الله ﷺ في غزوة مؤتة زيدَ بن حارثة ، فقال رسول الله ﷺ : « إنْ قُتل زيدٌ فجعفر ، وإن قتلَ جعفرُ فعبد الله بن رواحة » . قال عبد الله : كنتُ فيهم في تلك الغزوة ، فالتمسْنَا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلَى ، ووجدنا ما في جسده بضعًا وتسعينَ ، مِن طعنةٍ ورميةٍ .

وعن ابن عمر قال : جمعتُ جعفرًا على صدري يوم مؤتة ، فوجدتُ في مُقدم جسده بضعًا وأربعين من بين ضربةٍ وطعنةٍ[(١)] .

وفي البخاري عن ابن عمر : أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل ، فعددتُ به خمسين ، بين طعنةٍ وضربةٍ ليس منها شيء في دُبُره ؛ يعني ظهره .

قال ﷺ : « رأيتُ جعفر بن أبي طالب ملَكًا في الجنة مُضَرَّجةً قوادِمُه بالدماء ، يطير في الجنة »[(٢)] .

بأبي أنت وأمي يا ذا الجناحين ... تُمسك اللواءَ بيمينك فتقطع يمينُك ، فتمسكه بيسارِك فتقطع ، فتضمّه إلى عضدَيْك .

عبد الله بن رَوَاحَة بن ثَعْلَبَة ، الأمير السعيد الشهيد :

لما جهَّز النبيُّ ﷺ إلى مؤتة الأمراءَ الثلاثةَ ، فقال : « الأمير : زيدٌ ، فإن أُصيبَ فجعفر ، فإن أصيب فابنُ رواحة » .

---

(١) إسناده حسن ، سير أعلام النبلاء ١ / ٢١٠ .
(٢) أخرجه الحاكم وصححه ٣ / ٢٠٩ ، وقال الحافظ في الفتح : وإسناده جيد ٧ / ٧٦ .

قال عروة بن الزبير : لما تجهز الناس وتهيئوا للخروج إلى مؤتة ، قال للمسلمين : صحبكم الله ، ودفع عنكم . قال عبد الله بن رواحة :

لكنني أسألُ الرَّحمـٰنَ مغفرةً وضربةً ذاتَ فرغٍ تقذفُ الزَّبَدَا
أو طعنـةً بيدَيْ حـرّانَ مُجهزَةً بحـربةٍ تنفذ الأحشـاءَ والكَبِدَا
حتى يقولوا إذا مرُّوا على جَدَثي أرشدَكَ اللهُ مِن غَازٍ وقد رشَدَا

قال : ثم مَضَوْا حتى نزلوا بأرض الشام ، فبلغهم أن هِرَقْل قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألفٍ من الروم ، وانضمت إليه المستعربة من لَخْم ، وجذام ، وبلقين ، وبهرا ، وبلي ، في مائة ألف فأقاموا لَيْلَتَيْن ينظرون في أمرهم . وقالوا نكتب لرسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدوِّنا . قال : فشجع عبد الله بن رواحة الناسَ ، ثم قال : والله يا قوم ، إنّ الذي تكرهون لَلَّذي خرجتم له ، تطلبون الشهادة ، وما نقاتل العدو بِعُدّة ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلِقوا ؛ فإنما هي إحدَى الحُسْنَيَيْنِ ، إما ظهورٌ وإما شهادة . قال : فقال الناس : قد - والله - صدق ابنُ رواحة . فمضى الناس .

وفي رواية للوليد بن مسلم : استشار زيدٌ أصحابه ، فقالوا : قد وَطِئْتَ البلاد وأخفتَ أهلَها فانصرِفْ ، وابن رواحة سـاكت ، فسأله ، فقال : إنا لم نَسِرْ لغنائم ولكنا خرجنا للِّقاء ، ولسنا نقاتلهم بعدد ولا عُدَّة ، والرأي : المسير إليهم .

وعن زيد بن أرقم قال : كنت يتيمًا لعبد الله بن رواحة في حِجْرِه ، فخرج في سفْرته تلك مُرْدِفي على حقيبةِ راحلتِه ، فوالله إنا لنسير ليلةً ، إذ سمعتُه يتمثَّل بأبياته هذه :

إذا أَدنيْتني وحملْـتِ رحْلي مسـيرةَ أربعٍ بعـد الحِسـاءِ

فشأنُكِ فانعمي وخَلَاكِ ذمٌّ ... ولا أَرْجِعْ إلى أهلي ورائي
وآبَ المسلمون وغادروني ... بأرضِ الشام مستنهى الثَّواءِ[١]
وردّكِ كلّ ذي نسبٍ قريبٍ ... إلى الرحمٰن منقطعَ الإخاءِ
هنالكَ لا أبالي طَلْعَ بعْلٍ ... ولا نخلٍ أسافلها رُوَاء

فلما سمعتهن بكيتُ ، قال : فخفقني بالدِّرة ، وقال : ما عليك يا لُكَع أن يرزقني الله الشهادة ، وترجع بين شعبَتَي الرَّحْل .

فأخذ الرايةَ عبدُ الله بن رواحة بعد قتْل صاحبيه ، فجعل يستنزل نفسَه ، ويتردد بها بعضَ التردُّد ، فقال عند ذلك :

أقسمتُ باللهِ لتنزلنَّهْ ... طائعةً أوْ لتُكْرَهِنَّهْ
إنْ أجلبَ الناسُ وشدُّوا الرَّنَّهْ ... ما لي أراكِ تكرهينَ الجنهْ
قد طالَ ما قد كنتِ مُطمئنهْ ... هل أنتِ إلا نطفةٌ في شَنَّهْ

وقال أيضًا :

يا نفسُ إنْ لا تُقتلي تموتي ... هذا حِمامُ الموتِ قد لَقِيتِ
وما تمنيتِ فقد أُعطيتِ ... إنْ تفعلي فِعْلَهُما هُدِيتِ
وإن تأخرتِ فَقَدْ شقيتِ

ونزل فلما نزل ، أتاه ابن عمٍّ له بعظمٍ من لحمٍ ، فقال : شُدَّ بهذا صُلْبَك ؛ فإنك قد لاقيتَ من أيامكِ هذه ما قد لقيتَ . فأخذه من يده ، ثم انتهشَ منه نَهْشَةً ، ثم سمع الحِطْمَة في ناحية الناس ، فقال : وأنت في الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، ثم أخَذَ سيفه ، فقاتل حتى قُتل ، رضي الله تعالى عنه[٢] .

---

(١) أيْ : حيث انتهى مثواه ، أي : لا أريد رجوعًا .

(٢) الحلية ١ / ١١٨ - ١٢٠ ، والبداية والنهاية ٤ / ٢٤٣ - ٢٤٥ .

أبو دُجَانَةَ الأنصاري ، سِمَاكُ بن خَرَشَةَ رضي الله عنه :

ثبتَ أبو دجانة يوم أُحد مع النبي ﷺ ، وبايعه على الموت ، وهو ممَّن شارك في قَتْل مسيلمة الكذاب ، ثم استُشهد يومئذٍ .

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ سيفًا يوم أُحدٍ فقال : « مَنْ يأخذ مني هذا ؟ » فبسطوا أيديهم ، كلُّ إنسانٍ منهم يقول : أنا ، أنا . قال : « فمن يأخذه بحقِّه ؟ » فأحجمَ القوم ، فقال سِماك بن خَرَشَةَ أبو دجانة : أنا آخذه بحقّه . قال : فأخذه ، ففلق به هامَ المشركين . رواه أحمد ومسلم .

« قال ابن إسحاق : قاتَل أبو دجانة حتى أمْعَن في الناس . قال ابن هشام : حَدَّثني غير واحدٍ من أهل العلم أن الزبير بن العوَّام قال : وجدتُّ في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنَعَنيه وأعطاه أبا دجانة ، وقلت : أنا ابن صفية عمته ومن قريشٍ ، وقد قمتُ إليه وسألتُه إياه قبله ، فأعطاه أبا دجانة وتركني ، والله لأنظرنَّ ما يصنع ، فاتَّبعتُه ، فأخرج عصابةً له حمراءَ ، فعصب بها رأسَه ، فقالتِ الأنصار : أخرج أبو دجانة عِصَابة الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تعصّب ، فخرج وهو يقول :

أنا الذي عاهدَني خليلي ... ونحنُ بالسَّفْحِ لدَى النَّخيلِ
أن لا أقومَ الدهرَ في الكَيُّول[1] ... أضربُ بسيفِ اللهِ والرسولِ

فجعل لا يَلقَى أحدًا إلا قتله ، وكان في المشركين رجلٌ لا يدعُ جريحًا إلَّا ذفَّف[2] عليه ، فجعل كلٌ منهما يدنو من صاحبه ، فدعوتُ الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا فاختلفا ضربتيْنِ ، فضرب المشركُ أبا دجانة ، فاتَّقاه

---

(١) الكَيُّول : مؤخر الصفوف .

(٢) أجهز عليه .

بدرَقَتِه ، فعضّتْ بسيفه ، وضربه أبو دجانة فقتله »[١].

رحمك الله ، ورضي عنك يا أبا دجانة .. يا صاحب عِصابة الموت .. يا مَنْ لا تقوم الدهرَ في الكيول بل تفلق هامَ المشركين .

أمّا نحن ، فتُفلق هامُنا .. وتصبغ العصابات من دمانا وأعراض نسائنا .

قد استردّ السبايا كلُّ منهزمٍ ... لم تبقَ في أسْرِهَا إلا سَبَايَانَا
وما رأيتُ سياطَ الذلِّ داميةً ... إلا رأيتُ عليهم لحْمَ أسْـرَانا
وما نموتُ على حدّ الظِّبا أنفًا ... حتى لقـد خجِلَتْ منّا مَنَايانا

عن أنس بن مالك قال : رمَى أبو دجانة بنفسه يوم اليمامة إلى داخل الحديقة ، فانكسرتْ رجلُه ، فقاتل وهو مكسورُ الرِّجل حتى قُتِلَ رضي الله عنه[٢].

مَجْزَأَةُ بن ثوْرٍ السَّدُوسي :

المغوار الذي جعله الله سببًا في فتح « تُسْتَر » .. بعد أن دلّهم رجلٌ من فارس على منفذٍ خفيٍّ ، ونفقٍ تحت الأرض يصل بين النهر والمدينة ، بعد أن طال حصار تُستر ومصاولة المسلمين للمشركين ثمانين مرة . وسار مجزأة على رأس ثلاثمائة من أشجع جندِ المسلمين ، يُصارعون هذا النفق الخطير ويعبرونه ، وابتلع النفق مائتين وعشرين رجلًا ... وانقضَّ مَجزأة سيد بني بكر وصحبه على حُماة الحصن ، وفتحوا الأبواب وهم يكبرون .

هذا البطل العظيم الذي قتل مائةً مبارزةً .. لله درُّ أمٍّ درَّتْ عليه ، وثَدْيٍ أرضعه !

---

(١) البداية والنهاية ٤ / ١٧ - ١٨ .

(٢) أسد الغابة ٢ / ٤٥٢ ، وسير أعلام النبلاء ١ / ٢٤٤ .

يقول الطبري عن حصار تُسْتَر ، في أحداث سنة سبع عشرة : « قتل البراءُ بن مالك فيما بين أوّلِ ذلك الحصار ، إلى أن فتح الله على المسلمين مائة مبارزٍ ، سوى من قتل في غير ذلك ، وقتل مجزأةُ بنُ ثور مثلَ ذلك ، وقتل كعب بن سور مثل ذلك ، وقتل أبو تميمة مثل ذلك ، في عدةٍ من أهل البصرة ، وفي الكوفيين مثل ذلك ، منهم : حبيب بن قرّة ، ورِبْعيّ ابن عامر ، وعامر بن عبد الأسود - وكان من الرؤساء - في ذلك ما ازدادوا به إلى ما كان منهم »[1].

ثابت بن قيْس بن شَمَّاس الخَزْرجي ، خطيبُ الأنصار والبطل الكرّار ، رضي الله عنه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « نِعْمَ الرجل ثابت بن قيس بن شماس »[2].

وقال له النبي ﷺ : « يا ثابت ، أما ترضَى أن تعيش حميدًا ، وتُقتل شهيدًا ، وتدخل الجنة »[3].

« فلما كان يوم اليمامة ، انهزم الناس ، فقال ثابت : أُفٍّ لهؤلاء ولِمَا يعبدون ! وأفٍّ لهؤلاء ولِمَا يصنعون ! يا معشر الأنصار ، خلُّوا سَنَني لعلّي أصلَىٰ بحرِّها ساعةً ، ورجل قائم على ثُلْمَةٍ ، فقتله وقُتل .

وعن أنس قال : أتيتُ على ثابت بن قيس يوم اليمامة وهو يتحنّط ، فقلت : أي عَمِّ ، ألا ترى ما لقي الناس ؟ فقال : الآن يا ابن أخي .

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٥٠١ طبع دار الكتب العلمية - بيروت .

(٢) أخرجه الترمذي في المناقب ، وقال : حديث حسن . وهو كما قال ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

(٣) إسناده قوي ، أخرجه الحاكم ٣ / ٢٣٤ وصححه ، ووافقه الذهبي .

وعن أنسٍ قال : جئتُه وهو يتحنط ، فقلت : ألا ترى ؟ فقال : الآن يا ابن أخي . ثم أقبل ، فقال : هكذا عن وجوهنا نقارعُ القوم ، بئس ما عوّدتُم أقرانكم ، ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ ، فقاتل حتى قُتل[١] .

« وعن أنسٍ : أن ثابت بن قيسٍ جاء يوم اليمامة ، وقد تحنط ولبس ثوبيْن أبيضيْن ، فكُفِّن فيهما ، وقد انهزم القوم ، فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ، وأعتذر من صنيع هؤلاء ، بئس ما عوّدتم أقرانكم ، خلّوا بيننا وبينهم ساعة ، فَحَمَلَ ، فقاتل حتى قُتل »[٢] .

لك الله يا ثابتُ مِن فارسٍ مغوارٍ وبطلٍ كرّار .. تلبس الكفن ببطولةٍ وفدائية ، **وغيرك من أقزام عصرنا أوْلى بلُبْسِ الكفن من الأموات ذلًّا وخِزْيًا** وهوانا !!

لقد جفّتْ سواقينا وهَدّ الذلُّ مأْوَانا
ولم يتركْ لنا الأعداءُ غرسًا في أراضِينا
سِوى أجيافِ مَوْتانا
أخي إن ضجّ بعد الحرب (يهودي) بأعمالِهْ
وقدّس ذِكْرَ مَن ماتُوا وعظّمَ بَطْشَ أبطالِهْ
فلا تهزجْ لمن سادوا ولا تشمَتْ بمَن دَانا
بل اتبعني لنحفر خندقًا بالرفش والمِعْوَلْ
نُواري فيه موتانا
بل اركعْ خاشعًا مِثلي لنبكي حظَّ موتَانا
أخي مَنْ نحن لا وطن ولا أهل ولا جار

---

(١) رواه البخاري .

(٢) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

إذا نِمْنَا إذا قُمْنا ردانا الخزيُ والعارُ
لقد خمّتْ بنا الدنيا كما خُمَّتْ بموتانا
فهاتِ الرّفش واتبعني لنحفرَ خندقًا آخرْ
نواري فيه أحيانا

نعيم بن مالك بن ثَعْلبة ، وهو أَحَد بني سالمٍ ، رضي الله عنه :

في البداية والنهاية (٤ / ١٣ - ١٤) : قال في يوم أُحد للنبي ﷺ : يا نبي الله ، لا تحرمْنا الجنة ، فوالذي نفسي بيده لأَدخلنّها . فقال له رسول الله ﷺ : « بِمَ ؟ » قال : بأني أحبُّ الله ورسوله ، ولا أفرّ يوم الزَّحف . فقال له رسول الله ﷺ : « صدقت » . واستُشهد يومئذٍ .

عبد الله بن عمرو بن حَرام ، الصحابي الذي كلّمه اللهُ كِفاحًا :

رزقه الله الشهادة يوم أُحد لمّا تعرض لها .

رأى عبدُ الله بن حرام مبشّرَ بن عبدِ المنذر - وكان ممن استشهد ببدرٍ - يقول له : أنت قادمٌ علينا في هذه الأيام . فقصَّها على النبي ﷺ ، فقال : « هذه الشهادة » .

وعن جابرٍ أن أباه قال له : إني مُعرّضٌ نفسي للقتل[1].

وروى البخاري عن جابر قال : لمّا حضر أُحُد ، دعاني من الليل فقال : ما أراني إلّا مقتولًا في أول من يُقتَل من أصحاب النبي ﷺ ، وإني لا أترك بعدي أعزّ عليّ منك ، غيرَ نفسِ رسول الله ﷺ ، وإنّ عليّ دَيْنًا فاقض ، واستوصِ بأخواتك خيرًا . فأصبحنا فكان أول قتيل ...

لله درُّه .. يتعرض للشهادة ويعزم عليها ، ويُوصي ابنه ، وكأنه يرى

---

(١) فتح الباري ٣ / ٢٥٦ .

الشهادة رأْيَ العين ..

قال جابر : لما قُتل أبي يوم أُحد ، جعلتُ أكشف عن وجهه ، وأبكي ، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني وهو لا ينهاني ، وجعلتْ عمتي تبكيه ، فقال النبي ﷺ : « تبكيه أو لا تبكيه ، ما زالت الملائكة تُظلله بأجنحتها حتى رفعتموه »(١).

وعن جابر قال : قال لي رسول الله ﷺ : « ألا أخبرك أن الله كلَّم أباك كفاحًا ، فقال : يا عبدي ، سَلْني أُعطِكَ . قال : أسألك أن تردَّني إلى الدنيا ، فأُقتل فيك ثانيًا . فقال : إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يُرجعون . قال : يا ربِّ ، فأبلغْ من ورائي . فأنزل الله ﴿ **ولا تحسبَنَّ الذين قُتلوا في سبيلِ اللهِ أمواتًا بلْ أحياءٌ عند ربّهم يُرزقون** ﴾ [آل عمران : ١٦٩] »(٢) .

سعد بن الربيع رضي الله عنه :

أَحَدُ النُّقَبَاء ليلةَ العَقَبة .

« لما كان يوْم أُحد قال رسول الله ﷺ : « مَنْ رجلٌ ينظرُ لي ما فعل سعدُ بن الربيع ؟ » فقال رجل من الأنصار(٣) : أنا . فخرج يطوف في القتلَى ، حتى وجد سعدًا جريحًا مثبتًا بآخر رَمَقٍ ، فقال : يا سعد ، إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر : أفي الأحياء أنت أم في الأموات ؟! قال : فإني في الأموات ، فأبلِغْ رسول الله ﷺ السلام ، وقلْ : إن سعدًا يقول : جزاك الله عني خيرَ ما جزى نبيًّا عن أمته ، وأبلغْ قومَك مِني السلام ، وقلْ لهم : إن سعدًا يقول لكم : إنه لا عُذْرَ لكم عند الله إنْ خُلِص إلى نبيّكم

(١) أخرجه أحمد ٣ / ٢٩٨ ، والبخاري (١٢٤٤ ، ٤٠٨٠) ومسلم والنسائي .

(٢) صحيح ، أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن . وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٣) هو أبَيّ بن كعب .

ومنكم عَيْنٌ تَطْرِف »[١].

«وعن مالك بن أنس أن النبي ﷺ قال : « مَنْ يأتينا بخبرِ سعد ؟». فقال رجل : أنا . فذهب يطوف بين القتلَى ، فوجده وبه رمَق ، فقال : بعثني رسول الله ﷺ لآتيه بخبرك . قال : فاذهب فأَقْرِهِ مني السلام ، وأخبره أنني قد طُعنتُ اثنتي عشرة طعنةً ، وقد أنفذت مقاتلي »[٢].

لله دَرُّكَ يا ابن الربيع !

المِقْدَادُ بن عمرو ، فارس بدْر ، رضي الله عنه :

السابق إلى الإسلام ، الفارس يوم الحرب والإقدام ، أعرض عن العمالات ، وآثر الجهادَ والعبادات .

روى البخاريُّ عن عبد الله بن مسعود قال : شهدتُّ من المقداد بن الأسود مشهدًا ، لأَنْ أكون صاحبَه أحبّ إليّ ممّا عُدل به ، أتى النبيَّ ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال : لا نقول كما قال قوم موسَى لموسَى : ﴿ **اذهبْ أنتَ وربُّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون** ﴾ ، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك ، وبين يديْك وخلفك . فرأيتُ النبي ﷺ أشرق وجهُه ، وسُرَّ .

« وعند ابن إسحاق : أن المقداد قال : يا رسول الله ، امضِ لِمَا أراك الله ، فنحن معك لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : ﴿ **اذهبْ أنت وربُّك فقاتِلا إنا هاهنا قاعِدُون** ﴾ ولكن اذهبْ أنت وربُّك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحقّ لو سرتَ بنا إلى « بَرْكِ الغِماد » ،

---

(١) الإصابة ٤ / ١٤٤ ، والاستيعاب لابن عبد البر ٤ / ١٤٥ ، والسيرة لابن هشام ٢ / ٩٤ - ٩٥ .

(٢) الموطأ ٢ / ٢١ ، وطبقات ابن سعد ٣ / ٢ / ٧٧ .

لجالدْنَا معك من دونه . حتى تبلغه . فقال له رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له »[١].

عن أبي راشد الحُبراني قال : وافيتُ المقدادَ فارسَ رسول الله ﷺ بـ« حِمص » على تابوت من توابيت الصيارفة ، قد أفضل عليها من عِظَمِه ، يريد الغزو ، فقلت له : قد أعذر الله إليك . فقال : أبتْ علينا سورة البَحُوث ﴿ انفرُوا خِفَافًا وثِقَالًا ... ﴾ [التوبة : ٤١][٢].

أبو طَلْحَة الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ ، وأحدُ أعْيان البدْرِيِّين ، رضي الله عنه :

هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « لَصوتُ أبي طلحة في الجيش خيرٌ من ألف رجل »[٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لصوتُ أبي طلحةَ في الجيش خيرٌ من فِئةٍ »[٤].

بربِّك قُلْ لي : إنْ كان هذا حال صوته ، فكيف زَنْدُه ونَبْله ، وسيفه ورمْحُه ؟!

---

(١) البداية والنهاية ٣ / ٢٦١ ..

(٢) صحيح : أخرجه ابن سعد ، وأبو نعيم في الحلية ، والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي . وسورة البَحوث هي التوبة ، سُميتْ بذلك لبحثها عن المنافقين وهتْكها لأستارهم .

(٣) صحيح ، رواه الحاكم عن جابر ، وابن عساكر ، وصححه الألباني في الصحيحة رقم ١٢٧٥ ، وصحيح الجامع ٥٠٨١ .

(٤) صحيح ، رواه أحمد والحاكم وابن سعد وأبو نعيم في الحلية والخطيب وابن عساكر ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٠٨٢ .

عن أنس رضي الله عنه أن أبا طلحة كان يرمي بين يديْ رسول الله ﷺ يوم أُحُدٍ ، وكان رجلًا راميًا ، وكان رسول الله ﷺ إذا رمَى أبو طلحة ، رفع بصرَه ينظر أينَ يقع سهمُه . وكان يدفع صدر رسول الله ﷺ بيده ، ويقول : يا رسول الله ، هكذا لا يُصيبك سهم[١] .

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : لما كان يوم أُحد ، انهزم الناس عن رسول الله ﷺ ، وأبو طلحة بين يديْه مُجَوِّبًا عليه بحَجَفةٍ[٢] ، وكان راميًا شديد النّزْع ، كسَر يومئذٍ قوسيْن أو ثلاثةً . وكان الرجل يمرّ معه الجَعْبة من النّبْل فيقول ﷺ : « انثُرْها لأبي طلحة ». ثم يشرف إلى القوم ، فيقول أبو طلحة : يا نبي الله ، بأبي أنت ، لا تُشرف ، لا يُصيبك سهمٌ ، نَحْري دونَ نَحْرِكَ .

وكان إذا بقي مع النبي ﷺ ، جثا بين يديْه ، وقال : نفسي لنفسك الفداءُ ، ووجْهي لِوجْهك الوِقَاءُ .

« وعن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال يوم حُنَيْنٍ : « مَنْ قتل قتيلًا فله سَلَبُه » . فقَتل أبو طلحة يومئذٍ عشرين رجلًا ، وأخذ أسْلاَبهم »[٣] .

وعن أنس رضي الله عنه ، أن أبا طلحة قرأ ﴿ **انفرُوا خِفافًا وثِقالًا** ... ﴾ الآية [التوبة : ٤٢] ، فقال : استنفرنا الله ، وأمَرَنا : شيوخَنَا وشبابَنَا ؛ جهِّزوني . فقال بنوه : يرحمك الله ! إنك قد غزوتَ على عهد رسول الله ﷺ ،

---

(١) أخرجه أحمد ٣ / ٢٨٦ ، ٢٨٧ وابن سعد ٣ / ٥٠٦ وإسناده صحيح .

(٢) مجوبًا عليه : أي مُتَرِّسًا عليه ، والحجفة : الترس .

(٣) إسناده صحيح ، أخرجه أبو داود ، والدارمي ، وابن سعد ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي .

وأبي بكر ، وعمر ، ونحن نغزو عنك الآن . قال : فغزا البحرَ فمات ، فلم يجدوا جزيرةً يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام ، فلم يتغيَّر[١] .

عَمرو بن الجَمُوح بن زيد الخزرجي ، سيِّد بني سَلَمَةَ ، رضي الله عنه :

عن جابرٍ رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « يا بني سلمة ، مَن سيِّدكم ؟ » . قالوا : الجدُّ بن قيس ، وإنا لنبخِّله . قال : « وأيّ داءٍ أدْوَى مِنَ البخل ؟! بل سيدكم : الجَعْد الأبيض عمرو بن الجَمُوح »[٢] .

وأخرج أحمد من حديث أبي قتادة قال : أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، أرأيتَ إنْ قاتلتُ في سبيل الله حتى أُقتل ، أأمشي برجلي هذه صحيحةً في الجنة ؟ - وكانت رجله عَرْجاء - فقال رسول الله ﷺ : « نعم » . فقُتلوا يومَ أُحدٍ : هو ، وابنُ أخيه ، ومولًى له . فمرَّ رسول الله ﷺ فقال : « كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة » . فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فجُعِلوا في قبر واحد[٣] .

لم يشهد رضي الله عنه بدرًا ؛ كان أعرجَ ، ولما خرج يوم أحدٍ منعه بنوه ، وقالوا : عَذَرك اللهُ . فأتى رسول الله ﷺ يشكوهم . فقال : « لا عليكم أنْ لا تمنعوه ؛ لعلّ الله يرزقه الشهادة » .

قالت امرأته هندُ أختُ عبد الله بن عمرو بن حرام : كأني أنظر إليه قد أخذ دَرَقَته ، وهو يقول : اللهمَّ لا تردَّني .

---

(١) إسناده صحيح .
(٢) سنده قوي ، أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، وأبو نعيم في الحلية .
(٣) قال الحافظ في « الفتح » ٣ / ١٧٣ : سنده حسن .

فلما كان يوم أحد قال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنة عرضُها السمٰوات والأرض ، أعِدَّتْ للمتقين » . فقام وهو أعرج ، فقال : والله لأقْحزَنَّ(١) عليها في الجنة . فقاتل حتى قُتِلَ .

ابنُ أمِّ مَكْتُوم القرشي ، رضي الله عنه :

عن مروان بن الحَكَم ، أن زيد بن ثابتٍ أخبره أن رسول الله ﷺ أملَى عليه (لا يستوي القاعدُون مِنَ المؤمنينَ والمجاهدونَ في سبيل الله ...) فجاءَه ابن أمّ مكتوم ، وهو يُملُّها عليّ ، قال : يا رسول الله ، لو أستطيع الجهاد لجاهدتُ . وكان أعمَى ، فأنزل الله على رسوله ﷺ ، وفخِذُه على فخِذي ، فثقلت عليّ ، حتى خفتُ أن تُرَضَّ فخذي ، ثم سُرِّي عنه . فأنزل الله ﴿ **غيرُ أولي الضَّرر** ﴾(٢) .

وكان رضي الله عنه - بعدُ - يغزو ويقول : ادفعوا إلَيّ اللواء ؛ فإني أعمَى لا أستطيع أن أفرَّ وأقيموني بين الصَّفَّين(٣) .

وعن أنس ، أن عبد الله بن زائدة - وهو ابن أم مكتوم - كان يقاتل يوم القادسية وعليه دِرْعٌ له ، حصينة سابغة(٤) .

قال الواقدي : شَهِدَ القادسية معه الراية ، ثم رجع إلى المدينة فمات بها .

قال الذهبي في « السير » (١ / ٣٦٥) : « قلت : ويقال:استشهد يوم القادسية » .

---

(١) القَحْزُ : الوَثْب .

(٢) أخرجه البخاري ، والترمذي ، وابن سعد .

(٣) أخرجه ابن سعد .

(٤) أخرجه ابن سعد ٤ / ١ / ١٥٤ .

لله دَرُّكَ يا مؤذِّن رسول الله ﷺ ! حين تشهد الوغَى ، وطَعْنَ الرماح ووقْع الأسنّة ، وتُمسك بالراية وأنت أعمى .. مِن أيّ طينةٍ طاهرةٍ عَطِرة كنتم ، وبأيّ أرحامٍ حُملتم ، ومن أيّ أصلاب خرجتم ؟! لكأنكم أتيتم إلينا من عوالم علوية غير عالمنا هذا !!

فالقادسيَّةُ ما يزالُ حديثُها ... عِبَرٌ تُضِيءُ بأرْوَعِ الأمثالِ
تَحْكِي مفاخِرَنا وتَذكُر مجدَنا ... فتجيبُها حِطِّينُ بالمِنْوَالِ
صَفَحَاتُ مجدٍ في الخلودِ سطُورُها ... تاقَ الزمانُ لها بغيرِ جِدالِ

الطَّيِّب المُطَيَّب الذي تشتاقُ إليه الجنةُ عمَّار بن ياسر ، رضي الله عنه :

قال رسول الله ﷺ : « إن الجنة لتشتاقُ إلى ثلاثةٍ : علي وعمّار وسَلمان »[1].

وعن علي رضي الله عنه قال : استأذن عمّار على النبي ﷺ ، فقال : « مَنْ هذا ؟ » قال : عمار . قال : « مرحبًا بالطَّيِّب المُطيَّب »[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مُلِئَ إيمانا إلى مُشَاشِهِ » . يعني عمّارًا[3].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اقتدوا باللَّذيْن مِن بعدي ، أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدي عمّار ، وتمسّكوا بعهد

---

(١) حسن ، رواه الترمذي ، والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٥٩٨ .

(٢) صحيح ، أخرجه الترمذي ، وأبو نعيم في الحلية ، والحاكم في المستدرك وصححه ، ووافقه الذهبي .

(٣) إسناده صحيح . رواه النسائي ، والبزار ، وقال الحافظ في الفتح ٧ / ٩٢ : إسناده صحيح . والمُشاش : رؤوس العظام اللَّيِّنة .

ابن أمّ عبد »[١].

وعمار رضي الله عنه هو الذي قال عنه أبو الدرداء رضي الله عنه : « الذي أُجيرَ من الشيطان » .

وقال أبو هريرة : « وعمار الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه » .

قال ابن عمر : رأيت عمَّارًا يوم اليمامة على صخرة ، وقد أشرف يَصيح : يا معشرَ المسلمين ، أَمِنَ الجنة تفرُّون ؟! أنا عمار بن ياسر ، هلمُّوا إلّي . وأنا أنظر إلى أُذُنه قد قطعتْ فهي تُذبذب ، وهو يقاتل أشدَّ القتال[٢].

وعن طارق بن شهاب : إن أهل البصرة غزوا « نهاوند » ، فأمدَّهم أهل الكوفة وعليهم عمار ، فظفروا ، فأراد أهل البصرة ألا يقْسموا لأهل الكوفة شيئًا ، فقال رجل تميمي : أيها الأجدعُ ، تريد أن تشاركنا في غنائمنا ؟! فقال عمار : خيرُ أذنيّ سَبَبْتَ ؛ فإنها أصيبتْ مع رسول الله ﷺ[٣].

عكرمَة بنُ أبي جَهْل :

الشَّريف الرئيس الشهيد أبو عثمان القرشي المخزومي ، رضي الله عنه .

« قال الشافعي : كان محمودَ البلاءِ في الإسلام . رضي الله عنه .

---

(١) حسن ، أخرجه أحمد ، والترمذي ، وصححه ابن حبان ، وأخرجه ابن ماجه مختصرًا ، والحاكم وصحَّحه ، ووافقه الذهبي ، وأخرجه الفسوي في « المعرفة والتاريخ » .

(٢) أخرجه ابن سعد ٣ / ١ / ١٨١ .

(٣) إسناده صحيح ، أخرجه ابن سعد ٣ / ١ / ١٨١ - ١٨٢ ، وعبد الرزاق في المصنف ، والبيهقي في السنن ، والبغوي في شرح السنة .

وقال أبو إسحاق السّبيعي : نزل عِكْرمة يومَ اليرْمُوك ، فقاتل قَتْلًا شديدًا ، ثم استُشهد ، فوجدوا به بضعًا وسبعينَ ، من طعنةٍ ورمْيةٍ وضربةٍ .

وقال عروة وابن سعد وطائفة : قُتل يوم أجنادين »[1] .

لمّا كان يوم اليرموك ، تقدّم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل والقَعْقَاع ابن عمرو أن يُنشِئا القتال ، فبدرا يرتجزان ودعوا إلى البِرَاز ، وتنازل الأبطال وتجاولوا ، وحمِي الحرب وقامت على ساقٍ . فنادى عكرمة : « قاتلتُ رسول الله ﷺ في كلّ موطنٍ ، وأفرّ منكم اليوم ؟! مَنْ يبايع على الموت ؟ فبايعه أربعمائة من وُجوه المسلمين وفرسانهم ، فبايعه عمُّه الحارث بن هشام ، وضرار بن الأزور ، فاستبسلوا وقاتلوا قُدَّام فسطاط خالد ، حتى أثبتوا جميعًا جراْحًا . وأُتي خالد بِعِكْرمة جريحًا فوضع رأسَه على فخِذه ، وبعمرو بن عكرمة فوضع رأسَه على ساقه ، وجعل يمسح عن وجهَيْهما ، ويُقطِرُ الماءَ في حلقَيْهما .

فرضي اللهُ عن شهيد اليرموك عكرمة ، الذي قال فيه ابن كثير : « يُقال : إنه لا يُعرف له ذنبٌ بعد ما أسْلَم »[2] .

أبو الأعْور ، سعيدُ بن زيْد بن عمرو بن نُفَيْل أحدُ العشرة ، رضي الله عنه :

قائد الفرسان يوم أجْنادِين ، وكان من أشد الناس ، وهو الذي أشار على خالد بِبَدْءِ القتال يوم أجنادين لما رَمَى الرومُ المسلمين بالنُّشَّاب ، فصاح سعيد بن زيد بخالد قائلًا : « عَلامَ نستهدف لهؤلاء الأعْلاج ؛ وقد رشقونا بالنشاب حتى شَمَسَتِ[3] الخيل ؟! » . فأقبل خالد إلى خيل المسلمين ،

---

(١) سير أعلام النبلاء ١ / ٣٢٤ .

(٢) البداية والنهاية ٧/ ١١ ، ٧/ ٣٥ ، والطبري ٣/ ٤٠١ .

(٣) امتنعتْ ظهورها عن الركوب .

وقال لهم : « احملوا - رحمكم الله - على اسم الله » . وحمل خالدٌ على الروم ، وحمل المسلمون معه بأجمعهم ، وصبروا مختارين لهجوم الروم عليهم مرتين .. على مَيْمنتهم مرة ، ثمّ على مَيْسرتهم ، ثم صبروا لَرَشْق نبالهم ، وانطلق جيش المسلمين إلى الروم ، فما صبر الروم لهم فَوَاقًا[1] ، وانهزموا هزيمةً شديدة ، وقتلهم المسلمون كيف شاءُوا ، وأصابوا معسكرهم وما حَوى .

وعند الطبري ، عن ابن إسحاق : « فلما رأى القبقلار[2] ما رأى من قتال المسلمين ، قال للروم : لفّوا رأسي بثوْبٍ . قالوا : لِمَ ؟ قال : يوم البئِيس ، لا أحب أن أراه ، ما رأيت في الدنيا يومًا أشدَّ من هذا . فاحْتَزَّ المسلمون رأسَه ، وإنه لَمُلَفَّفٌ » .

ولعلّ أروع بطولاته تلك التي سجّلها يوم اليرموك :

« قال سعيد بن عمرو بن نُفيل : لمّا كان يوم اليرموك كنا أربعًا وعشرين ألفًا أو نحوًا من ذلك ، فخرجتْ لنا الروم بعشرين ومائة ألفٍ ، وأقبلوا علينا بخطًى ثقيلةٍ ، كأنهم الجبال تُحركها أيدٍ خفيّةٌ وسار أمامهم الأساقفةُ والبطارقةُ والقسِّيسُون يحملون الصلبان وهم يجهرون بالصلوات ، فيردِّدُها الجيش من ورائهمْ ، ولهم هَزِيمٌ كهزيم الرَّعد . فلما رآهم المسلمون على حالهم هذه ، هالتْهم كثرتُهم ، وخالط قلوبَهم شيءٌ من خوْفهم . عند ذلك قام أبو عبيدة بن الجراح يحضُّ المسلمين على القتال ، فقال : عبادَ الله ، انصروا الله ينصرْكم ويثبّتْ أقدامكم . عباد الله ، اصبروا ؛ فإن الصبر منجاةٌ

---

(١) الفواق : ما بين الحلْبَتَيْن من الوقت ، والمراد : الزمن القصير .

(٢) قائد جيش الروم .

من الكفر ومرضاةٌ للرب ، وَمَدْحَضَةٌ للعار . وأَشرعُوا الرماح ، واستتِرُوا بالتروس ، والزموا الصمتَ إلا من ذكْر الله عز وجل في أنفسكم ، حتى آمركم إن شاء الله .

قال سعيد : عند ذلك خرج رجلٌ من صفوف المسلمين وقال لأبي عُبيدة : إني أزمعتُ[1] على أن أقضي أمري الساعة[1] ، فهل لك من رسالة تبعث بها إلى رسول الله ﷺ ؟ فقال أبو عُبيدة : نعم ، تُقرئه مني ومن المسلمين السلامَ ، وتقول له : يا رسول الله ، إنا وجدْنا ما وعدنا ربُّنا حقًّا . قال سعيد : فما إنْ سمعتُ كلامَه ، ورأيتُه يمتشِقُ حُسَامَه ويمضي إلى لقاءِ أعداء الله ، حتى اقتحمتُ[2] إلى الأرض ، وجثوْتُ على ركبتَّي ، وأشرعتُ رمحي ، وطعنت أوَّلَ فارس أقبَل علينا ، ثم وَثَبتُ على العدوِّ ، وقد انتزع الله كلَّ ما في قلبي من الخوْف ، فثار الناس في وُجوه الروم ، وما زالوا يقاتلونهم حتى كتب الله للمؤمنين النصر »[3].

« قال حبيب بن سلمة : اضطررنا يوم اليرموك إلى سعيد بن زيد ، فللّه درُّ سعيد ! ما سعيد يومئذ إلا مثلُ الأسد ، لما نظر إلى الروم وخافها ، اقتحم إلى الأرض وجثا على ركبتيْه ، حتى إذا دَنَوْا منه وثب في وجوههم مثلِ الليْثِ ، فطعن برابته أوَّلَ رجلٍ من القوم فقتله ، وأخذ - واللهِ - يقاتل راجلًا - قتالَ الرجل الشجاع البَأْسِ - فارسًا ، ويعطِفُ الناسُ إليه »[4].

---

(١) أزمعتْ : عزمتُ . وأقضي أمري الساعة : أي أموت في هذه الساعة .

(٢) اقتحمت إلى الأرض : رميتُ بنفسي بشدةٍ على الأرض .

(٣) صُور من حياة الصحابة ١ / ١٥٥ - ١٥٨ للدكتور عبد الرحمٰن رأفت الباشا - طبع مؤسسة الرسالة .

(٤) تاريخ ابن عساكر ١ / ٥٤١ ، الأزدي ٢٢٦ .

حَكِيمُ الأُمَّةِ أبو الدَّرْدَاء :

« قال ابن إسحاق : كان الصحابة يقولون : أَتْبَعُنَا للعلم والعمل أبو الدرداء .

قال سعيد بن عبد العزيز : أسلم أبو الدرداء يومَ بدر ، ثم شَهِدَ أُحُدًا ، وأمَرَه رسول الله ﷺ يومئذٍ أن يَرُدَّ مَنْ على الجبل ، فردَّهم وحْدَه » .

أبو أيُّوب الأنصارَي ، السيّدَ الخزرجي ، النَّجَّاري البدْري :

رفع الله في الخافقيْن ذِكْره ، وأعلى في الأنام قَدْرَه حين اختار بيْتَه مِن دون بُيوت المسلمين جميعًا لينزل فيه النبي ﷺ ، لما حلَّ في المدينة مهاجرًا ، وحسبُه بذلك فَخْرًا .

أمّا في شيخوخته فقد كان عجبًا .

وكانت آخر غزَوَاته حين جهَّز معاويةُ جيشًا بقيادة ابنه « يزيد » لفتْح القسطنطينية ، وكان أبو أيُّوب آنذاك شيخًا طاعِنًا في السِّنِّ يحبو نحو الثمانين من عمره ، فلم يمنعه ذلك من لقاءِ العدوّ ، لكنّه لم يمض غيرُ قليلٍ على مُنازَلة العدو ، حتى مرض أبو أيوب مرضًا أقعده ، فأتاه يزيد يعوده ، فقال : حاجتكَ ؟ قال : نعم ، إذا أنا متّ فاركب بي ، ثم تبيّغْ[1] بي في أرض العدوّ ما وجدتَّ مَسَاغًا ، فإذا لم تجد مساغًا ، فادفنّي ثم ارجعْ ، فلما مات ركب به ، ثم سار به ، ثم دفنه . وكان يقول : قال الله : ﴿ **انفروا خِفافًا وثِقالًا** ... ﴾ الآية [التوبة : ٤١] ، لا أجدُني إلا خفيفًا أو ثقيلًا .

وعند ابن سعد : عن أبي ظبيان ، قال : أغزى أبو أيوب فمرض ،

---

(١) تبيّغ به الدم : أي تردَّد فيه . وفي « الطبقات » ، و« أسد الغابة » ، وابن عساكر : ثم سُغْ،أي : ادخل فيها ما وجدت مُدَّخَلًا .

فقال : إذا متُ فاحملوني ، فإذا صافقتم العدوَّ ، فارموني تحت أقدامكم . أمَا إني سأحدثكم بحديث سمعتُه من رسول الله ﷺ ، سمعته يقول : « من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة »[1].

يا له من شَوْقٍ عارم إلى الجهاد ، لا يحدُّه حدٌّ ! فرضي الله عن السيِّد الشيْخ المجاهد ، المدفون تحتِ أسوار القسطنطينية .

أبو الغادية ، الصحابي الذي قَتَل بِسَهْمٍ واحدٍ ثلاثمائة رُوميّ في وقتٍ واحدٍ :

لا تعجبْ .. فحياة الصحابة كلُّها أعاجيبُ .

تركْنا البحارَ الزاخراتِ وراءنا فَمِنْ أينَ يدري الناسُ أنَّى توجَّهنا

قال الذهبي عن أبي الغادية : « مِن وجوه العرب ، وفرسان أهل الشام .

قال عثمان بن أبي العاتكة : رمَى العدوّ الناسَ بالنِّفْطِ ، فقال معاوية : أمَا إذْ فعلوها فافعلوا . فكانوا يترامَوْنَ بها . فتهيَّأ روميٌّ لرمْي سفينة أبي الغادية في طنجير[2] ، فرماه أبو الغادية بسهمٍ ، فقتله ، وخرّ الطنجير في سفينتهم ، فاحترقتْ بأهلها . كانوا ثلاثمائة . فكان يُقال : رميةُ سهمِ أبي الغادية قتلتْ ثلاثمائة نفسٍ »[3].

الصحابي الجليل سَلَمَة بن عمرو بن الأكْوَع رضي الله عنه :

قال مولاه يزيد : سمعتُ سلمةَ يقول : بايعتُ رسول الله ﷺ على الموت ، وغزوتُ معه سبعَ ....

(١) إسناده قوي ، أخرجه ابن سعد ٣ / ٤٨٤ - ٤٨٥ .

(٢) الطّنجير : قِدرٌ نُحاسي ، مُعرَّب ، وفارسيّته : باتيل .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢ / ٥٤٥ .

غزَوات[١].

عن إياس بن سلمة ، عن أبيه قال : بيَّتنا هوازن مع أبي بكر الصديق ، فقتلتُ بيديّ لِيْلتئذٍ سبعة أهل أبيات[٢] ، وكان شعارُنا تلك الليلة : « أَمِتْ أَمِتْ » .

« وروى مسلم في صحيحه عن سلمة : قدِمنا الحديبيةَ مع رسول الله ﷺ ونحن أربعَ عشرَةَ مائة ، وعليها خمسون شاةً لا تُرْويها . قال : فقعد رسول الله ﷺ على جبَا الرَّكِيَّة[٣] ، فإمّا دعا وإما بصَق فيها . قال : فجاشتْ[٣] ، فسقينا واستقينا . قال : ثم إن رسول الله ﷺ دعانا للبيْعةَ في أصل الشجرة . قال : فبايعتُه أوّلَ الناس ، ثم بايع وبايع ، حتى إذا كان في وسطٍ من الناس ، قال : « بايعْ يا سلمة » . قال : قلت : قد بايعتُك يا رسول الله في أوَّلِ الناس . قال : « وأيضًا » . قال : ورآني رسول الله ﷺ عَزِلًا - يعني ليس معه سلاح - قال : فأعطاني رسول الله ﷺ حَجَفَة أو دَرَقَةً ، ثم بايع ، حتى إذا كان في آخر الناس قال : « ألا تبايعني يا سَلمة ؟ » قال : قلت : قد بايعتك يا رسول الله في أوَّل الناس ، وفي أوسط الناس . قال : « وأيضًا » . قال : فبايعتُه الثالثة ، ثم قال لي : « يا سلمة ، أين حَجَفَتُكَ أو دَرَقَتُكَ التي أعطَيتُك ؟ » قال : قلتُ : يا رسول الله ، لقيني عمّي عامر عَزِلًا فأعطيتُه إيّاها . فضحك رسول الله ﷺ ، وقال : « إنك كالذي قال الأول : اللهم أبغني حبيبًا ، هو أحبّ إليّ من نفسي » . ثم إن المشركين راسلونا الصُّلح ، حتى مشى بعضنا في بعض ، واصطلحنا

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي .

(٢) إسناده حسن ، أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن سعد .

(٣) الجَبَا : ما حول البئر ، والحوْض . والرَّكِيَّة : البئر . وجاشت : ارتفعت .

قال : وكنتُ تَبيعًا لطلحة بن عُبيد الله ، أسقي فرسَه وأحسُّه وأخدمه ، وآكل من طعامه ، وتركت أهلي ومالي إلى الله ورسوله ﷺ . قال : فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة ، واختلط بعضنا ببعض ، أتيتُ شجرةً فكسحتُ شوكها ، فاضطجعت في أصلها . قال : فأتاني أربعةٌ من المشركين من أهل مكة ، فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ ، فأبغضهُم ، فتحولتُ إلى شجرةٍ أخرى ، وعلّقوا سلاحهم واضطجعوا ، فبينما هم كذلك ، إذْ نادَى منادٍ من أسفل الوادي : يا للمهاجرين ، قُتِلَ ابن زنيم . قال : فاخترطتُّ سيفي ، ثم شددتُ على أولئك الأربعة وهم رقودٌ ، فأخذت سلاحهم ، فجعلتُه ضِغثًا في يدي . قال : ثم قلت : والذي كَرَّم وَجْهَ محمدٍ ، لا يرفع أحد منكم رأسَه إلا ضربتُ الذي فيه عيناه . قال : ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ ، وجاء عمِّي عامرٌ برجل من العَبَلات - يُقال له : « مكرز » - يقوده إلى رسول الله ﷺ على فرس مُجَفَّفٍ في سبعين من المشركين ، فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال : « دعُوهم ، يكن لهم بَدءُ الفجور وثِنَاه » . فعفا عنهم رسول الله ﷺ ، وأنزل الله ﴿ **وهو الذي كفَّ أيْديَهم عنكمْ وأيديَكُم عنهُمْ بِبَطْنِ مكةَ مِن بعدِ أنْ أظفرَكُم عليْهم** ... ﴾ الآية كلّها . قال : ثم خرجنا راجعين إلى المدينة ، فنزلنا منزلًا بيننا وبين بني لِحْيان : جبلٌ ، وهم المشركون ، فاستغفر رسول الله ﷺ لمن رَقِيَ هذا الجبل الليلة ، كأنه طليعةٌ للنبي ﷺ وأصحابه . قال سلمة : فرقيتُ تلك الليلة مرتين أو ثلاثًا ، ثم قدمنا المدينة ، فبعث رسول الله ﷺ بِظَهْره[1] مع « رباح » غلامِ رسول الله ﷺ وأنا معه ، وخرجتُ معه بفرس طلحة ، أندّيه مع الظَّهر ، فلما أصبحنا إذا عبد الرحمٰن الفَزَارِي قد أغار على ظَهْرِ رسول الله

---

(١) الإبل تُعَدُّ للركوب وحمْل الأثقال .

ﷺ فاستاقه أجمع ، وقَتَل راعيه . قال : فقلت : يا رباح ، خذْ هذا الفرس ، فأبلِغه طلحة بن عبيد الله ، وأخبرْ رسول الله ﷺ أنّ المشركين قد أغاروا على سرحه . قال : ثم قمتُ على أكَمَة فاستقبلتُ المدينة ، فناديتُ ثلاثًا : يا صَبَاحاه . ثم خرجتُ في آثار القوم أرميهم بالنَّبْل ، وأرتجز أقول :

أنـا ابنُ الأكـوعْ والـيومُ يومُ الرُّضَّعْ

فألحق رجلًا منهم فأصكُّ سهمًا في رحْلِهِ ، حتى خلص نَصْلُ السهم إلى كَتِفِه . قال : قلت : خذْها .

وأنـا ابنُ الأكـوعْ والـيومُ يوم الرُّضَّعْ

قال : فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم ، فإذا رجع إليّ فارسٌ أتيتُ شجرةً فجلست في أصلها ، ثم رميْتُه فعقرتُ به ، حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايُقه ، علوتُ الجبلَ فجعلتُ أُردّيهم بالحجارة ، فما زلتُ كذلك أتبعهم ، حتى ما خَلَقَ اللهُ من بعيرٍ من ظَهْرِ رسول الله ﷺ إلّا خلّفتُه وراء ظهري ، وخلَّوْا بيني وبينه ، ثم اتبعتُهم أرميهم حتى ألقوْا أكثر من ثلاثين بُرْدةً ، وثلاثين رمحًا يستخفّون ، ولا يطرحون شيئًا إلا جعلتُ عليه آرامًا من الحجارة ؛ يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه ، حتى أتوا مُتَضايقًا من ثَنِيَّةٍ ، فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري ، فجلسوا يتضحَّوْن - يعني يتغدّون - وجلستُ على رأسِ قَرْنٍ . قال الفزاري : ما هذا الذي أرى ؟ قالوا : لقينا من هذا البَرْح ، والله ما فارقنا منذ غَلَسٍ يرمينا حتى انتزع كلِ شيء في أيدينا . قال : فليقمْ إليه نفرٌ منكم أربعةٌ . قال : فصعِد إليّ منهم أربعةٌ في الجبل . قال : فلمّا أمكنوني من الكلام ، قال : قلت : هل تعرفونني ؟ قالوا : لا ، ومن أنت ؟ قال : قلت : أنا سلمة بن الأكوع ، والذي كرّم وجه محمدٍ ﷺ لا أطلب رجلًا منكم إلا أدركتُهُ ، ولا يطلبني رجل منكم

فيدركني . قال أحدهم : أنا أظنُّ . قال : فرجعوا ، فما برحتُ مكاني حتى رأيتُ فوارسَ رسول الله ﷺ يتخلَّلون الشجر . قال : فإذا أوّلهم : الأخْرم الأَسَدي ، على إثْره أبو قتادة الأنصاري ، وعلى إثْره المقداد بن الأسود الكِنْدي . قال : فأخذتُ بعَنَانِ الأخْرَم . قال : فولَّوا مدبرين . قلتُ : يا أخرم ، احذرهم ، لا يقتطعوك حتى يلحَق رسولُ الله ﷺ وأصحابه . قال : يا سلمة ، إن كنتَ تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلمُ أن الجنة حَقٌّ والنَّار حقٌّ ، فلا تَحُـلْ بيني وبين الشَّهادة . قال : فخلّيتُه ، فالتقى هو وعبد الرحمٰن . قال : فَعَقَـرَ بعبدِ الرحمٰن فرسَه ، وطعنه عبدُ الرحمٰن فقتله ، وتحوّل على فرسه ، ولحِقَ أبو قتادة فارسُ رسول الله ﷺ بعبد الرحمٰن فطعنه فقتله ، فوالذي كرّم وجه محمد ﷺ ، لتبعتهُم أعدو على رجليّ ، حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمدٍ ﷺ ، ولا غبارِهم شيئًا ، حتى يعدِلوا قبل غروب الشمس إلى شِعْبٍ فيه ماء ، يقال له : ذو قَرَد ؛ ليشربوا منه وهم عِطاشٌ . قال : فنظروا إليّ أعدو وراءهم ، فخلّيْتُهم عنه - يعني أجليْتُهم عنه - فما ذاقوا منه قطرةً . قال : ويخرجون فيشتدون في ثَنِيّةٍ . قال : فأعدو فألحق رجلًا منهم ، فأصكّه بسهم في نُغْض كَتِفِهِ . قال : قلتُ : خذها .

وأنـا ابـنُ الأكـوعْ والـيومُ يومُ الرّضّـعْ

قال : يا ثَكِلَتْهُ أمُّهُ أكْوَعُهُ بكْرَةَ ؟ قال : قلتُ : نعم يا عدوّ نفسِه ، أكْوَعُكَ بُكْرَة . قال : وأرادوا فرسين على ثَنِيَّة . قال : فجئت بهما ، أسوقهما إلى رسول الله ﷺ ، ولحقني عامرٌ بسطيحةٍ فيها مَزْقَةٌ من لبنٍ وسطيحةٍ فيها ماءٌ ، فتوضأت وشربتُ ، ثم أتيتُ رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي حلّيْتُهم عنه ، فإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الإبل وكلّ شيءٍ استنقذتُه من المشركين ، وكلّ رمحٍ وبُرْدةٍ ، وإذا بلال نَحَرَ ناقةً

من الإبل الذي استنقذتُ من القوم ، وإذا هو يشوي لرسول الله ﷺ من كَبِدِهَا وسَنامها . قال : قلت : يا رسول الله ، خلّني فأنتخبُ من القوم مائةَ رجلٍ فأتّبع القوم ، فلا يبقَى منهم مُخبرٌ إلا قتلتُه . قال : فَضَحِكَ رسول الله ﷺ ، حتى بَدَتْ نَواجِذُهُ في ضوء النار . فقال : « يا سلمة ، أتراكَ كنتَ فاعلًا ؟ » قال : قلت : نعم ، والذي أكرمك . فقال : « إنهم الآن لَيُقْرَوْن في أرض غَطَفَان » . قال : فجاء رجل من غَطَفَان ، فقال : نَحَرَ لهم فلان جزورًا . فلما كشفوا جلدَها رأوا غبارًا ، فقالوا : أتاكم القوم . فخرجوا هاربين ، فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ : « كان خيرَ فرساننا اليوم أبو قتادة ، وخيرَ رَجَّالتِنا سلمَةُ » . قال : ثم أعطاني رسول الله ﷺ سَهْمَيْن : سهمَ الفارس وسهمَ الراجل فجمعهما إلي جميعًا ، ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءَه على العَضْبَاء راجعين إلى المدينة . قال : فبينما نحن نسير ، قال : وكان رجل من الأنصار لا يُسبَق شدًّا ، قال : فجعل يقول : ألا مُسابِقٌ إلى المدينة ؟ هل من مُسابِقٍ ؟ فجعل يُعيد ذلك ، فلما سمعتُ كلامه ، قلت: أما تُكْرِم كريمًا ، ولا تَهَاب شريفًا ؟ قال : لا ، إلا أن يكون رسولَ الله ﷺ . قال : قلت : يا رسول الله ، بأبي وأمي ، ذرني فلأسابقنَّ الرجلَ . قال : «إنْ شئت » . قال : قلت : اذهب إليك . وثنيتُ رجليّ ، فطَفَرْتُ فعدوتُ ، فربطت عليه شَرَفًا أو شَرَفَيْن أستبقي نفسي[1] ، ثم عدوتُ في إثْره فربطت عليه شرفًا أو شرفيْن ، ثم إني رفعت حتى ألحقه . قال : فأصكُّه بين كَتِفيْه ، قال : قلتُ : قد سُبِقتَ والله . قال : أنا أظنُّ . قال : فسبقتُه إلى المدينة ... » .

---

(١) أي : حبست نفسي عن الجرْي الشديد . والشرف : ما ارتفع من الأرض . وطفرت : أي وَثَبْتُ .

فيا لبديع صُنع ابن الأكوع !! يطارد جيشًا بمفرده حتى يستردَّ منهم ما سلبوه ، وهو راجلٌ ، بل ويأخذ منهم السَّلَب والغنيمة ، ولا يسمح لهم حتى بشرْب الماء !!

وعلى النقيض .. تطارد ملايينَ العرب شرذمةٌ من اليهود ، تأخذ منهم كل شيء ، ولا تُبقي لهم إلا العطش ، تأخذ أغلى مقدَّساتهم ، ولا تعطيهم إلا الذبح ... وهتْكَ الأعراض وبقْر البطون .. ومع هذا فالمسلمون نائمون .. ومنْ لم توقظْه النوائب وتُعلي همَّتَه .. فليطُلْ نومُه .. فإلى الجماهير الغافلة :

نامي فإنْ لم تشبعي من يقظةٍ فمن المنامِ
نامي على زَبَدِ الوعود يُدَافُ في عسَل الكلامِ
نامي تَزُرْكِ عرائسُ الأحلام في جُنْح الظَلامِ
تتنوّري قرصَ الرغيف كدورةِ البدر التمامِ
وَتَرَي ذرائبَكِ الفِساحَ مُبلَّطاتٍ بالرُّخامِ
نامي إلى يومِ النشورِ ويوم يُؤذنُ بالقيامِ
نامي على المُسْتنقَعَاتِ تموجُ باللُّجَجِ الطَّوامي
زخّارةً بشذا الأقاح يمدّه نَفْخُ الخُزَامِ
نامي على قَتْل الرضيع كأنّه سجْعُ الحمامِ
نامي على لون الدماءِ كأنّه شهْدُ الطعامِ
نامي على هتْك النساءِ كأنّه طُهْر التمامِ
نامني على ذبْح الرجال كأنهم أضحَى اللئامِ
نامي على مَهْد الأذى وتوسَّدي خدَّ الرّغامِ
واستفرشي صُمَّ الحصَى وتلحّفي ظُلَلَ الغمامِ
فالشمس لن تؤذيك بعدُ بما توهَّج من ضِرامِ

والنور لن يُعمي جفونًا قد جُبلْنَ على الظلامِ
نامي إليك تحيتي وعليك نائمةً سَلامي

فارسُ رسول الله ﷺ ، أبو قتادةَ الحارثُ بن ربعيّ ، الأنصاريّ السّلِمِيّ ، رضي الله عنه :

عن سلمة بن الأكوع ، عن النبي ﷺ : « خير فرساننا أبو قتادة ، وخير رَجَّالتنا سلمةُ بن الأكوع »[(١)].

قال أبو قتادة : إني لأغسل رأسي ، قد غسلتُ أحدَ شِقَّيْه إذ سمعتُ فرسي جِرْوَة تصهلُ وتبحث بحافرها ، فقلت : هذه حرب قد حضرتْ ، فقمتُ ولم أغسل شقّ رأسي الآخر ، فركبتُ وعليّ بُرْدةٌ ، فإذا رسول الله ﷺ يصيح : « الفَزَع الفَزَع » . فأُدرك المقدادَ فسايرتُه ساعةً ، ثم تقدّم فرسي ، وكان أجودَ من فرسه ، وأخبرني المقدادُ بقتل مسعدة[(٢)] محرزًا - يعني ابن نضلة - فقلت للمقداد : إما أن أموت أو أقتل قاتلَ محرز . فضرب فرسَه ، فلحقه أبو قتادة ، فوقف له مسعدةُ ، فنزل أبو قتادة فقتله وجنب فرسه معه ، قال : فلما مرّ الناس تلاحقوا ونظروا إلى بُرْدي فعرفوها ، وقالوا : أبو قتادة قُتِلَ . فقال رسول الله ﷺ : « لا ، ولكنه قتيل أبي قتادة ، عليه بُرْدُه ، فخلّوا بينه وبين سَلَبه وفرسه » . قال : فلما أدركني ، قال : « اللهم باركْ له في شَعْره وبَشَرِه . أفلح وجهُك ، قتلتَ مسعدةَ ؟ » قلت : نعم . قال : « فما هذا الذي بوجهك ؟ » قلت : سهمٌ رُميتُ به . قال : « فادْنُ مِنّي » ، فبصق عليه ، فما ضربَ عليّ قطّ ، ولا قاح . فمات أبو قتادة وهو ابن سبعين سنة ، وكأنه ابنُ خمسَ عشرةَ سنةً . قال : وأعطاني

---

(١) أخرجه الطبراني وأحمد ومسلم .

(٢) زعيم المشركين .

فرسَ مسعدةَ وسلاحَه[١].

وقال أبو قتادة : خرجنا مع رسول الله ﷺ عامَ حنينٍ ، فلما التقينا رأيت رجلًا قد علا المسلمين ، فاستدرتُ له مِن ورائه ، فضربتُه بالسيف على حبل عاتقي ضربَةً قطعت منها الدّرع ، فأقبل عليّ ، وضمّني ضمّةً وجدتُ منها ريحَ الموت ، ثم أرسلني ومات - إلى أن قال -: فقال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَتَلَ قتيلًا له بيّنةٌ فله سَلَبُه » . فقمتُ فقلت : مَنْ يشهد لي ؟ وقصصتُ عليه ، فقال رجلٌ : صدق يا رسول الله ، وسلبُ ذلك القتيل عندي ، فأرضِه منه . فقال أبو بكر : لاها الله ! إذًا لا يعمد إلى أسد من أُسد الله يقاتل عن الله ورسوله ، فيعطيك سلبَه . وقال النبي ﷺ : « صدق » . فأعطانيه ، فبعتُ الدّرع وابتعت به مخرفًا في بني سلمة ، فإنه لأول مالٍ تأثلتُه في الإسلام[٢].

وعند أحمد بإسناد صحيح : فقال عمر : لا يُفيئها الله على أسد من أُسده ، ويعطيكَها . فضحك رسول الله ﷺ ، وقال : « صدق عمر » .

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذْ تأخر عن الراحلة ، فدعَمْتُه بيدي ، حتى استيقظ ، فقال : « اللهمّ احفظْ أبا قتادةَ كما حفظني منذ الليلة ، ما أرانا إلا قد شققْنا عليك »[٣].

وعن عبد الله بن عُبيد بن عُمير أن عمر بعث أبا قتادة ، فقتلَ ملكَ فارس بيده ، وعليه منطقةٌ قيمتُها خمسةَ عشرَ ألفًا ، فنفَلَها إياه ....

---

(١) المغازي للواقدي ، والمعجم الصغير ، والمستدرك ، والاستيعاب ، والإصابة ١١ / ٣٠٣ .
(٢) الموطأ ، والبخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي .
(٣) سنده صحيح ، أخرجه الطبراني ، وأحمد ، ومسلم .

عمـــر[١] .

البطلُ عُكَّاشةُ بن محْصن يقتل فارسَيْن بطعنةٍ واحدةٍ :

وأسدنا عكاشةُ أحدُ السبعِين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب .

ذكر ابن إسحاق في سيرته أنه أدرك في غزوة الغابة أوْبارًا ، وابنَه عمرَو بن أوْبار ، وهما على بعيرٍ واحدٍ ، فانتظمهمَا بالرُّمحِ فقتلهما جميعًا ، واستنقذ بعض اللقاح[٢] .

قاتَل عكاشةُ يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده ، فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جذلًا من حطبٍ ، فقال : « قاتلْ بهذا يا عكّاشة » . فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزَّه فعاد سيفًا في يده طويلَ القامةِ شديدَ المتْن أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين ، وكان ذلك السيف يُسمّى : العوْن ، ثم لم يزل عنده يشهد به المَشاهدَ مع رسول الله ﷺ حتى قتله طليحة الأسدي أيامَ الرِّدَّة[٣] .

لله ما أعظمَ شوقَهم للشهادة والجنة ! فهذا عُمير بن الحَمام الأنصاري :

يوم بدرٍ يسمع قول رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنةٍ عرضها السمٰوات والأرض » . فقال عمير : يا رسول الله ، جنةٌ عرضها السمٰوات والأرض ؟ قال : « نعم » . قال : بَخٍ بَخٍ . فقال رسول الله ﷺ : « ما يحملك على قول : بخٍ بخٍ ؟ » قال : لا والله يا رسول الله ، إلا رجاءَةَ أن أكون من أهلها . قال : « فإنك مِنْ أهلها » . فأخرج تمراتٍ من قَرنِهِ ،

---

(١) رجاله ثقات .

(٢) مشارع الأشواق ٢/٩٨٥ .

(٣) البداية والنهاية ٣ / ٢٩٠ .

فجعل يأكل منهنَّ ، ثم قال : لئِن أنا حييتُ حتى آكل تمراتي هذه ، إنها لحياةٌ طويلةٌ . قال : فرمَى بما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قُتل[١] .

حَرام بن ملحان الأنصاري ، رضي الله عنه :

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : « لما طُعِنَ حرام بن ملحان - وكان خاله - يوم بئر معونة قال بالدَّم هكذا ، فنضحه على وجهه ورأسه ، ثم قال : فزتُ وربِّ الكعبة » . أخرجه البخاري .

الله أكبر ... فزت وربِّ الكعبة .

وقالها عامر بن فهيرة ، فأسلم قاتلُه في الحال .

حَنْظَلَةُ غِسِّيل الملائكة :

عن الزبير بن العوام قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول عند قتْل حنظلة بن أبي عامر بعد أن التقى هو وأبو سفيان بن الحارث ، حين علاه شداد بن الأسود بالسيف فقتله ، فقال رسول الله ﷺ : « إن صاحبكم تغسّله الملائكة ، فسلوا صاحبته عنه » . فقالت : إنه خرج لمّا سمع الهائعةَ وهو جُنُبٌ . فقال رسول الله ﷺ : « لذلك غسّلته الملائكة »[٢] .

الله أكبر ، يستشهَد يوم زفافه ! فهل هناك مثلٌ أعلى للبطولة والشهامة ، والوفاء لدينه ونبيه فوق هذا ؟!

قد كانت ليلةُ المعركة الليلة التي دخل فيها بزوجته جميلة بنت أُبيّ

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد عن أنس بن مالك .

(٢) حسن ، رواه الحاكم وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وسكت عليه الذهبي ، وله شاهد مرسل عند البيهقي وشاهدٌ عند أبي يعلى والطبراني في الكبير .

ابن سلول ، كما يقول الواقدي .. يترك زوجه بعد أن تشبثتْ به ، فيتركها ليمضي على عَجَلٍ ، ليخوض معركةً طاحنة رهيبة .. وقد كاد هذا البطل أن يَقتل أبا سفيان قائد عام المشركين ، وحَمَل عليه ، وبعد أن عقر فرس أبي سفيان وقع أبو سفيان علىٰ الأرض ، فعلاه حنظلةُ ليذبحه .. فسارَع شدادُ بن الأسود الملقّب بابن شعوب ، فضرب حنظلةَ فقتله وهو باركٌ على صدر أبي سفيان[1] .

أنس بن النَّضر :

عن أنسٍ رضي الله عنه قال : « غاب عمّي أنس بن النضر عن قتال بدرٍ ، فقال : يا رسول الله ، غبتُ عن أول قتالٍ قاتلت المشركين ، لئن أشهدني الله قتالَ المشركين ، لَيرينَّ الله ما أصنع . فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون ، قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدّم فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال : يا سعد بن معاذ ، الجنةَ وربِّ النضر ، إني أجد ريحها من دون أُحدٍ . قال سعد : فما استطعتُ يا رسول الله ما صنع . قال أنس : فوجدنا به بضعًا وثمانين : ضربةً بالسيف ، أو طعنةً برمح ، أو رميةً بسهمٍ ، ووجدناه قد قُتل وقد مَثَّل به المشركون ، فما عرفه أحدٌ إلا أُختُه ، ببنانِهِ . قال أنس : كنا نرى - أو نظنُّ - أنّ هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه : ﴿ **مِنَ المؤمنينَ رجالٌ صدقُوا ما عاهدوا الله عليه** ... ﴾ إلى آخر الآية »[2] .

سَيِّد الأنصارِ سعد بن معاذ ، رضي الله عنه :

رضي الله عن السيِّد البطل ، الذي قال للرسول ﷺ في يوم بدر

(١) انظر سلسلة معارك الإسلام الفاصلة لبشاميل « أحد » صـ ١٤٤ - ١٤٦ .

(٢) أخرجه البخاري .

لما قال : « أشيروا عليّ أيُّهَا الناس » . قال : واللهِ لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : « أَجَل » . قال : فقد آمنا بك وصدّقناك ، وشهدنا أنّ ما جئتَ به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودَنَا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة لك ، فامضِ يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضتَّ بنا البحر لخضناه معك ما تخلّف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا ، إنا لصُبُرٌ في الحرب ، صُدُقٌ عند اللقاء ، لعلّ الله أن يُرِيَكَ منا ما تَقرّ به عينُك ، فسرْ على بركةِ الله .

قال ابن إسحاق : فسُرّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشّطه ، ثم قال : « سيروا وأبشروا ؛ فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتيْن ، واللهِ لكأني أنظر إلى مَصَارِع القَوْمِ »[1].

« واللهِ لا نُعطيهم إلا السَّيف » :

كلماتٌ لسعد بن معاذ تسطَّر بمدادٍ من نور في تاريخ أمتنا .

لما تكالبت قُوى الشرك بكتائبها الهائجة ، وكادت تغرق القِلة المؤمنة ، أراد رسول الله ﷺ أن يعقد صلحًا منفردًا بينه وبين غَطَفَان ، وسيديْها : عيينة بن حِصن والحارث بن عوف ، على أن تفكّ غطفان الحصارَ عن المدينة ، وتنسحب بجيوشها وتخذل الأحزابَ ، على أن يعطيهم رسول الله ﷺ ثلثَ ثمار نخْل المدينة ، واستشار رسول الله السعديْن ، فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم - يعني غطفان - لا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة ، إلا قِرًى[2] أو بيْعًا ، وإن كانوا ليأكلون العِلْهز[2] في

---

(١) البداية والنهاية ٣ / ٢٦١ .

(٢) القِرَى : الضيافة ، والعلهز : وبر يُخلط بدماءِ الحَلَم ، كانت العرب في الجاهلية تأكله في الجَدْب .

الجاهلية في الجهد ، أَفَحينَ أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له ، أعزّنا بك وبه ، ونُقطعهم أموالنا ؟! ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم . ثم خرج سعد إلى سيِّدَيْ غطفان وقد رفع صوته في تحدٍّ : ارجعا ، ليس بيننا وبينكم غير السيف .

يا للرجال ! في وقتٍ بلغتْ القلوب الحناجر من شدّة الكرْب وتقاطُر البلايا ؟! كلمات تصدر من فمِ الصادق سعد ، تتفجّر منها ينابيع الرجولة والشجاعة والأَنَفَة ، فتبثُّ الأملَ في نفوس المسلمين ، وتُدهش سيِّدَيْ غطفان ؛ فيفيقوا ، ويعلّمهم سعد أن الذي يصنع النصر قوةُ العقيدة ، وزخم الإيمان بالله والثقة به .

الأنصارُ أكثرُ الناس شهيدًا :

قال ابن عبد ربه في « العقد الفريد » (١ / ١١٨) : « رجالُ الأنصار أشجعُ الناس . قال عبد الله بن عباس : ما استُلَّتْ السيوف ، ولا زحفتِ الزحوف ، ولا أقيمتِ الصفوف ، حتى أسلم ابنا قيْلة ، يعني الأوس والخزرج ، وهما الأنصار من بني عمرو بن عامر ، من الأزد » .

عن قتادة قال : « ما نعلم حيًّا من أحياء العرب أكثر شهيدًا ، أغرَّ يوم القيامة من الأنصار . قال قتادة : وحدّثنا أنس بن مالك أنه قُتل منهم يوم أُحدٍ سبعون ، ويوم بئر معونة سبعون ، ويوم اليمامة سبعون . قال : وكان بئر معونة على عهد رسول الله ﷺ ، ويوم اليمامة على عهد أبي بكر يوم مسيلمة الكذاب »[1].

وعن أنس أنه كان يقول : يا ربّ، سبعين من الأنصار يوم أحد ،

---

(١) أخرجه البخاري .

وسبعين يوم بئر معونة ، وسبعين يوم مسيلمة الكذاب ، وسبعين يوم جسر أبي عبيدة .

سعد بن خَيْثمة الأنصاري رضي الله عنه :

أحد نقباء الأنصار الاثني عشر ، شهد العقبة الأخيرة مع السبعين ، ولما ندب رسول الله ﷺ الناسَ إلى غزوة بدر قال لهُ أبوه خيثمة : إنه لا بدّ لأحدنا أن يقيم ، فآثِرني بالخروج وأقمْ مع نسائِك . فأبى سعد ، وقال : لو كان غير الجنة آثرتك به ؛ إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا . فاستَهما ، فخرج سهمُ سعد ، فخرج فقتِل ببدرٍ[1] .

أبو عَقيل عبد الرحمٰن بن ثعْلبة الأنصاري ، رضي الله عنه :

بدريّ ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .

روى ابن الجوزي ، عن جعفر بن عبد الله بن أسلم ، قال : لما كان يوم اليمامة واصطفّ الناس ، كان أول من جُرح أبو عَقِيل ، رُمِي بسهمٍ ، فوقع بين منكبيْه وفؤادِه في غير مَقتل ، فأخرج السهم ووهَن له شقُّه الأيسر في أول النهار ، وجُرّ إلى الرَّحل . فلما حمي القتال وانهزم المسلمون وجاوزوا رحالهم - وأبو عقيل واهِن من جُرحه - سُمع معن بن عدي يصيح : يا لَلأنصارِ ، اللهَ اللهَ والكرّةَ على عدوّكم . قال عبد الله بن عمر : فنهض أبو عَقيل يريد قومه ، فقلت : ما تريد ؟! ما فيك قتال . قال : قد نوَّه المنادي باسمي . قال ابن عمر : فقلت : ماذا تريد ؟! ما فيك قتال . قال : قد نوَّه المنادي باسمي . قال ابن عمر : فلت له : إنما يقول : يا لَلأنصار . ولا يعني الجرحى . قال أبو عَقيل : أنا من الأنصار ، وأنا أجيبه ولو حَبْوًا . قال

(١) صفة الصفوة ١ / ٤٦٨ .

ابن عمر : فتحزّم أبو عَقيل وأخذ السيف بيده اليمنى ، ثم جعل ينادي : يا لَلأنصار ، كرّةً كيومِ حُنين ، فاجتمِعوا رحمكم الله جميعًا ، تقدّموا فالمسلمون دريئة دون عدوّهم . حتى أقحموا عدوّهم الحديقة ، فاختلطوا واختلفتِ السيوف بيننا وبينهم . قال ابن عمر : فنظرتُ إلى أبي عَقيل وقد قُطعت يده المجروحة من المنكب فوقعتْ إلى الأرض ، وبه من الجراح أربعةَ عشرَ جرحًا ، كلّها قد خلصتْ إلى مقتل ، وقُتل عدوّ الله مسيلمة . قال ابن عمر : فوقفتُ على أبي عَقِيل وهو صريعٌ ، بآخر رَمَقٍ ، فقلت : يا أبا عَقيل . قال : لبيك - بلسان ملتاث - لمن الدّبرَة ؟ قلت : أبشِر ، قد قُتل عدو الله . فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله . ومات يرحمه الله .

قال ابن عمر : فأخبرت عمر ، بعد أن قدِمت ، خبره كله . فقال : رحمه الله ، ما زال يسعى للشهادة ويطلبها ، وإن كان - ما علمتُ - من خِيار أصحاب نبينا ﷺ ، وقديم إسلامهم ، رضي الله عنه[1] .

« لقد كان يوم اليمامة يومًا من أيام الله .. يوم عَلَتْ فيه الهمم ، حمي البراء بن معرور .. وكان إذا رأى الحرب أخذتْه العرواء ، فيجلس على ظهر الرجال حتى يبول في سراويله ، ثم يثور كما يثور الأسد ، وقاتلتْ بنو حنيفة قتالًا لم يعهد مثله ، وجعلتِ الصحابة يتواصوْن بينهم ، ويقولون : يا أصحابَ سورة البقرة ، بطل السِّحر اليوم . وقال زيد بن الخطاب : أيّها الناس ، عَضُّوا على أضراسكم ، واضربوا في عدوّكم ، وامضوا قدمًا . وقال : والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله ، أوْ ألقى الله فأكلمه بحُجَّتي . فقُتل شهيدًا ، رضي الله عنه . وقال أبو حذيفة : يا أهل القرآن ، زيّنوا القرآن بالفعال . وحملَ فيهم حتى أبعدهم ، وأصيب ، رضي الله عنه . وحَمَل

(١) صفة الصفوة ١ / ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

خالد بن الوليد حتى جاوزهم ، ورجع ثم وقف بين الصفيْن ودعا للبِراز ، وقال : أنا ابن الوليد العوْد ، أنا ابن عامرٍ وزيد . ثم نادَى بشعار المسلمين - وكان شعارهم يومئذٍ : يا محمداه - وجعل لا يبرز له أحدٌ إلا قتله ، ولا يدنو منه شيءٌ إلا أكلَه ، وميّز خالدٌ المهاجرين من الأنصار من الأعراب ، وكل بني أب على رايتهم ، يقاتلون تحتها ، حتى يعرف الناس من أين يُؤْتَوْن ، وصبرت الصحابة في هذا الموطن صبرًا لم يُعهد مثلُه ، ولم يزالوا يتقدمون إلى نحور عدوّهم حتى فتح الله عليهم ، وولّى الكفار الأدبارَ ، واتّبعوهم يقتلون في أقفائهم ، ويضعون السيوف في رقابهم حيث شاءوا ، حتى أَلجَئُوهم إلى حديقة الموت ، وقد أشار عليهم محكم اليمامة - وهو محكم بن الطفيل لعنه الله - بدخولها ، فدخلوها وفيها عدوّ الله مُسيلمة لعنه الله ، وأدرك عبدُ الله بن أبي بكر محكمَ بن الطفيل فرماه بسهم في عنقه وهو يخطب فقتله ، وأغلقتْ بنو حنيفة الحديقة عليهم ، وأحاط بهم الصحابة . وقال البراء بن مالك : يا معشر المسلمين ، ألقوني عليهم في الحديقة . فاحتملوه فوق الجحفِ ، ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها ، فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه ، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأبوابها ، يقتلون مَن فيها من المرتدّة من أهل اليمامة ، حتى خلصوا إلى مُسيلمة لعنه الله ، وإذا هو واقفٌ في ثلمةِ جدارٍ كأنه جملٌ أوْرق ، وهو يريد يتساند ، لا يعقل مِن الغيظ ، وكان إذا اعتراه شيطانه أزبَدَ ، حتى يخرج الزّبد من شِدْقيْه ، فتقدم إليه وحشيّ بن حرْب مولى جُبَيْر بن مُطعم - قاتل حمزة - فرماه بحربته فأصابه وخرجتْ من الجانب الآخر ، وسارع إليه أبو دُجانة سِمَاك بن خَرشة ، فضربه بالسيف فسقط ، فنادتْ امرأةٌ من القصر : واأمير الوضاءة ، قتله العبد الأسود . فكان جملةُ من قُتلوا في الحديقة وفي المعركة قريبًا من عشرة آلاف مقاتل ،

وقيل : واحدٌ وعشرون ألفًا »[١].

قال ضرار بن الأزور البطل في غزوة اليمامة :

فَلو سُئِلَتْ عَنَّا جَنوبٌ لأَخْبرتْ عَشِيَّةَ سَالَتْ عَقِرباءُ ومُلْهَمُ
وسال بفرع الوادي حتى ترقرقتْ حجارتُهُ فيه من القومِ بالدَّمِ
عشيةَ لا تُغني الرماحُ مكانها ولا النَّبْلُ إلا المشرفيُّ المُصَمِّمُ
فإن تبتغي الكفارَ غير مسيلمٍ جَنوبٌ فإني تابعُ الدين مُسْلِمُ
أُجاهدُ إذْ كانَ الجهادُ غنيمةً ولله بالمرءِ المجاهد أعلمُ

أبو يحيىٰ صُهَيب الرومي ، الرابح بيْعه :

عن حماد بن سلمة : حدثنا عليُّ بنُ زيد ، عن ابن المسيِّب ، قال : أقبل صُهَيبٌ مُهَاجرًا ، واتَّبَعه نفرٌ ، فنزلَ عن راحلته ، ونَثَل كِنَانَتَهُ ، وقال : لقد علمتم أني من أرماكم ، وأيمُ الله ، لا تَصِلون إليَّ حتى أرمي بكلّ سهمٍ معي ، ثم أضربُكم بسيفي ، فإن شئتُم دللتُكم على مالي ، وخلَّيتُم سبيلي ؟ قالوا : نفعل . فلما قَدِمَ على النبي ﷺ قال : رَبِحَ البيعُ أبا يحيى . ونزلتْ : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ ...** ﴾.

وفي رواية أخرى : « أخرج منها أربعين سهمًا ، فقال : لا تصلون إليّ حتى أضع في كل رجل منكم سهمًا ، ثم أصيرُ بعدُ إلى السيف ، فتعلمون أني رجلٌ » .

وعن أنس : « ونزلتْ على النبي ﷺ ﴿ **وَمِنَ الناسِ مَن يشري نفسَه ابتغاءَ مرضاتِ الله ...** ﴾ الآية ، فلما رآه النبي ﷺ ، قال : « يا أبا يحيى ، رَبِحَ البيعُ » . قال : وتلا عليه ....

(١) البداية والنهاية ٦ / ٣٢٩ - ٣٣٠ .

الآيـة »[١].

عبدُ الله بن أُنيس البطل ، قاتل خالد بن سفيان الهذَلي :

ذكر البيهقـي في الدلائل : « عـن عبد الله بن أنيس قال : دعـاني رسول الله ﷺ فقال : « إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي يجمع لي الناس ليغـزوني ، وهو بعُـرَنة ، فائتِه فاقتلْه » . قال : قلت : يا رسول الله ، انعتْه لي حتى أعرفه . قال : « إذا رأيتَه وجدتَّ له قشعريرة » . قال : فخرجتُ متوشّحًا سيفي ، حتى وقعتُ عليه وهو بعرنة مع ظعْنٍ يرتادُ لهُـنَّ منزلًا ، وحين كان وقت العصر فلما رأيته ، وجدت ما وصف لي رسول الله ﷺ من القشعريرة ، فأقبلتُ نحوه ، وخشيتُ أن يكون بيني وبينه مجاولة تشغلـني عن الصـلاة ، فصلّيت وأنا أمشي نحوه أومىء برأسي للركوع والسجود ، فلما انتهيتُ إليه قال : مَنِ الرجل ؟ قلت : رجلٌ من العرب ، سمع بك وبجمْعك لهذا الرجل ، فجاءك لذلك . قال : أَجَل ، أنا في ذلك.قال : فمشيتُ معه شيئًا ، حتى إذا أمكنني ، حملتُ عليه بالسيف حتى قتلتُه ، ثم خرجتُ وتركتُ ظعائنه[٢] مُكِبّاتٍ عليه ، فلما قدِمتُ على رسول الله ﷺ فرآني قال : « أفلح الوجه » . قال : قلت : قتلتُه يا رسول الله . قال : « صدقت » . قال : ثم قام معي رسول الله ﷺ فدخل في بيته ، فأعطاني عصا ، فقال : « أمسِكْ هذه عندك يا عبد الله بن أنيس » . قال : فخرجتُ بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله ﷺ ، وأمرني أن أُمسكها . قالوا : أوَ لا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك .

(١) صحيح ، أخرجه الحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرّجاه .

(٢) نساؤه .

قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، لِمَ أعطيتني هذه العصا ؟ قال : « آية بيني وبينك يوم القيامة . إن أقلّ الناس المنحصرون يومئذ » . قال : فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه ، حتى إذا مات أُمِرَ بها فضُمّتْ في كفنه ، ثم دُفِنَا جميعًا »[١].

قال عبد الله بن أنيس في قتْله خالد بن سفيان :

تركتُ ابنَ ثورٍ كالحوار وحولَهُ نوائحُ تفري كلّ جَيبٍ مُعـدَّدِ
تناولتُه والظعـنُ خلفي وخلفَـهُ بأبيضَ مِنْ ماءِ الحديد المُهَنَّدِ
أقـولُ له والسيفُ يعجمُ رأسَـهُ أنا ابنُ أنيسٍ فارسٌ غيرُ قعددِ
أنا ابنُ الذي لم ينزل الدهر قدرَهُ رحيبُ فنـاءِ الدار غـيرُ مـزنّدِ
وقلـتُ له خذهَـا بضرْبةِ ماجدٍ خفيفٍ على دين النبيّ محمَّـدِ
وكنـتُ إذا هَـمَّ النـبيُّ بكافرٍ سبقـتُ إليه باللّسـان وباليَدِ[٢]

أبو سنان وهب الأسدي ، أوَّلُ مَن بايع تحت الشجرة :

يا له من سبّاق إلى الخير .. بلغت همته فوق الثريا !!

أنتَ تدري أيّها الحيرانُ عنَّا كيفَ فوقَ الشمسِ أزمانًا حَلَلْنا

عن الشّعبي : أنّ أول من بايع رسولَ الله ﷺ بيعةَ الرضوان أبو سنان الأسدي .

« وأخرج الحميدي ، عن الشعبي قال : لما دعا رسول الله ﷺ الناسَ إلى البيعـة ، **كان أول من انتهى إليه أبو سنان** ، **فقال : ابسـطْ يدَكَ أبايعك** . فقال النبي ﷺ : « علامَ تبايعني ؟ » فقال أبو سنان : على ما في .....

---

(١) رواه أحمد بلفظه ، وأخرجه أبو داود مختصرًا والبيهقي بلفظ أحمد ، وقال الساعاتي في الفتح الرباني ٧ / ٢٨ : حسَّنَ الحافظ إسناده .

(٢) البداية والنهاية ٤ / ١٤٣ .

نفسك »[١] .

يا الله .. « على ما في نفسك » .. تُغني عن أي تعليق !

أمير المؤمنين ، وفارسُ الخلفاء ، وابن الحواري أبو خبيب عبد الله بن الزبير ابن العوّام ، رضي الله عنه :

عن عثمان بن طلحة قال : كان ابن الزبير لا ينازَع في ثلاثة : شجاعة ، ولا عبادةٍ ، ولا بلاغةٍ[٢] .

شهد عبد الله معركة اليرموك الحاسمة مع أبيه ، فلما انهزم الروم يوم اليرموك ، جعل يُجْهز على جَرْحاهم[٣] .

ولما انتهى عمرو بن العاص من فتح طرابلس ، أمر الخيل بالإسراع إلى « صبراته » لفتحها ، وأسرعت الخيل بقيادة عبد الله بن الزبير ، فصبحوها من ليلتهم على غرّةٍ ، فوجدوا أبواب السور مفتوحةً وأهلها مشغولين بإخراج الحيوانات للمرعى ، فاقتحموها عليهم بالقوة وأوقعوا فيهم القتل حتى استسلموا ، ولم يهرب منهم أحد إلا من ركب البحر هاربًا إلى صقلية ، وهدَم المسلمون سورها خوفًا من تحصُّن الروم به مرةً ثانية ، وغنموا كلّ ما فيها ، وكان شيئًا كثيرًا .

قَتْل عبدِ الله بن الزبير لملك إفريقية « جُرْجِير » :

وشهد ابن الزبير فتح (إفريقية) أيام عثمان بن عفان ، تحت لواء عبد الله بن سعد بن أبي السرح ، وكان الفتح على ....

---

(١) تفسير ابن كثير ٧ / ٣١٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٧٠ .

(٣) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٩٦ - ٣٩٧ .

يـديْـه[١] .

قال ابن الزبير : هَجَمَ علينا جُرْجِيرُ في عشرين ومائة ألف ، فأحاطوا بنا ونحن في عشرين ألفًا[٢] .

« سيّر عثمانُ ابنَ الزبير في جماعة إلى إفريقية ، سنة ستٍ وعشرين الهجرية ، ليأتيه بأخبار الفتح ، فسار مُجِدًّا حتى وصل إلى المسلمين هناك وأقام معهم ، ولما وصل كثُر الصِّياحُ والتكبير في المسلمين ، فسأل « جُرْجيرُ » ملكُ إفريقية عـن الخبر ، فقيل : « قد أتاهم عَسْكرٌ » . ففتَّ ذلك في عضُده ... ورأى عبد الله قتالَ المسلمين كلّ يوم ، من بكْرةٍ إلى الظهر ، فلما أذّن سمع منادي « جُرجير » يقول : من قتل عبد الله بن سعد فله مائة ألفِ دينارٍ ، وأزوِّجه ابنتي . فخاف عبد الله بن سعد على نفسه ، فحضر ابن الزبير عند عبد الله بن سعد وقال له : تأمر مناديًا ينادي : مَن أتاني برأس « جُرجير » نفلْتُه مائة ألفٍ ، وزوّجتُه ابنتَه ، واستعملته على بلاده . ففعل ، فصار « جرجير » يخاف أشدَّ مِن عبد الله بن سعد . ثم إن عبد الله ابن الزبير قال لعبد الله بن سعد : إنّ أمْرَنَا يطول مع هؤلاء ، وهم في أمدادٍ متَّصِلةٍ وبلادٍ هي لهم ، ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم ، وقد رأيتُ أن نترك غدًا جماعةً صالحةً من أبطالِ المسلمين في خيامهم متأهبين ، ونقاتل نحن الروم في باقي العَسْكَر إلى أن يضجروا ويَملّوا ، فإذا رجعوا إلى خيامهم ورجع المسلمون ، ركب مَنْ كان في الخيام من المسلمين ، ولم يشهدوا القتال ، وهم مستريحون ، ونقصدهم على غرّةٍ ، فلعلّ الله ينصرنا عليهم . فأحضر ابن سعد جماعةً من أعْيَان الصحابة واستشارهم ،

---

(١) الإصابة ٤ / ٧١ .

(٢) السير ٣ / ٣٧١ .

فوافقوه على ذلك .

وفي صباح الغد نفّذ ابن سعدٍ خطّةَ ابن الزبير هذه ، فأقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم ، وخيولهم عندهم مسرجةٌ ، ومضَى الباقون فقاتلوا الروم إلى الظهر قتالًا شديدًا ، فلما أذّن بالظهر وهمّ الروم بالانصراف على العادة ، لم يتركهم ابن الزبير وألحّ عليهم بالقتال حتى أتعبهم ، ثم عاد عنهم هو والمسلمون ، فكلٌّ من الطائفتين ألقى سلاحَه ووقع تعبًا .. عند ذلك أخذ ابن الزبير من كان مستريحًا من شجعان المسلمين وقصد الروم ، فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم ، وحملوا حملة رجل واحدٍ . وكبّروا ، فلم يتمكن الروم من لُبْس سلاحهم حتى غَشِيَهم المسلمون ، ونظر عبد الله فرأى « جُرجير » وقد خرج من عسْكره ، فأخذ معه جماعة من المسلمين وقصده فقتله »[1] .

فقد رأى ابن الزبير « جُرجير » وراءَ عسْكره على برذون أشهب ، ومعه جاريتان تظلانه بريش الطواويس ، وبينه وبين عسْكره أرضٌ بيضاء ليس فيها أحدٌ ، فاختار ثلاثين فارسًا من المسلمين وأخذهم معه ... ثم حَمَلَ في الوجه الذي فيه « جُرجير » ، وقال للفرسان الذين معه : احمُوا ظهري ... فخرق الصف إلى جرجير ، وخرج صامدًا له ، وما يظنُّ هو وأصحابه إلا أن ابن الزبير رسولٌ إليه ، حتى دنا منه ، فعرف الشرّ ، فثنى بِرْذَوْنه مُولِّيًا ، ولكنّ ابن الزبير أدركه فطعنه ، ودافّه[2] بالسيف ، وحزّ رأسَه ، ونصبه في رمح ، وكبَّر ... فحمل المسلمون من الوجه الآخر ، فانهزم العدو في كلّ وجهٍ ، ومنح الله المسلمين ....

---

(١) أسد الغابة (٣ / ١٦٢) ، وابن الأثير (٣ / ٣٤) .
(٢) دافّ مدافّة ودفافًا : أي أجهز عليه .

أكتافهم[١].

وانهزم الروم بعد أن قتل ابنُ الزبير « جرجير » ، فقتل المسلمون منهم مقتلةً عظيمةً ، وأُخِذَتْ ابنة « جُرجير » سبيةً ، فنفّلها ابن الزبير ، وكان سهمُ الفارس ثلاثة آلافِ دينارٍ ، وسهمُ الراجل ألف دينارٍ . ولما أراد ابن أبي سرح أن يبشّر عثمان بالفتح ، قال لابن الزبير : أنت أَوْلى بهذا . فأرسله إلى عثمان بشيرًا ، فأخبره بما فتح الله عليه ، فأمره عثمان أن يخطب ، فلما خطب قال عثمان : كأنه أبو بكر[٢].

قال الذهبي في السير (٣ / ٣٧٧) : « قد كان يُضرب بشجاعته المثل » .

قاتل يوم الدار دفاعًا عن عثمان ، فجرح بضعة عشر جرحًا غائرة ، يقول : وإني لأضع اليوم يدي على بعضِ تلك الجراحات ، فأرجو أن تكون خيرَ أعمالي .

يقول رجلٌ من أهل حمص ، يصف يوم ابن الزبير الأخير ، قال : « رأيته يوم الثلاثاء ، وإنا لنطّلع عليه ، أهل حمص خمسمائة خمسمائة ، من باب ندخله لا يدخله غيرنا ، فيخرج إلينا وحده في أثرنا ، ونحن منهزمون منه ، ولقد رأيته يقف بالأبطح ، ما يدنو منه أحدٌ ، حتى ظننا أنه لا يُقتل »[٣].

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٧ / ٤٠١ - ٤٠٢) .
(٢) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٤٠٢ ، وقادة فتح المغرب العربي صـ ٤١ - ٤٣ للواء الركن محمود شيت خطاب .
(٣) تاريخ الطبري ٥ / ٣٣ .

« وكان رضي الله عنه يقول :

جلسنا على الأعقاب تدْمي كُلُومُنَا ولكنْ على أقدامنا تقطر الدِّمَا

ولما قُتل وقف عليه الحجاج وطارق بن عمرو ، فقال طارق : ما ولدتِ النساءُ أذْكَرَ مِن هذا . فقال الحجاج : تمدح مَن يخالف طاعة أمير المؤمنين ؟ فقال : نعم ، هو أعذر لنا ، ولولا هذا ما كان لنا عذْر ، إنا مُحَاصِرُوه ، وهو في غير خندقٍ ولا حِصنٍ ولا منعةٍ منذ سبعةِ أشهر ، ينتصف منّا ، بل يفضل علينا في كل ما التقينا نحن وهو . فبلغ كلامُهما عبدَ الملك ، فصوّب طارقًا »[١].

بُسْر بن أرْطاة القرشيّ :

كان فارسًا ، شجاعًا ، فاتكًا ، من أفراد الأبطال ، وكان له نكايةٌ في الروم .

« لقد كان بسرٌ على جانبٍ عظيمٍ من الشجاعة والإقدام ، وكان من أُسود العرب .

كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ، بعد فتح مصر أن افرضْ لمن شهد بيعة الحديبية - أو قال : بيعة الرضوان - مائتيْن من الدنانير ، وأتِمّها لخارجةَ بن حذَافة لضيافته ، ولبُسْر بن أرطاة لشجاعته .

وفي روايةٍ عن عمر بن الخطاب : جعل لعمرو بن العاص مائتيْن ؛ لأنه أمير ، ولبُسر مائتيْن ؛ لأنه صاحب سيف .

وقال عمر بن الخطاب عن بسرٍ : رُبَّ فتحٍ قد فتحه الله على يديْه »[٢].

(١) الطبري ٥ / ٣٣ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٣ / ٢٢٢ .

وانظر - بربك - إلى واقعةٍ أغربَ من الخيال :

« غَزَا بُسر الروم مرةً ، فكانت ساقته[1] لا يزال يُصَاب منها طرفٌ ، فجعل يلتمس أن يصيب الذين يلتمسون عوْرة ساقتِه ، فيكمن لهم الكمينَ ، فلم تُصب كمائنُه ولم تَظفر ، فلما رأى ذلك تخلّف في مائةٍ من جيشه ، ثم جعل يتأخر حتى تخلّف وحده ، فبينما هو يسير في بعض أوْدية الروم ، إذْ رُفع إلى قريةٍ فيها جَوْزٌ كثيرٌ ، وإذا براذين مربوطةٌ بأشجار الجوْز ، وإلى جانب الأشجار كنيسةٌ فيها فرسان ، وكانت تلك براذين الذين كانوا يتعقبونه في ساقتِه ، ونزل « بُسْر » عن فرسه فربطه مع تلك البراذين ، ثم مضى حتى أتى الكنيسة ، فدخلها ثم أغلق عليه وعليهم بابها ، فجعلتِ الروم تعجب من إغلاقه وهو وحده ، فما استمالوا إلى رماحِهم حتى صرَع منهم ثلاثة ، وفقده أصحابه ، فلاموا أنفسهم ، وقالوا : إنكم لأهلٌ لِأَنْ تُجْعَلُوا مثلًا للناس ، إنّ أميرَكم خرج معكم فضيّعتموه حتى هلك ، ولم يهلك منكم أحدٌ ، فبينما هم يسيرون في الوادي إذْ بهم قد أتوْا على مرابط البراذين ، وإذا فرس « بُسْر » مربوط معها فعرفوه ، وسمعوا الجلَبة في الكنيسة فدخلوها ، فلما رآهم « بُسْر » سقط مغشيًّا عليه ، فأقبلوا على من كان باقيًا فأسروه ، وقَتلوا مَن قتلوا ، فأقبلت عليهم الأسارى يقولون لهم : ننشدكم الله ، من هذا الذي دخل علينا ؟ فقالوا : بُسْر بن أرطاة . فقالوا : ما ولدتِ النساءُ مثلَه . فعمدوا إلى جلدٍ فوضعوه في جوْفه ، ثم عصبوه بعمائمهم ، وحملوه على شِقِّهِ التي ليست بها جراحة ، حتى أتوْا به العسكر فخاطوا جراحَه ، فَسَلِمَ وعُوفي »[2] .

---

(١) جماعة من الرجال واجبها حماية مؤخرة الجيش من العدو .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٣ / ٢٢١ ، سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٧٤ .

عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، رضي الله عنه :

الهاشمي ، ابنُ عم رسول الله ﷺ ، ومن مُسلمة الفتح .

لما توفي رسول الله ﷺ كان لهذا نحوٌ من ثلاثين سنةً .

قال أبو الحُوَيْرث : أول من قُتِلَ يوم أجنادين بِطْرِيقٌ برز يدعو إلى البراز ، فبرز إليه عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، فاختلفا ضَرَباتٍ ، ثم قتله عبد الله ، ثم برز آخر ، فضربه عبد الله على عاتقه ، وقال : خذْها وأنا ابن عبد المطلب . فأثبته وقطع سيفه الدرع ، وأشرع في منكبه ، ثم ولّى الرومي منهزمًا[1] .

« وعزم عليه عمرو بن العاص أن لا يبارز ، فقال : لا أصبر . فلما اختلطت السيوف ، وُجِدَ في رِبْضةٍ من الروم عشرةٍ مقتولًا ، وهم حوله ، وقائم السيف في يده في غري[2] ، وإنّ في وجهه لثلاثين ضربة .

قال الواقدي : فحدّثتُ بهذا الزبيرَ بن سعيد النوفلي ، فقال : سمعتُ شيوخنا يقولون : لمّا انهزمتِ الروم يومئذٍ ، انطلق الفضل بن عباس في مائة نحوًا مِن ميل ، فيجد عبد الله مقتولًا في عشرةٍ مِنَ الروم قد قتلهم ، فقبروه »[3] .

وَاثِلةُ بن الأسْقَع ، رضي الله عنه :

آخر من مات من الصحابة بدمشق .

لله درُّه من بطلٍ ! يُلقي الرعبَ في كتيبةٍ من الروم قبل فتْح دمشق .

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٩ / ١١٥ ب ، ١١٦أ ، وسير أعلام النبلاء ٣ / ٣٨١ - ٣٨٢ .

(٢) لزق .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٨٢ .

« عن واثلة قال : وقفتُ في ظُلمة قنطرةِ « قينية »[١] ليَخْفَى على الخارجين من باب « الجابية »[٢] موقفي . فأسمع صريرَ باب « الجابية » فمكثتُ ، فإذا بخيلٍ عظيمةٍ ، فأمهلْتُها ثم حملتُ عليهم ، وكبّرتُ ، فظنوا أنهم أحيط بهم ، فانهزموا إلى البلد ، وأسلموا عظيمَهم ، فدعستُه بالرمح ، ألقيتُه عن بِرْذَونه ، وضربتُ بيدي على عِنان البرْذَوْن ، وراكضتُّه حتى أنهكتُه ، والتفتوا ، فلما رأوني وحدي تبعوني ، فدعستُ فارسًا بالرمح فقتلتُه ، ثم دنا آخر فقتلته ، ثم جئتُ خالد بن الوليد فأخبرته ، وإذا عنده عظيمٌ من الروم يلتمس الأمان لأهل دمشق »[٣].

وقبلها .. في معركة فحل « كان واثلة في خَيْلِ ابن هبيرةَ ، فعَرَض له بِطْريقٌ من كبارهم ، فبرز له واثلة وهو يقول :

لَيْثٌ وليثٌ في مَجَالٍ ضَنكِ ... كلاهُمَا ذو أَنفٍ ومَعْكِ
أجولُ جَوْلَ صارمٍ في العركِ ... أوْ يكشفَ اللهُ قِناع الشَّكِ
مع ظَفري بحاجتي وتركِي

ثم حمل على البِطْرِيق فضربه ضربةً فقتله »[٤].

جُلَيْبيب رضي الله عنه « هذا مني وأنا منه » :

« عن أبي برزة أن النبي ﷺ كان في مغزًى له فأفاء الله عليه ، فقال لأصحابه : « هل تفقدون مِن أحدٍ ؟ » قالوا : نعم ، فلانا وفلانا وفلانا . ثم قال : « هل تفقدون من أحدٍ ؟ » قالوا : نعم ، فلانًا وفلانًا وفلانًا . ثم

---

(١) قرية كانت مقابل الباب الصغير من مدينة دمشق ؛ صارت الآن بساتين .

(٢) باب الجابية من أحياء دمشق يقع غربي جامع بني أمية .

(٣) تاريخ دمشق ١٧ / ٣٥٣ ب ، ٣٥٤أ .

(٤) الطريق إلى دمشق صـ ٣٣٥ .

قال : « هل تفقدون من أحدٍ ؟ » قالوا : لا . قال : « لكني أفقد جُليبيبًا فاطلبوه » . فطُلب في القتلَى فوجدوه إلى جنبِ سبعةٍ قد قتلهم ثم قتلوه ، فأتى النبي ﷺ فوقف عليه ، فقال : « قتَل سبعةً ثم قتلوه ، هذا مني وأنا منه ، هذا مني وأنا منه » . قال : فوضعه على ساعديْه ، ليس له إلا ساعِدَا النبيِّ ﷺ . قال : فحفر له ووُضع في قبره . ولم يَذكرْ غُسْلًا »[1].

هذا مني وأنا منه .. فمَن مِن الناس على مدار التاريخ يقال له مثل هذا ؟!

بانُوا وكأنهم ما كانوا !

قائد مجاهدي العيص أبو بصير : عتبة بن أسد ، رضي الله عنه :
« ويلُ أُمِّهِ مِسْعَر حربٍ لو كان له أحَدٌ » :

بعد صلح الحديبية وما اشترطتْه قريشٌ على النبي ﷺ : إنه لا يأتيك منّا رجلٌ ، وإن كان على دينك ، إلا رددته إلينا « رجع النبي ﷺ إلى المدينة ، فجاءه أبو بصير - رجلٌ من قريش - وهو مسلم ، أرسلوا في طلبه رجليْن ، فقالوا : العهد الذي جعلتَ لنا . فدفعه إلى الرجليْن فخرجا به ، حتى بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمرٍ لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إني لأَرى بسيفك هذا يا فلان جيِّدًا . فاستلّه الآخر ، فقال : أجل والله إنه لجيِّدٌ ، لقد جربتُ به ثم جربت به ثم جربت . فقال أبو بصير : أرني أنظر إليه . فأمكنه منه فضربه حتى برد ، وفرّ الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله ﷺ حين رآه : « لقد رأى هذا ذعرًا » . فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال : قُتل والله صاحبي ، وإني لمقتولٌ . فجاء أبو بصير فقال : يا نبي الله ، قد - والله - أوفى اللهُ ذمّتك ، قد رددتَّني

(١) صحيح : أخرجه أحمد مصحوبًا بقصة ، والنسائي في فضائل الصحابة .

إليهم ثم أنجاني الله منهم . قال النبي ﷺ : « ويلُ أمّه مِسْعَر حرب ، لو كان له أحد » . فلما سمع ذلك عرف أنه سيردُّه إليهم ، فخرج حتى أتى سيْفَ البحر ، قال : وينفلت منهم أبو جندَل بن سُهيل ، فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجلٌ قد أسلم إلا لَحِق بأبي بصير ، حتى اجتمعت منهم عصابةٌ ، فوالله ما يسمعون بعِيرٍ خرجتْ لقريشٍ إلى الشام إلا اعترضوا لها ، فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأرسلتْ قريشٌ إلى النبي ﷺ تناشده اللهَ والرّحِمَ لما أرسل ، فمَن أتاه فهو آمنٌ ، فأرسلَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليهم ،فأنزل الله تعالى ﴿ **وهُوَ الذي كفَّ أيْديَهم عنكم وأيديَكُمْ عنهُمْ بِبَطْنِ مكةَ مِنْ بعدِ أنْ أظفرَكم عليهِم** ... ﴾ حتى بلغ ﴿ **الحَمِيةَ حَميَّةَ الجاهليةِ** ... ﴾ ، وكانت حمِيّتهم أنهم لم يُقرُّوا أنه نبي الله ، ولم يقرُّوا ببسم الله الرحمٰن الرحيم ، وحالوا بينهم وبين البيْت »[1] .

لله دَرُّكَ فتى قريشٍ عتبةَ بن أسيد الزهري ! كم عانيْتَ في سبيل دينك ! زجّ بك قومُك بنو زهرة في السجن ، وفررتَ منه مُسرعًا إلى المدينة بعد صلحِ الحديبية ، وعلمتَ أن نبيك ﷺ لا يغدر ، واستسلمت طائعًا لأمر رسول الله : « يا أبا بصير ، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمتَ ، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ، وإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فَرَجًا ومخرجًا ، فانطلق إلى قومك » .

ولله دَرُّكَ من شجاعٍ ، حين قتلتَ حارسك العامري ! ولله درُّك حين فرّ الآخر مذعورًا طالبًا النجاة !

ولله درُّك حين توّجك وتوّج شجاعتك نبيُّكَ ﷺ ، حين قال :

---

(١) أخرجه البخاري وأبو داود عن المِسْور بن مَخْرمة ومروان . وعزاه المِزِّي للنسائي .

« ويْلُ أمِّه مِسْعَرِ حربٍ لو كان معه رجالٌ » !

ولله دَرُّكَ حين تحمل سيْف القتيل المشرك ، وتستوي على بعيره الذي غنمتَ منه ، وتتجه نحو «العِيصِ» ، حيث تكثر الأحراش والأشجار ، لتبدأ منها حرب العصابات وتعلن الثورة على قومك قريش !

ولله دَرُّكَ حين أخفْتَ قريشًا إخافةً شديدةً ، فصارت لا تُرسل قوافلها إلى الشام إلا تحت حراسةٍ شديدةٍ ، ومع ذلك لم تنجُ هذه القوافل منك أيها الثائر البطل !

ولله دَرُّكَ حين يفرّ إليك المستضعفون من شبابِ مكة ، يفرون من سجون أهليهم ، يجتمع إليك من شباب قريشٍ - وحدهم - سبعون شابًّا ، وينضمُّ إليك رجالٌ من غِفَار وجُهيْنة ، حتى بلغتم ثلاثمائة !

لله دَرُّكَ ودرُّ نائبك أبي جندل بن سهيل بن عمرو !

لله دَرُّكَ حين يجتمع رجالاتُ قريشٍ في دار الندوة ، يرتجفون فزعًا منك ، ويرسلون أبا سفيان إلى النبيّ ﷺ ، وهم يستعطفونه ويسترحمونه : إننا قد أسقطنا هذا الشرط من الشروط . مَن جاء منهم إليك فأمسِكْه مِن غير حَرَجٍ فهو آمن ؛ إن هؤلاء الرَّكْب - يَعني ثوار العِيص - قد فتحوا علينا بابًا لا يصلح إقراره[1] . إننا نسألك بالأرحام ، إلا ما آويتهم فلا حاجة لنا بهم[2] .

لله دَرُّكَ ودرُّ إخوانِك حين تقضُّ مضاجعَ قريشِ الكفر ، فجعلتهم يطلبون صاغرين ، مسترحمين ، مناشدين نبيّك ﷺ الرّحِمَ أنْ يُسقط الشرطَ

---

(١) السيرة الحلبية ٢ / ١٥١ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ / ٣٢٤ .

الذي أملَوْه صلفًا وكبرياءً وغُرورًا وبغيًا وبطرًا ! يأتي الزبانية مُقرّين أن لا طاقةَ لهم بمِسْعر الحرب .. وما يأتيك كتابُ نبيّك إلا وأنت في مرضِ الموت .. فتفضُّه وتَشْرع في قراءَته ، إلا أن روحَك الطاهرة فاضت إلى باريها وكتابُ الرسول ﷺ في يدك .. فسلامٌ عليك مع الأبرار .. واللهِ ما عقمتْ أمةٌ ولدتْ مثلك .

كَعْبُ بنُ مالكٍ ، رضي الله عنه يُخَوِّفُ دَوْسًا ببيْتِ شعرٍ فتسلم :

شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه ، وأحد الثلاثة الذين خلّفوا ، فتاب الله عليهم .

شهد العقبة ، وفيها يقول : لقد شهدتُ مع رسول الله ﷺ بيعة العقبة حين تواثقنا على الإسلام ، وما أحبّ أنّ لي بها مشهد بدرٍ ، وإنْ كانت بدرٌ أذكر في الناس منها[١] .

قال كعب : لما انكشفنا يوم أحدٍ ، كنت أول من عرف رسول الله ﷺ ، وبشّرتُ به المؤمنين حيًّا سويًّا وأنا في الشِّعْب ، فدعا رسول الله ﷺ كعبًا بلأْمته - وكانت صفراء - فلبسها كعب ، وقاتل يومئذٍ قتالًا شديدًا ، حتى جُرح سبعةَ عشرَ جرحًا[٢] .

قال ابن سيرين : كان شعراءُ أصحاب رسول الله ﷺ : حسّان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك .

وعن كعبٍ أنه قال : يا رسول الله ، قد أنزل الله في الشعراء ما أنزل . قال : « إن المجاهد مجاهدٌ بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده ، لكأنما ترمونهم

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ / ٤٣ ، والمستدرك ٣ / ٤٤١ .

نضْحَ الإبل »[١].

قال ابن سيرين : أما كعب ، فكان يذكر الحرب ، يقول : فعلنا ونفعل ، ويتهددهم . وأما حسان ، فكان يذكر عيوبهم وأيّامهم . وأما ابن رواحة ، فكان يعيِّرهم بالكفر .

ولقد أسلمتْ دَوْس فَرَقًا من بَيْتٍ قاله كعبٌ :

نُخَيِّرُهَا ولوْ نطقتْ لَقالتْ قواطِعُهنَّ دَوْسًا أو ثقيفا[٢]

والبيت مع البيت الذي قبله :

قضينا مِن تِهامَةَ كلَّ رَيْبٍ وخيبرَ ثُمَّ أجممنَا السيوفَا

نُخيّرها ولوْ نطقتْ لقالتْ قواطِعُهنَّ دَوْسًا أو ثقيفا

لله دَرُّكَ يا كعب ! ببيْتٍ واحدٍ منك أيها البطل تُسلمُ قبيلةٌ بأسرها خوْفًا .

وما أحلى التاج الذي يرصّع به جبينك رسولُ الله ﷺ في هذا الحديث : عن جابرٍ أن رسول الله ﷺ قال لكعبِ بن مالك : « ما نسي ربُّك لك - وما كان ربُّك نسيا - بيتًا قلتَه » . قال : ما هو ؟ قال : « أنْشِدْه يا أبا بكر » . فقال :

زَعَمتْ سَخِينَةُ أَنْ سَتَغْلِب رَبَّهَا وَلَيُغْلَبنَّ مُغَالِبُ الغلَّابِ[٣]

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٥٠٠) وعنه أحمد ، وسنده صحيح .

(٢) أسد الغابة ٤ / ٤٨٨ ، والإصابة ٨ / ٣٠٥ . وقوله : « نخيِّرها » أي : السيوف . أي نعطيها الخِيَرة ، ولو نطقتْ لاختارتْ أن تحارب دوْسًا أو ثقيفًا .

(٣) أورده صاحب كَنز العمال ١٣/ ٥٨١ ، ونسبه لابن منده وابن عساكر . والسخينة : طعام من سمنٍ ودقيقٍ ، أو دقيقٍ وتمرٍ ، أغلظ من الحَساء ، وكانت =

يهودٌ ولا عليَّ لهم : البطلُ .. بل حَيْدَرة الأبطال عليُّ بن أبي طالبٍ ، رضي الله عنه :

روى البخاري عن قيْس بن عباد عن علي بن أبي طالبٍ قال : أنا أول مَن يَجْثو بين يدي الرحمٰن للخصومة يوم القيامة .

وقال قيْس بن عباد : وفيهم أنزلت ﴿ **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ** ... ﴾ الآية . قال : « هم الذين تبارزُوا يوم بدرٍ : حمزةُ ، وعليٌّ ، وعبيدة - أو أبو عبيدة - بن الحارث ، وشيبة بن ربيعة وعُتبة بن ربيعة ، والوليد بن عُتبة .

« وعن علي قال : تقدم - يعني عُتبة بن ربيعة - وتَبِعَه ابنه وأخوه ، فنادى : مَن يُبارز ؟ فانتُدب له شبابٌ من الأنصار ، فقال : مَنْ أنتم ؟ فأخبروه ، فقال : لا حاجةَ لنا فيكم ، إنما أردْنا بني عمّنا . فقال رسول الله ﷺ : « قُمْ يا حمزة ، قم يا عليّ ، قم يا عبيدة بن الحارث » فأقبل حمزة إلى عُتبة ، وأقبلتُ إلى شَيْبة ، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتانِ ، فأثخن كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه ، ثم مِلْنا على الوليد ، فقتلناه واحتملنا عُبيدة »[1] .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧ / ٢٩٨) : فيه فضيلةٌ ظاهرةٌ لحمزة وعليّ وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم .

وانظرْ - بربّك - إلى الفارس الشابّ .. علي بن أبي طالب ، وإلى قتلاه يومَ بدرٍ ، فقد قتل بعد شيبةَ ، والوليد : العاصَ بن سعيد بن العاص ، وعامرَ بن عبد الله النمري ، وطعيمةَ بن عديّ بن نوفل ، وزمعة بن الأسود بن

= قريشٌ تكثر من أكلها ، فَعُيِّرتْ بها ، حتى لقبوا : « سخينة » .

(١) صحيح أخرجه أبو داود (٢٦٦٥) .

المطلب ، ونوفل بن خُويْلد بن أسد وهو أخو أمِّ المؤمنين خديجة – وكان من شياطين قريش – وعقيل بن الأسود بن المطلب ، والنضر بن الحارث قتله صَبْرًا بعد المعركة ، وعُمير بن عثمان بن عمرو ، ومسعود بن أبي أمية بن المغيرة ، وأبا قَيْس بن الفاكهة بن المغيرة ، وحاجِبَ بن السائب ابن عُويْمر ، وعبد الله بن المنذر ابن أبي رفاعة ، والعاص بن مُنَبِّه بن الحجَّاج ، وأوْس بن مِعْيَر بن لَوْذَان ؛ خمسةَ عشَرَ رجلًا قتلهم حَيْدَرَةُ .. علي بن أبي طالب في يوم بدرٍ .

وفي أُحُدٍ يقتل عليّ أبا أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة ، وعبد الله ابن حميد بن زهير .

قتْل عليٍّ لعمرو بن عبد وُدّ فارس قريش في يوم الأحزاب :

كان عمرو بن عبد ودّ العامري « كبشَ الكتيبة » قد حضر معركة بدرٍ الكبرى ، وذاق مرارة الهزيمة بعد أن جُرح في المعركة ، فنذر أن لا يَمَسَّ رأسُه دُهنًا حتى يقتل محمدًا ، ولهذا كان أولَ الفرسان المقتحمين بخيلهم الخنْدق نحو المسلمين ، ومعه فوارس من قريش ، وخرج علي بن أبي طالب في نفرٍ معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلَهم ، وأقبلت الفرسان تُعْنِق[1] نحوهم .

قال ابن إسحاق : « كان عمرو بن ودّ العامري (وهو كبش الكتيبة) قد قاتل يوم بدرٍ حتى أثبتتْهُ الجراحةُ فلم يشهد أُحُدًا ، فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلَمًا ليُرَى مكانُه ، فلما وقف هو وخيله قال : مَن يبارز ؟ فبرز إليه علي بن أبي طالب » .

---

(١) أي : تُسرع .

وعند البيهقي في « دلائل النبوة » : « خرج عمرو بن عبد ودّ وهو مُقنَّع بالحديد ، فنادى : مَنْ يبارز ؟ فقام علي بن أبي طالبٍ فقال : أنا لها يا نبي الله . فقال : « إنه عمرو ، اجلسْ » . ثم نادى عمرٌو : ألا رجلٌ يبرز ؟ فجعل يُؤنِّبهم ويقول : أين جنتكم التي تزعمون أنه مَنْ قُتل منكم دخلَهَا ، أفلا تبرزون إليّ رجلًا ؟! فقام عليٌّ فقال : أنا يا رسول الله . فقال : « اجلسْ » . ثم نادى الثالثة فقال :

ولقد بحِحْتُ من النداء لِجَمْعِهم هلْ منْ مُبارِزْ
ووقفتُ إذْ جَبُنَ المشجَّعُ موقِفَ القرنِ المناجزْ
ولذاك إني لم أزلْ متسرِّعًا قبلَ الهَزَاهِزْ
إنَّ الشجاعةَ في الفتَىَ والجود من خيْرِ الغرائِزْ

قال : فقام عليٌّ رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، أنا . فقال : « إنه عمرٌو » . فقال : وإن كان عمرًا . فأذِن له رسول الله ﷺ ، فمشى إليه ، حتى أتى وهو يقول :

لا تَعْجَلَنَّ فَقَدْ أتاكَ مُجيبُ صَوْتِكَ غيرُ عاجزْ
في نيّةٍ وبصيرةٍ والصدقُ مَنْجَى كلِّ فائزْ
إني لأرجُو أن أُقِيـ ـمَ عليكَ نائِحَةَ الجنائِزْ
مِن ضربةٍ نجلاءَ يَبْـ ـقَى ذكرُها عندَ الهزاهزْ[1] »

ولما مشى علي إلى عمرو ليبارزه قال له : يا عمرُو ، إنك كنتَ تقول : لا يدعوني أحدٌ إلى واحدةٍ من ثلاثٍ إلّا قبلتُها . قال له : أجل . فقال له : إني أدعوك أن تشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وتُسلِمَ لرب العالمين . فقال عمرو : يا ابن أخي ، أخِّرْ عني هذه . قال

(١) الهَزاهِز : الحروب والشِّدة .

علي : وأخرى : ترجع إلى بلادك ، فإنْ يكُ محمد رسول الله صادقًا كنتَ أسعد الناس به ، وإن يكُ كاذبًا كان الذي تريد . فقال عمرٌو : هذا ما لا تتحدث به نساءُ قريشٍ أبدًا . كيف وقد قدرتُ على استيفاءِ ما نذرتُ ؟! ثم قال عمرٌو : فالثالثة ، ما هي ؟ فقال علي : البرازُ . فضحك فارسُ قريشٍ عمرٌو - وكان فارسًا مشهورًا مُعَمَّرًا قد جاوز الثمانين - ثم قال لعليٍّ : إن هذه الخصْلة ما كنت أظنُّ أحدًا من العرب يروِّعني بها . ثم قال لعليٍّ : مَنْ أنت ؟ قال له : أنا علي . قال : ابن عبد مناف ؟ فقال عليٌّ : أنا علي ابن أبي طالب . فقال عمرٌو : يا ابن أخي مِن أعمامك مَن هو أسنُّ منك ؛ فواللهِ ما أحب أن أقتلك . فقال علي : ولكني - والله - أحبُّ أن أقتلك . فعند ذلك غَضِبَ عمرٌو غضبًا شديدًا ، ونزل فسلّ سيفَه ، كأنه شُعْلةُ نارٍ ، ثم أقبل نحو عليٍّ مُغضَبًا ، واستقبله عليّ بدَرَقَته فضربه عمرو في دَرَقَته فقدّها ، وأثبتَ السَّيْف فيها ، وأصابَ رأسَه فشجّه ، وضربه عليٌّ على حبل عاتِقِه فسقط ، وثار العَجَاجُ ، وَسَمِعَ رسول الله ﷺ التكبير ، فعرف الناس أنَّ عليًّا قد قتل عمرًا ، فثمَّ يقول عليّ :

أعليُّ تقتحم الفوارسَ هكذا عنّي وعنهم أخّروا أصحابي
اليوم يمنعني الفرارَ حفيظتي ومُصَمَّمٌ في الرأسِ ليسَ بنابي

وألقى عكرمة رمحه يومئذٍ وهو منهزم عن عمرٍو ، فقال حسان بن ثابت :

فـرّ وألقـى لنـا رمحَـه لعـلَّكَ عِكْـرِمُ لم تفعـلِ
ووَلَّيْتَ تعدو كعدْو الظَّليـ ـم ما أن يحوّر عن المَعدِلِ
ولم تلوِ ظهـرَك مسـتأنسًا كأنّ قفـاكَ قفـا فُرْعَـلِ[1]

---

(١) الفرعل : صغار الضباع .

قال عمر بن الخطاب : هلّا استلبت درعَه ، فإنه ليس للعرب درعٌ خير منها . فقال : ضربته فاتقاني بسوءَتِه فاستحَيَيْتُ - ابنَ عمي - أن أسلبه . وبعث المشركون إلى رسول الله ﷺ يشترون جيفتَه بعشرة آلافٍ ، فقال : « ادفعوا إليهم جيفتَهُ ؛ فإنه خبيث الجيفة ، خبيث الدِّية » . فلم يقبل منهم شيئًا .

عليّ صاحب الراية يوم خَيْبَر الذي يفتح الله عليه :

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأُعطينَّ هذه الراية رجلًا يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديْه » . قال عمر بن الخطاب : ما أحببتُ الإمارة إلا يومئذٍ . قال : فتساورتُ لها رجاءَ أن أُدْعَى لها . قال : فدعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب فأعطاه إياها . وقال : « امشِ ولا تلتفتْ ، حتى يفتح الله عليك » . فسار عليٌّ شيئًا ، ثم وقف و لم يلتفت ، فصرخ : يا رسول الله على ماذا أقاتلُ الناس ؟ قال : « قاتِلْهم حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءَهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابُهم على الله »[(١)].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطينَّ هذه الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديْه ، يحبُّ الله ورسوله ويحبُّه الله ورسوله » . قال : فبات الناس يدركون ليلتهم ، أيُّهم يُعطاها ؟ فلما أصبح الناس غدوْا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،كلُّهم يرجو أن يُعطاها ، فقال : « أين علي بن أبي طالب ؟ » فقيل : هو يا رسول الله يشتكي عينيْه . قال : فأرسَلوا إليه فأُتي به ، فبصق رسول الله ﷺ في عينيْه

---

(١) رواه مسلم وأحمد والنسائي في الخصائص ، والطيالسي .

ودعا له ، فبرأ حتى كأنَّه لم يكن به وجعٌ ، فأعطاه الراية ، فقال عليٌّ : يا رسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال : « انفُذ على رِسْلِكَ حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادْعُهم إلى الإسلام ، وأخبِرهم بما يجب عليهم من حقِّ الله فيه ، فوالله ، لَأَن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَم »[1].

وعند البخاري عن سلمة ، قال : « كان عليّ قد تخلَّف عن النبي ﷺ في خيبر ، وكان به رمدٌ ، فقال : أنا أتخلّف عن رسول الله ﷺ ؟! فخرج عليٌّ فلحِقَ بالنبي ﷺ ، فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لأُعطينَّ الراية - أو ليأخذنَّ الراية - غدًا رجلًا يحبُّه الله ورسوله - أو قال : يحبُّ الله ورسوله - يفتح الله عليه » . فإذا نحن بعليّ ، وما نرجوه ، فقالوا : هذا علي . فأعطاه رسول الله ﷺ الراية ، ففتح الله عليه »[2].

وعن أبي سعيد الخدري ، قال : إن رسول الله ﷺ أخذ الراية فهزّها ، ثم قال : « مَنْ يأخذها بحقِّها ؟ » فجاء فلان فقال : أنا . قال : أمط . ثم جاء رجلٌ فقال : أَمِطْ . ثم قال النبي ﷺ : « والذي كَرَّم وجهَ محمدٍ ، لأُعطينَّهَا رجلًا لا يفرّ ، هاك يا عليّ » فانطلَقَ حتى فتح الله عليه خيبر وفَدَك ، وجاء بعجْوتهما وقديدهما[3].

وفي حديث سلمةَ بن الأكْوع عند مسلم : « ثم أَرسلني رسول الله ﷺ إلى عليّ وهو أرمد ، فقال : « لأُعطينَّ الراية رجلًا يحبُّ الله ورسوله ،

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي وأحمد ، وأبو يعْلى ، والنسائي في الخصائص .
(٢) أخرجه البخاري ومسلم .
(٣) حسن : أخرجه أحمد في المسند ٣ / ١٦ ، وأخرجه أحمد أيضًا في فضائل الصحابة .

أو يحبه الله ورسوله » . قال : فأتيتُ عليًّا فجئت به أقوده وهو أرمد ، حتى أتيتُ به رسول الله ﷺ ، فبصق في عينيْه فبرأ ، وأعطاه الراية . وخرج « مرحب » فقال :

قد علمتْ خيبرُ أني مرحَبُ   شاكي السلاحِ بطلٌ مجربُ
إذا الحروبُ أقبلتْ تلهَّبُ

فقال عليٌّ :

أنا الذي سمّتْني أُمّي حَيْدَرَهْ[1]   كلَيْثِ غاباتٍ كريهِ المنْظَرَهْ
أُوَفِّيهمْ بالصاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

قال : فضرب رأسَ « مرحب » فقتله ، وكان الفتح على يديْه .

مَرْحب هذا : فارس فرسان اليهود ، وكان مكتوبًا على سيفه بالعبرية :

هذا سَيفُ مَرحَبْ   من يَذُقهُ يعطبْ

فضربه عليٌّ فقدّ الحجر والمغفر ورأسَه ، ووقع السيف في الأضراس .

وقبله قتل علي أخا مَرحَبَ ، وهو الحارث . وبارز عليٌّ قائدًا يهوديًّا - بعد مبارزة الزبير لياسر - وكان هذا القائد الفارس يُسمّى عامرًا ، فقتله عليٌّ أمام الحصن . قال رسول الله ﷺ حين طلع عامرٌ : « ترْونه خمسةَ أذرع ؟ » وكان طويلًا جسيمًا ، فلما دعا للبراز ، وخطر بسيفه ، وعليه دِرعانِ ، وهو مُقَنَّعٌ في الحديد يصيح : من يبارز ؟ فأحجم الناس عنه ، فبرز إليه عليّ فضربه ضرباتٍ ، كلّ ذلك لا يصنعُ شيئًا ، حتى ضرب ساقيْه فبرك ، ثم ذفّف[2] عليه فأخذ ....

---

(١) حيدرة : هو الأسد .

(٢) أجهز عليه .

سلاحه[١] .

وفتح الله على يد عليّ بن أبي طالب حصن « ناعم » أقوى حصون خيبر .. فيا لعليٍّ مِن حَيْدَرة !!

الحُبَابُ بن المنْذر بن الجَمُوح حاملُ اللِّواء أمام حِصن « الصَّعب » بخَيْبر :

في أيام خيبر .. بعد سقوط حصن ناعم ، كان الدوْر قد أتى على حصن « الصَّعب بن معاذ » من حصون النطاة ، وأعطى الرسول ﷺ الراية للحباب بن المنذر الأنصاري للقيام بالهجوم على هذا الحصن .. وخرج كبيرُ قادةِ اليهود على فرسه أمام الحصن وطلب المبارزة ، وكان اسم هذا القائد « يوشع » فخرج لملاقاته الحباب فنازله ، وبعد كرٍّ وفرٍّ ، ومقارعةٍ عنيفةٍ بالسيوف ، تمكَّن قائد قوات المسلمين مِن قتل « يوشع »[٢] .

ورمَى اليهود المسلمين بسهامهم التي صبُّوها كالمطر على المسلمين من أبراج الحصن ، بل إن اليهود بلغ بهم الاستبسال والشراسة في الدفاع عن حصن « الصَّعب » إلى أن يفتحوا أبواب هذا الحصن ويقوموا بهجومٍ مضادٍّ كاسحٍ عنيفٍ ، كشفوا به قوات المسلمين وطاردوها ، وثبت قائد المسلمين الحباب يقاتل اليهود بشراسة عندما انكشف رجاله أمام اليهود ، وأمام ثبات رسول الله ﷺ ومعه الحباب ، عادت قوات المسلمين من جديد إلى التجمُّع خلفَ قائدهم الحباب ، الذي قام بتنظيمهم في الحال ، ثم شنَّ بهم في نفس الوقت هجومًا عنيفًا على حِصْنِ « الصعب » بُغْية اقتحامه ، فطارد اليهودَ حتى أدخلهم حصنهم الذي أغلقوا أبوابه .

يقول جابر بن عبد الله عن اليهود : « رمَوْا بالنبل ساعةً سراعًا ،

---

(١) سلسلة معارك الإسلام الفاصلة – خيبر – لمحمد أحمد بشاميل صـ ١٢٢ .

(٢) سلسلة معارك الإسلام الفاصلة – خيبر صـ ١٣٠ .

وترّسْنَا عن رسول الله ﷺ ، وأمطرونا بالنّبْل ، فكأنَّ نبْلَهم الجرادُ ، حتى ظننت أن لا يُقلعوا ، ثم حملوا حملةَ رجلٍ واحدٍ ، فانهزم المسلمون ، حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ ، وهو واقفٌ قد نزل عن فرسه ، وثبّتَ الحبابُ رايتَنَا ، واللهِ ما يزال يراميهم على فرسه . وندب رسولُ الله المسلمين وحضّهم على الجهاد ، ورغبّهم فيه ، وأخبرهم أن الله قد وعدَه خيبر يغنّمه إياها ، قال : فأقبل الناس جميعًا حتى عادوا إلى صاحب رايتهم ، ثم زَحَفَ بهم الحباب ، فلم يزل يدنو قليلًا قليلًا ، وتراجع اليهود على أدبارها حتى لحمَهَا الشرُّ ، فانهزموا سراعًا ، ودخلوا الحصن وغلّقوا عليهم » .

أقام المسلمون على حصن « الصعب » يومين ، ثم عدا بهم الحباب البطل في اليوم الثالث ومعه الراية ، فقاتلهم أشدَّ قتالٍ ... واغتنم فرصة اضطراب اليهود وتدنّي معنوياتهم ، فشنّ هجومًا خاطفًا برجاله على الحصن فاقتحموه ، وقاتلوا بضراوةٍ حتى افتتحوه ، واستولَوْا على كلّ ما فيه من أسلحةٍ وأرزاقٍ ، وكان شيئًا عظيمًا فرّج الله به الضائقة التي عانى منها الجيش الإسلامي بعد أن نَفِد التموين بسبب طول الحصار .

« يقول أبو سبرة : حمَل صاحبُ رايتنا وحملنا معه ، وأدخلنا اليهود الحصن وتبعناهم في جوْفه ، فلما دخلنا عليهم الحصن فكأنهم غَنَمٌ ، فقتلنا مَن أشرف لنا ، وأسرنا منهم ، وهربوا في كل وجهٍ يركبون الحرّة يريدون حصن قلعة الزُّبير ، وصعد المسلمون على جُدُره ، فكبّروا عليه تكبيرًا كثيرًا ، ففتّتْنَا أعضادَ اليهود بالتكبير ... فوجدنا - والله - من الأطعمة ما لم نظن أنه هناك ، من الشعير والتمر والسَّمن والعسل والزيت والودك ، وأخرجنا منه غَنَمًا كثيرًا وبقرًا وحُمُرًا ، وأخرجنا منه آلاتٍ كثيرةً للحرب ، ومنجنيقًا ودباباتٍ وعُدّة ، فنعلم أنهم كانوا يظنون أن الحصار يكون دهرًا ، فعجّل الله خِزيَهم .

وقد خرج من أُطمٍ مِن حصن « الصعب » من البرّ عشرون عكمًا مخرومةً من غليظ متاع اليمن ، وألفٌ وخمسمائة قطيفة .. يقال:قدم كلُّ رجل بقطيفةٍ على أهله ... وجعل المسلمون يأكلون مقامهم شهرًا وأكثر من ذلك الحصن ، ويعلفون دوابَّهم .

وفي حصون الشّق .. وأمام « قلعة أُبيّ » أمنعِ حصونهم،قتَل الحبابُ ابن المنذر قائدَ اليهود عزول .. فقد قاتل أهلُ الحصن قتالًا شديدًا ، وخرج رجلٌ من اليهود يُقال له : غزّال ، فدعا إلى البِراز ، فبرز له الحباب بن المنذر ، فاختلفا ضرباتٍ ، ثم حمل عليه الحباب فقطع يده اليمنى من نصف الذراع ، فوقع السيف من يد غزّال ، فكان أعزل ، ورجع منهزمًا فوقع ، فذفّف عليه » .

لله دَرُّ الحباب بن المنذر من صحابيٍّ عاشقٍ لمبارزة اليهود وقتالهم !!

محمد بن مَسْلمة بن سلَمة الأنصاريّ ، قاتلُ طاغيةِ اليهود كعب بن الأشرف :

كعب بن الأشرف طاغية اليهود الذي اغتلم الحقد والغدر في نفسه ، وخانَ عهده مع المسلمين ، وجعل يؤلِّب قريشًا ويحرضها على العرب ، ويرثي أبا جهل ويقول :

نبئْــتُ أنَّ بـني المغـيرةِ كُلّهمْ خشعُوا لقتْل أبي الحكيمِ وجدّعُوا

ويقول عن قتلَى بدرٍ من المشركين : هؤلاء أشرافُ العرب وملوك الناس ، واللهِ لئن كان محمدٌ أصاب هؤلاء القوم ، لبطْنُ الأرض خيرٌ من ظهرها .

« عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ لكعب ابن الأشرف ؟ فإنه قد آذى الله ورسوله » . فقام محمد بن مسلمة فقال : يا رسول الله ، أتحب أن أقتله ؟ قال : « نعم » . قال : فأْذنْ لي أن أقول شيئًا . قال : « قُلْ » . فأتاه محمد بن مسلمة فقال : إن هذا الرجل قد سألنا

صدقةً ، وإنه قد عنّانا ، وإني قد أتيتُك أستسلفك . قال : وأيضًا والله لتملِّنَّه . قال : إنا قد اتبعناه ، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيءٍ يصير شأنه ، وقد أردنا أن تسلفنا وسقًا أَوْ وسقَيْن . فقال : نعم ، ارهنوني . قالوا : أيَّ شيءٍ تريد ؟ قال : ارهنوني نساءَكم . قالوا : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ؟! قال : فارهنوني أبناءَكم . قالوا : كيف نرهنك أبناءنَا فيُسبّ أحدهم ، فيقال : رُهن بِوسقٍ أَوْ وسقَيْن ؟! هذا عارٌ علينا ، ولكنا نرهنك اللّامة[1] . فواعده أن يأتيه ، فجاءه ليلًا ومعه أبو نائلة - وهو أخو كعب من الرضاعةِ - فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم ، فقالت له امرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟ فقال : إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة . قالت : أسمع صوتًا كأنه يقطُر منه الدم . قال : إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة ؛ إن الكريم لو دُعي إلى طعنةٍ بليلٍ لأجاب . ويدخل محمد بن مسلمة معه رجالٌ : أبو عَبْس بن جبر والحارث بن أوس وعباد بنِ بشر ، فقال : إذا ما جاء فإني قائلٌ بشَعْرِهِ فأشمّه ، فإذا رأيتموني استمكنتُ من رأسه فدونكم فاضربوه . وقال مرةً : ثم أشمُّكم . فنزل إليهم متوشّحًا وهو ينفح منه ريح الطيب ، فقال : ما رأيت كاليوم ريحًا - أيْ أطْيَبَ - وقال غير عمرو[2] : قال : عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب . قال عمرو : فقال : أتأذن لي أن أشمَّ رأسك ؟ قال : نعم . فشمّه ، ثم أشمّ أصحابَه ، ثم قال : أتأذن لي ؟ قال : نعم . فلما استمكن منه قال : دونكم فاقتلوه . ثم أَتَوْا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأخبروه »[3] .

---

(١) قال سفيان أحد رواة الحديث : يعني السلاح .

(٢) أحد رواة البخاري ، راوي الحديث عن جابر بن عبد الله

(٣) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود ، وعزاه المزي للنسائي .

وعند محمد بن إسحاق : « فأخذ - أبو نائلة - بفَوْدَي رأسه ، ثم قال : اضربوا عدو الله . فاختلفتْ عليه أسيافهُم فلم تُغن شيئًا . قال محمد ابن مسلمة : فذكرت مِغْوَلًا - نَصْلًا - في سيفي فأخذتُه ، وقد صاح عدوُّ الله صيْحةً ، فلم يبقَ حولنا حصنٌ إلّا أُوقدتْ عليه نارٌ . قال : فوضعتُه في ثُنَّته ثم تَحاملتُ عليه حتى بلغت عانته ، فوقع عدوُّ الله ... وقد خافت يهود بوقعتنا بعدو الله ، فليس بها يهوديٌّ إلا وهو خائفٌ على نفسه »[1] .

قال كعب بن مالك :

فغُودِرَ منهمُ كعبٌ صريعًا ... فذلّتْ بعد مَصرعِهِ النَّضيرُ
علَى الكفَّيْن ثمّ وَقدْ علتْهُ ... بأيدينا مُشَهَّرةٌ ذُكورُ
بأمْرِ محمدٍ إذْ دسَّ ليلًا ... إلى كعبٍ أخا كعبٍ يسيرُ
فماكره فأنزلهُ بمَكْرٍ ... ومحمودٌ أخو ثقةٍ جَسُورُ

يقول عباد بن بشر - وكان أحد الذين اشتركوا في قتل كعب بن الأشرف - :

صرختُ لهُ فلمْ يعرضْ لصوتي ... وأوفى طالعًا مِن فوْقِ خدْرِ
فعُدتُ لهُ فقال مَنِ المُنادِي ... فقلتُ أخوكَ عبّادُ بنُ بِشرِ
وهذي درْعُنا رهنًا فخُذْها ... لشهرٍ إنْ وفَتْ أوْ نصفِ شهرِ
فأقبلَ نحونا يسعَى سريعًا ... وقالَ لنَا لقدْ جئتُمْ لأمرِ
فشَدَّ بسيفهِ صلتًا عليهِ ... فَقَنْطَرَهُ أبو عبسٍ بنُ جَبْرِ
وكان اللهُ سادسنَا فأُبْنا ... بأنعم نعمةٍ وأعزّ نصْرِ
وجاءَ برأسِهِ نفرٌ كرامٌ ... هُمُ ناهيكَ مِنْ صدقٍ وبرّ

(١) الإصابة لابن حجر ٤ / ١٩٥ .

قَتْلُ عبدِ الله بن عتيك بن قَيْس الأنصاري لملِك خيْبر أبي رافعٍ سَلّام ابن أبي الحُقَيْقِ النضري :

كان سلّام من كبار مجرمي الحرب التي شنّها على المسلمين في المدينة - وبتدبيرٍ من يهودِ خيْبر - عشرةُ آلافِ مقاتلٍ مِن الأحزاب الوثنية المتحالفة : قريش ، وغطفان ، وأشجع ، وفزارة ، وأسلم .

فقد كان سلّام في مقدمة وَفْدِ التحريض اليهودي الذي طاف بمضارب البدو ، وفي نجدٍ ، ومواطن القبائل في الحجاز لتحريضهم على غَزْوِ المسلمين ، وكان سلّام هذا مع حُيّي بن أخطب على رأْس القوة الضاربة .

وقبلها كان سلّام أحد أركان تلك المؤامرة الدنيئة التي كانت تستهدف حياة النبي الأعظم ﷺ ، والتي شرَع يهودُ بني النضير في تنفيذها عندما كان النبي ﷺ موجودًا في ديارهم . وانتدب النبي ﷺ خمسةً من الفدائيين الأنصار - وكلهم من الخزرج - لقتل أبي رافع ، وهم : ١ - عبد الله بن عتيك ٢ - مسعود بن سنان ٣ - عبد الله بن أُنيْس ٤ - الحارث بن رِبعيّ أبو قتادة ٥ - خُزاعي بن أسود .

« أخرج البخاري عن البراء بن عازب ، قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافعٍ اليهودي رجالًا من الأنصار فأمّر عليهم عبد الله بن عتيك ، وكان أبو رافع اليهودي يُؤذي رسول الله ﷺ ويُعينُ عليه ، وكان في حصنٍ له بأرض الحجاز ، فلما دنوْا منه وقد غربتِ الشمس وراح الناس بسرْحهم ، فقال عبد الله لأصحابه : اجلسوا مكانكم ؛ فإني مُنطلقٌ ومتلطفٌ للبواب لعلّي أن أدخل . فأقبل حتى دنا من الباب ، ثم تقنّع بثوْبه كأنه يقضي حاجةً ، وقد دخل الناس ، فهتف به البواب : يا عبد الله ، إن كنتَ تريد أن تدخل فادخلْ ؛ فإني أريد أن أغلق الباب . فدخلتُ فكمنتُ ، فلما دخل

الناس أغلق الباب ، وكان أبو رافعٍ يُسمَر عنده ، وكان في علالي له ، فلما ذهب عنه أهل سَمَره صَعدتُ إليه ، فجعلتُ كلما فتحت بابًا أغلقت عليّ مِن داخل ، قلت : إن القوم إن نذِرُوا بي لم يخلُصوا إليّ حتى أقتله ، فانتهيتُ إليه ، فإذا هو في بيتٍ مظلمٍ وسط عيالِه ، لا أدري أين هو من البيت ، فقلت : يا أبا رافع . قال : من هذا ؟ فأهويتُ نحو الصوت فأضربه ضربةً بالسيف وأنا دَهِشٌ فما أغنيت شيئًا ، وصاح ، فخرجت من البيت فأمكث غيرَ بعيدٍ ، ثم دخلتُ إليه فقلت[1] : ما هذا الصوت يا أبا رافعْ ؟ فقال : لأُمِّك الويلُ ، إن رجلًا في البيت ضربني قبلُ بالسيف . قال : فأضربه ضربةً أثخنْتُه ولم أقتلْهُ ، ثم وضعتُ ضبيبَ السيف في بطنِهِ حتى أخذ في ظهره ، فعرفتُ أني قتلتُه ، فجعلتُ أفتح الأبواب بابًا بابًا حتى انتهيت إلى درجةٍ له ، فوضعتُ رجلي وأنا أرى أني قد انتهيتُ إلى الأرض ، فوقعتُ في ليلة مُقْمرةٍ فانكسرتْ ساقي فعصبْتُها بعمامةٍ ، ثم انطلقتُ حتى جلستُ على الباب ، فقلت : لا أخرج الليلة حتى أعلمَ أقتلتُه ، فلما صاح الديكُ قام الناعي على السُّور فقال : أنعى أبا رافعٍ تاجرَ أهل الحجاز ، فانطلقت إلى أصحابي فقلت : النجاءَ ؛ فقد قتل الله أبا رافع . فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثتُه ، فقال لي : « ابسُطْ رجلَك » . فبسطتُ رجلي فمسحَها فكأَني لم أشتَكِهَا قطُّ » .

وعند ابن إسحاق : « فأوْقدوا النيران واشتدوا في كلّ وجهٍ يطلبوننا ، حتى إذا يئسُوا رجعوا إليه ، فاكتنفُوه وهو يقضي . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال : فقال رجلٌ منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل في الناس ، قال : فوجدتها - يعني امرأته -

(١) في رواية : وغيّرتُ صوتي .

ورجال يهود حوْله ، وفي يدها المصباح ، تنظر في وجهه وتحدثهم وتقول : أما والله قد سمعتُ صوتَ ابن عتيكٍ ، ثم أكذبتُ نفسي وقلت : أنَّى ابنُ عتيكٍ بهذه البلاد ! ثم أقبلتْ عليه تنظر في وجهه فقالت : فاظ[1] وإلٰهِ يهود . فما سمعت كلمةً كانت ألذّ على نفسي منها » .

وفي رواية ابن سعد في « الطبقات » : أن النبي ﷺ لما رأى الفدائيين عائدين إلى المدينة قال : « أفلحتِ الوجوه » . فقالوا : أفلح وجهُك يا رسول الله[2] .

ورجّح ابنُ إسحاق وأصحابُ الكتب الستة أنّ قاتل أبي رافع هو عبد الله بن أنيس ، ورجّح البخاري أنه هو عبد الله بن عتيك .

قال حسان بن ثابت :

لله دَرُّ عصابةٍ لاقيتَهُم يا ابنَ الحُقَيق وأنتَ يا ابنَ الأشْرفِ
يَسْرُون بالبيضِ الخِفافِ إليكُمُ مَرَحًا كأُسْدٍ في عَرينٍ مُغرِفِ
حتَّى أتوْكُمْ في مَحلِّ بلادِكُمْ فَسَقَوكُمُ حَتْفًا ببيضٍ ذُفَّفِ
مُستنْصِرين لنَصْرِ دِينِ نبيِّهم مُستصغرينَ لكلِّ أمرٍ مُجْحِفِ[3]

مُعاذ بن جبل مقدامُ العلماءِ ، الفارس البطل ، رضي الله عنه :

لله دَرُّه مِن شخصيةٍ متكاملةٍ !!

في الليل رهبانٌ وعند قتالِهِمْ لعدُوِّهم مِنْ أشجعِ الفرْسانِ

كان رضي الله عنه قائد المَيْمنة في أجنادين ، « **قام في أصحابه فقال :**

---

(١) أي : مات .

(٢) سلسلة معارك الإسلام الفاصلة - صُلْح الحديبية صـ ٩٠ .

(٣) البداية والنهاية ٤ / ١٤٠ .

يا معشرَ المسلمين ، اشروا أنفسَكم اليوم لله .. فإنكم إنْ هزمتموهم اليوم ، كانت لم هذه البلاد دار الإسلام أبدًا مع رضوانِ الله والثواب العظيمِ مِنَ الله » .

وإنْ شئتَ فسَلْ « فحل بيْسان»: مَن كان على ميْمنة المسلمين ؟ يجبْك : معاذ بن جبل .

« قال ثابت بن سهل بن سعد : كان معاذُ بن جبل يومئذٍ من أشدِّ الناس علينا حرصًا ، وأمضاهم في رقاب الروم سيفًا ، فبينما هو يحارب في ميمنة المسلمين إذْ أقبلتْ جنودُ الروم تحُوط عَسْكر المسلمين ، فبرز إليهم معاذ بن جبل في رجاله ونادى فقال : أيُّهَا الناس اعلموا - رحمكم الله - أن الله قد وعدكم بالنصر وأيّدكم بالإيمان ، فانصروا الله ينصرْكم ويثبِّتْ أقدامكم ، واعلموا أن الله معكم وناصركم على عَبَدَةِ الأوثان »[1].

لله دَرُّ البطل .. يقول لوُجهاء الروم قبل معركة « فحل » - لما فاوضهم ورفض الجلوسَ معهم على البسط - : قمتُ إعظامًا للمشي على هذه البُسُط ، والجلوس على هذه النّمارق التي استأثرتُم بها على ضعفائكم وأهل ملّتكم ، وإنما هي من زينة الدنيا وغُرورها ، وقد زهّد الله في الدنيا وذمَّها ، ونهى عن البغي والسَّرف فيها ، فأنا جالسٌ هاهنا على الأرض وكلّموني .

ولما قالوا له : « اذهب إلى أصحابك ، فوالله إنا لنرجو أن نفرّكم في الجبال غدًا . قال معاذ : أمَّا الجبال فلا ، ولكن والله لتقتلنا عن آخرنا أوْ لنخرجنّكم من أرضكم أذلةً وأنتم صاغرون »[2].

ولله دَرُّ فارسنا ابن جبل قائد الميمنة يوم اليرموك ، حين يخطب

---

(١) الأزدي صـ ١٣٧ .

(٢) الطريق إلى دمشق أحمد عادل كمال صـ ٣١١ - ٣٢٣ .

صباح المعركة يقول للناس : « يا قرّاء القرآن ومستحفظي الكتاب وأنصار الهدى وأولياء الحق ، إن رحمة الله - والله - لا تُنال وجنته لا تُدخل بالأماني ، ولا يُؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادقين المصدقين بما وعدهم الله عز وجل ، ألم تسمعوا قول الله عز وجل : ﴿ **وعدَ اللهُ الذينَ آمنُوا منكُمْ وعملُوا الصالحاتِ ليَستخلفنَّهم في الأرض كما استخلفَ الذينَ مِنْ قبلهم** ... ﴾ الآية ، أنتم إن شاء الله منصورون ، فأطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحُكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين ، واستحيوا من ربكم أن يراكم فرارًا من عدوّكم وأنتم في قبضته ورحمته ، وليس لأحدٍ منكم ملجأ من دونه ، لا متعززٌ بغير الله »[1].

ولما انقضّ الروم على الميمنة صاح معاذ بن جبل : يا عباد الله المسلمين ، إن هؤلاء قد تيسروا للشدة عليكم ، ولا والله لا يردّهم إلا صدْق اللقاء والصبر في البأساء . ثم نزل عن فرسه وقال : مَن أراد أن يأخذ فرسي ويقاتل عليه فليأخذْه . وآثر بذلك أن يقاتل راجلًا مع المُشاة ، فوثب إليه ابنه عبد الرحمٰن بن معاذ بن جبل وهو غلام قد احتلم ، فقال : يا أبتِ ، إني لأرجو أن أكون أنا فارسًا أعظم غناء عن المسلمين مني راجلًا ، وأنت - يا أبتِ - راجلٌ أعظم منك فارسًا ، وأعظم المسلمين رجّالة ، وإذا رأوك صابرًا محافظًا صبروا - إن شاء الله - وحافظوا . فقال معاذ : وفقني الله وإيّاك يا بُنيّ »[2].

الأَزْدُ وما أدْراكَ ما الأزْدُ .. ودَوْس وما أدراك ما دَوْس :

لله دَرُّهم مِن أبطالٍ ، حفروا بالنور أسماءهم في سجلّ التاريخ ...

(١) الطريق إلى دمشق صـ ٤٧٢ .

(٢) الطريق إلى دمشق صـ ٤٧٦ .

وما يزال التاريخ يُنشد مع سيّدهم الطفيل بن عمرو الدّوْسي - وهو يُضرم النار في « ذي الكَفَيْن » صنمهم - :

يا ذا الكَفَيْنِ لستُ من عُبَّادِكَا
ميلادُنَا أقدَم من ميلادِكَا
إني حشوْتُ النارَ في فُؤَادِكَا

وفي طريقه إلى اليمامة لحربِ مُسيْلمة يرى البطل رؤيا يُؤوّلها : إني لأرجو أن أُقتل شهيدًا ، ويطلب ابني الشهادة ، لكنها يدركها فيما بعد .

وفي اليمامة أبلى الطفيل أعظم البلاء حتى خرَّ صريعًا على أرض المعركة . وأما ابنه عمرو فما زال يقاتل حتى أثخنتْه الجراح ، وقطعت كفُّه اليمنى وسبقتْه - إن شاء الله - إلى الجنة .. وكان له ما أراد وتمنّى في يوم اليرموك .

وفي اليرموك .. اشتد القتال في الأزْد ، فأُصيب منهم ما لم يُقتل مِن غيرهم مِنَ القبائل .. واستشهد عمرو يوم اليرموك وهو ثابت ، وهو يقول : يا معشرَ الأزْد ، لا يُؤْتينَّ المسلمون من قِبَلكم . وأخذ يضرب بسيفه قُدُمًا وهو يقول[1] :

قد علمتْ دوْس ويشكرُ تعلمْ ... أني أخو البيضِ ليومٍ مُظْلِمْ
وأعزِلُ الشّكيم شدّ الأَيْهَمْ ... كنتُ عزيزًا في الوغَى وضيْغَمْ

وقد قَتل من أَشدَّائِهم تسعةً قبل أنْ يُقتل .

---

(١) أوردها الأزدي صـ ٢٢٤ :

قد علمتْ أوْسُ ويشكرُ تعلمْ ... أني إذا الأبيضُ يومًا مُظْلِمْ
وعرَّد النكْسُ وَفرّ الأَيْهَمْ ... أني عُفْرٌ في الوقاعِ ضَيْغَمْ

وثبت **جندب بن عمرو بن حُمُمَة** ورفع رايته وهو يقول : يا معشر الأزْد ، إنه لا يبقى منكم ولا ينجو من القتل والعدوّ والإثم والعار إلّا مَن قاتل . ألا وإن المقتول شهيدٌ ، والخائب مَنْ تولّى . يا معشر الأزد ، إنه لا يمنع الراية إلّا الأبطال .

يا معشرَ الأزدِ احتذاذُ الأفيالْ هيهاتَ هيهاتَ ووقوفٌ للحالْ
لا يمنعُ الرايةَ إلّا الأبطالْ

وقاتل قتالًا شديدًا حتى قُتل ، يرحمه الله .

وكان **أبو هريرة رضي الله عنه** مِن رؤوس الأزْد فصاح يقول : يا مبرور ، يا مبرور . فأطافت به الأزد .

يقول عبد الأعلى بن سراقة : انتهيتُ إلى أبي هريرة يومئذٍ وهو يقول : تزينوا للحُور العِين ، وارغبوا في جِوار ربِّكم عز وجلّ في جنات النعيم ، فما أنتم إلى ربكم في موطنٍ مِنْ مَواطِن الخير أحبّ إليه منكم في هذا الموطن ، ألا وإنّ للصابرين فضلَهم . ثم اضطربوا - الأزْد والروم - فوالذي لا إلٰه إلا هو لرأَيْنا الروم وإنها لتدور بهم الأرضُ وهم في مجالٍ واحدٍ كما تدور الرَّحا ، يعني يدورون حول أنفسهم ، فما برحوا ولا زالوا - يعني الأزد - وركْبهم من الروم أمثال الجبال ، فما رأيتُ موطنًا قطُّ أكثَر قُحْفًا[1] ساقطًا أوْ معصمًا نادرًا[2] أو كفًّا طائحة مِن ذلك المَوْطن ، والناس يضطربون تحت القسْطل (التراب) وقد - واللهِ - أوْحَلناهم شرًّا وأوحلونا ، فنحن في ذلك ، وكان جلّ القتال في الميمنة ، وإنّ القلْبَ ليلقُون مثلَ ما نلقى ، ولكنَّ حمَّة القوم وحدهم ....

(١) القحفة : العظم الذي فوقَ الدِّماغ . وما انفصل من الجمجمة من عظْم .

(٢) زائلًا عن موضعه .

وحَرْدَهم[١] وَحَنَقَهم علينَا ، وكنا في آخر الميمنة ، فقد لقينا مِن قتالهم ما لَمْ يلقَ مثلَه أحدٌ ، فوالله إنا لكذلك نقاتلهم وقد دخل عسكرَنا منهم نحوٌ مِن عشرين ألفًا مِن ورائنا فعصمَنَا الله من أن نزول »[٢].

جبالٌ تقارع جبالًا ...

كنَّا جبالًا في الجبالِ وربَّما ... سِرْنا عَلَى مَوْجِ البحارِ بحارَا

نعم ...

وكنَّا عظامًا فَصِرْنَا عظامًا ... وكنَّا نقوتُ فهَا نحنُ قوتْ

قَبَاث بن أشيم قائد المَيْسَرةِ في اليرموك :

أشار خالد بن الوليد على أبي عبيدة بن الجراح بتوليته قائدًا للميسرة في اليرموك ، وقاتلَ قبّاثُ يومئذٍ قتالًا شديدًا ، وأخذ يقول :

إن تفقدوني تفقدُوا خيرَ فارسٍ ... لدَى الغَمَرَاتِ والرئيسَ المُحامِيَا

وذَا فَخْرٍ لا يَمْلأُ الهولُ قلبَهُ ... ضَروبًا بنصْلِ السيفِ أروعَ ماضِيَا

وكسر في الروم ثلاثةَ رماحٍ وقطع سيفين ، وكان كُلّما كسر رمحًا أو سَيْفًا يقول : من يُعير سيفًا أوْ رمحًا - في سبيل الله - رجلًا قد حبَس نفسه مع أولياء الله وقد عاهد الله لا يفرّ ولا يبرح ، يقاتل المشركين حتى يظهر المسلمون أو يموت . فكان مِن أحسنِ الناس بلاءً في ذلك اليوم[٣].

الأَشْتر مالك بن الحارث النخعي ، ملك العرب :

قال عنه علي بن أبي طالب : « مالكٌ ، وما مالك ؟! وهل موجودٌ

---

(١) غضبهم .

(٢) الأزدي ٢٢٥ ، وابن عساكر ١ / ٥٤٠ .

(٣) الطريق إلى دمشق صـ ٤٤٣ ، ٤٨٤ .

مثلُ ذلك ؟! لو كان حديدًا لكان قيدًا ، ولو كان حجرًا لكان صَلْدًا ، على مثله فلتبْكِ البواكي »[١].

« فُقِئَتْ عينه يوم اليرموك ، وقاتل قتالَ الأبطال .. وتعقب مع خالدٍ فلول الروم بعد موقعة اليرموك فأدركهم في غوطة دمشق ، وتقدم إليهم الأشتر في رجالٍ من المسلمين فإذا أمامهم رجلٌ من الروم عظيمٌ جسيم ، واتجه إليه الأشتر فوثب عليه ، واستوى هو والرومي على صخرةٍ مستوية فتبادلا الضرب بالسيف ، فقَطعِ الأشترُ كفَّ الرومي ، وضرب الروميُّ الأشترَ بسيفه فلم يضرّه . واعتنق كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه فوقعا على الصخرة ، ثم انحدرا والأشتر يردِّدُ ﴿ **قُلْ إِنَّ صلاتي ونُسُكي ومحيايَ ومماتي للهِ ربّ العالمين لا شريك له وبذلك أمرتُ وأنا أول المسلمين** ﴾ ولم يزلْ يردّدها حتى انتهى إلى مستوى في الجبل ، فلما استقرّ وثب على الرومي فقتله ، وصاح في المسلمين أن يجتازوا . فلما رأت الروم أن صاحبَهم قد قتل انسحبوا من الثَّنية وانهزموا ، وكان الأشتر ذا بلاءٍ حسنٍ في اليرموك ، قتَلَ ثلاثةَ عشر . وصعد خالد والمسلمون الثنية راكبين حتى هبطوا نحوَ الشرق ، وأشاعوا النكاية في الروم الفارّين في سائر البلاد ، فعاد يقتلهم في القرى والأودية والجبال والشِّعَاب والسهول ، حتى انتهى إلى حمص »[٢].

عمرُو بن سعيد بنِ العاص شهيدُ « فحلٍ » وبطلُها :

استشهد البطل في معركةِ فحل ، « رُئي وهو مضروبٌ على حاجبه بالسيف ، وقد ملأ الدمُ عينيْه ، وهو لا يستطيع أن يطرف ولا أن يفتح جفنَه من الدم ، وكان الروم قد حنقوا عليه لِمَا رأوْا مِن شدةِ قتاله ، فجرَّدوا

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٤ ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ١٦ / ١٩١ أ .

(٢) الطريق إلى دمشق صـ ٤٩٥ .

له فريقًا ، فمشى إليهم بسيفه فضاربهم ساعة ، وثارَ بينهم الغبارُ ؛ فشدّ عليهم المسلمون ، وإذا الروم قد قطّعوه بسيوفهم ، ووجِد به أكثرُ من ثلاثين ضربة »[1].

وما يضيره وقد مضى البطل إلى ربه ، ومنح الله إخوانه من المسلمين أكتاف الروم ، وقتلوا قائدهم سقلار (سكلاريوس) ، وقتلوا منهم زهاءَ عشرة آلافٍ .

قيس بن هبيرة قائد ميْمنةِ الفرسان في « فحل » وبطلٌ من اليرموك :

كان هذا البطل مِن سلاح الفرسان ، وقائد ميمنة الفرسان في قوات خالد في معركة « فحل » .

حمل على ميْسرة الروم ، فقصف بعضهم على بعضٍ ، وقد تكسّرتْ في يدِ قيْسٍ يومئذٍ ثلاثةُ أسيافٍ وبضعة عشر رمحًا ، وكان يقاتل وهو يقول :

لا يَبْعُـدَنَّ كل فتى كَـرَّارِ ماضي الجَنَـانِ خشـنٍ صبّـارِ
حبـوتُهُم بالخيْل والإدبـار يَقْدُمُ إقْدَامَ الشجاعِ الضَّاري[2]

أين تدعون الجنة ..... وتأتون قرحًا والحِجْر ؟!

قبْل اليرموك أشار رجلٌ على أبي عبيدة بالرجوع ، وقال : أما إنك لو خرجت حتى تنزل قرحًا والحِجْر ، وانتظرنا مَدَدَنا هناك لكانَ منزلًا . وقد كانت قرحٌ وحِجْر ثمود إلى الوراءِ كثيرًا قريبًا مِن المدينة . فقال قيْس ابن هُبيرة : لا ردّنا اللهُ إذنْ إليها إن خرجنا لهم عن الشام أكثر مما خرجنا لهم عنه .. أتدعون هذه العيون المتفجرة والأنهار المطَّردة والزروع والأعناب

(١) الطريق إلى دمشق صـ ٣٤٤ .
(٢) الطريق إلى دمشق صـ ٣٣٥ .

والخُمُر والذهب والفضة والحرير وترجعون إلى أكل الضِّباب ، ولُبْس العناء ، والبؤْس والشقاء ، وتزعمون أن قتيلنا يدخل الجنة ويصيب نعيمًا لا يشاكله نعيم ! فأين تدعون الجنة وتهربون منها وتزهدون فيها ، وتأتون قرحًا والحِجْر ؟! لا صحب الله مَن سار إليها ولا حفظه . قال أبو عبيدة : الحقُّ ما قُلت يا قيْس ، أتريدون أن ترجعوا إلى بلادكم وتدَعُوا لهؤلاء القوم حصونًا وديارًا وأموالًا قد فتحها الله عليكم ونزعها من أيديهم ، ثم تدعونها وتخرجون منها ، وترجعون إليها ثانية تقاتلونهم عليها ، وقد كفاكم الله مُؤْنة نزْعها من أيديهم . هذا والله رأي مضلل .

قال خالد : جزاك الله خيرًا يا قيْس ؛ فإن رأيك موافقٌ لرأيي ، ولسنا - واللهِ - بمرتحِلين ولا زائلين من هذه البلاد حتى يحكم الله بيننا ، وهو خير الحاكمين . وقال ميسرة بن مسروق : فقال لأبي عبيدة : أصلحك الله ، لا تبرح مكانك الذي أنت فيه وتوكل على الله ، وقاتل عدوَّك ؛ فوالله إني لأرجو أن ينصرك الله عليهم . عَلامَ تدعُ لهم البلاد وقد قاتلناهم عليها حتى نفيْناهم عنها ، وقتلنا بطارقتهم وفرسانهم فيها يوم أجنادين ويوم فحل ؟! قال أبو عبيدة : لستُ بارحًا وقد ولّيْتُ خالد بن الوليد ما خلْف بابي ، وأنا معكم لا أبرح الأرض حتى يحكم الله بيننا ، وهو خيرُ الحاكمين .

لله دَرُّكَ قيْسُ مِن مشمِّر للجنة مُرَغِّب فيها !

وقبل معركة اليرموك ، لما أراد الرومُ منعْ التموين عن المسلمين الذي يأتي إليهم من الأردن نازلهم خالدٌ في ألفيْ فارس ، وكان على خيْلِهِ قيس بن هبيرة ، فحمل قيسٌ على خيولِ الروم واقتتلوا اقتتالًا شديدًا ، وحمَل

(١) الأزدي ١٧١ .

قيسٌ في خَيْل المسلمين على خيلهم فهزمها ، حتى اضطرها إلى الرَّجَّالة الذين مع خالد .. وقال قَيْس لرجلٍ من بني نُمير مرّ به البطريق - قائد قوات الروم - يركض منهزمًا : يا أخا بني نُمير ، لا يفوتنَّك البطريق ؛ فإني والله قد كددتُ فرسي على هذا العدو من هذا اليوم ، حتى ما عند فرسي مِن جريٍ . فحمل عليه النميري فركضَ في أثره ساعةً ، ثم إنه أدركه . فلما رأى البطريق أنه قد غشيه وأحرجه عطف عليه البطريق ، فاضطربا بسيْفيْهما ، فلم يصنع السيفانِ شيئًا ، واعتنق كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه ، ووقعا على الأرض فاعتركا ساعةً ، ثم صرعه النميريُّ ، ووقع النميريُّ على صدْر البطريق فضمَّه البطريق إليه ، وكان مثل الأسد ، فجعل النميري لا يستطيع أن يتحرك ، وبصُر بهما قَيْسٌ فجاء حتى وقف عليهما ، فقال : يا أخا بني نُميرٍ ، قتلتَ الرجلَ إن شاء الله ؟ قال : لا ، واللهِ ما أستطيع أن أتحرك ولا أضربه بشيءٍ ، ولقد ضمّني بفخذِهِ وأمسك يديَّ بيديْه . فنزل إليه قيسٌ فضربه فقطع إحدى يديْه ثم تركه وانطلق ، وقال للنميريّ : شأنك به . وقام النميري فضربه بسيفه حتى قتله ، ومرّ به خالد بن الوليد فقال له : ما هذا يا قيس ، ومَن قتله ؟ فقال له قيس : قتله هذا النميري . ولم يخبرْه بما صنع هو[1] .

في اليرموك :

« وفي اليرموك كان لبطلنا الدورُ الرائع الذي زلزل قلوبَ الروم .. فقد خرج الروم وصفُّوا صفوفهم ، ورفعوا راياتهم ، وخرجوا بالصُّلبان ومعهم القسِّيسون والرهبان والبطارقة ، وأخرجوا إلى المسلمين خيلًا أضعافَ خيل المسلمين ، فلما تدانتْ خيلُهم من خيل خالد خرج بطريق من بطارقتهم

---

(١) الطريق إلى دمشق صـ ٤٤٠ - ٤٤١ .

وشُجعانهم يتعرض لخيل المسلمين ويطلب المبارزة ، فقال خالد : أما لهذا رجل يخرج إليه ؟ فأراد مَيْسرة بن مسروق أن يخرج إليه ، فقال له خالد : أنت شيخ كبيرٌ وهذا الرومي شابٌّ ، ولا أحب أن تخرج إليه . وأراد عمرو ابن الطفيل أن يخرج إليه ، فقال له خالدٌ : يا ابن أخي ، أنت غلامٌ حديثُ السِّنِّ ؛ وأخاف ألا تقوى عليه . وأراد الحارث الأزدي أن يخرج إليه ، ولم يكن بارَزَ رجلًا قطُّ قبلَه ، فقال له خالد : فلا تخرج إليه . قال قَيْسُ ابن هبيرة : يا خالد ، كأنك عليّ تحوّط ؟ قال له : أجَل ، فإني أرجو إنْ أنت خرجتَ إليه أنْ تقتله ؛ فإنْ أنت لم تخرج إليه لأخرجنَّ أنا إليه . وخرج قيسٌ وهو يقول :

سائِلْ نساءَ الحيِّ في حِجَالِهَا ألستُ يومَ الحربِ مِن أبطالِهَا

ومُقَعِّص[1] الأقْرانِ مِن رجالها

فلمّا دنا منه ضرب الروميُّ فرسه وحمل عليه ، فما لبث أن ضربه بالسيف على هامته فقطع ما عليه من السلاح (المغفر) ، وفلق هامته وسقط الروميُّ أمامَ فرسه قتيلًا ، وكبّر المسلمون . صاح خالد : ما بعد ما ترون إلّا الفتح ، احملْ عليهم يا قيس »[2].

لله دَرُّكَ يا قيس ، تفلق هامة البطريق العملاق الجسيم – ذي المنظر والمهابة – ومغفرَه بضربةٍ واحدةٍ أمام مائتي ألفٍ من الروم .. وقيسٌ نفسُه هو الذي يأمره خالد بالحمل على الروم ؛ لأنه الآن صاحب الرهبة في نفوس الروم ، بعد أن جنْدَلَ بطَلَهم بضربةٍ واحدةٍ .

---

(١) مُقَتِّل .

(٢) الطريق إلى دمشق صـ ٤٥١ .

مَيْسرة بن مسروق العَبْسيُّ ، الشيخُ البطلُ :

كان مِن سلاح الفرسان ، وقائد قلبهم في معركة فحل بيسان .

ومع كِبَرِ سنِّه كان أسدًا ضرغامًا .. ويكفيه شهادةُ سيف الله خالدٍ : إنك ما علمتُ حسنُ البلاءِ عظيمُ الغناء .

وعن « فحل » يقول سالم بن ربيعة العبسي : حمل ميسرة بن مسروق العبسي يومئذٍ ونحن معه في الخيل ، فحملنا على القلْب ، وقد أخذ صفُّ الروم ينتقض من قِبَلِ ميْسرتهم وميْمنتهم ، ولم ينته إلى الانتقاض إلى القلبِ بعدُ ، فثبتوا لنا ، وقاتلونا قتالًا شديدًا ، فَصُرِع[1] ميسرة عن فرسه وصُرِعتُ معه ، ويعتنق ميسرةُ رجلًا مِنْ الروم ، فاعتركا ساعةً فصرعه ميسرة فقتله ، ثم شدّ آخرُ على ميسرة فعانقه ، واعتركا ساعةً فَصرع ميسرة وجلس على صدره ، وأشدُّ عليه فضربتُ وجهَ الرومي بالسيف فأطرتُ قحْفَ رأسِه ووقع ميتًا ، ووثب ميسرةُ ، وأقبل رجلٌ منهم فضربني ضربةً أدارني منها ، وبصُر به ميسرةُ فضربه فقتله[2].

أبو سفيانَ بنُ حَرْبٍ وابنُه يزيد :

أبو سفيان شيخ قريش وسيدها ، وصاحب المكيدة والرأي ، صاحب : « يا نصرَ الله اقتربْ » .

قبل معركة اليرموك .. « وكان أمراء الجيش مجتمعين في خباءِ يزيد بالجابية ، يسمعون الخبر من عَيْنٍ لهم مِن قُضاعةَ يخبرهم بكثرة الروم ونزولهم على نَهْر ....

---

(١) سقط .

(٢) الطريق إلى دمشق صـ ٣٣٩ .

الرقاد[١] ومرج الجولان . وطاف بهم أبو سفيان فقال : ما كنت أظنُّ أني أبقى حتى أرى غِلْمةً مِن قريشٍ يذكرون أمْر حربهم ويكيدون عدوّهم بحضرتي لا يحضرونيه . فقالوا : هل لكم إلى رأي شيخكم ؟ قالوا : ادخل أبا سفيان . فدخل ، فقال : إن معسكركم هذا - بالجابية - ليس بمعكسر ؛ إني أخاف أن يأتيكم أهل فلسطين والأردن فيحُولوا بينكم وبين مَدَدِكم من المدينة فتكونوا بين عسكرهم ، فارتحلوا حتى تجعلوا أَذْرُعَات خلف ظهوركم يأتكم المددُ والخيرُ . فحدد لهم أبو سفيان مكان معركة اليرموك .. وقد كان هذا من براعة الفِكر الحربي عند المسلمين أنهم كانوا يختارون أرض المعركة حين يُتاح لهم ذلك ، خاصة إذا كانت المعركة هامّة وحاسمة .

قال أبو سفيان : إذا قبلتم هذا من رأيي فأمِّروا خالد بن الوليد على الخيول ، ومروه بالوقوف بها مما يلي الرقاد ، وأمّروا رجلًا على المرامية - الرُّماة - وأخرجوا إليهم كلّ نابضٍ بوترٍ ، ومُرُوه بالوقوف فيما بين العسكرين وبين الخيول ، فإنه ستكون لرحيل العسكر من السَّحر أصواتٌ عاليةٌ تُحدثِ لعدوّكم فيكم طمعًا ، فإنْ أقبلوا يريدون ذلك لقيتْهم الخيول فكفّتْها »[٢]. وقبلوا ذلك منه وكان الأمر كما قدّر أبو سفيان .

وفي اليرموك كان بيتُ أبي سفيان في المعركة ، هو وولداه يزيد ومعاوية وزوجه هند بنت عتبة . فخرج أبو سفيان يومئذ يسير في المسلمين ، ويقف على أهل كلِّ رايةٍ وعلى كلّ جماعةٍ يحضُّهم ويعظهم ويقول : « إنكم يا معشر المسلمين أصبحتم في دارِ العجم منقطعين عن الإبل ، نائين عن أمير المؤمنين وأمدادِ المسلمين ، وقد - والله - أصبحتم بإزاء عدوٍّ كثيرٍ

---

(١) من روافد نهر اليرموك .

(٢) تاريخ ابن عساكر ١ / ٥٣٢ .

عددُهم شديدٍ عليكم حَنَقُهم ، وقد وترتموهم في أنفسهم ونسائهم وأولادهم وأموالهم وبلادهم ، فلا واللهِ لا يُنجّيكم منهم اليوم وتبلغون رضوانَ الله إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة ، ألا إنها سُنَةٌ لازمةٌ ، وإن الأرض وراءكم ، بينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحارٍ وبرارٍ ، ليس لأحد فيها معقل ولا معقول إلا الصبر ورجاءُ ما وعد الله ؛ فهو خير معول ، فامتنعوا بسيوفكم ، وتقرّبوا بها إلى خالقكم ، ولتكنْ هي الحصون التي تلجأون إليها وبها تمتنعون »[١] .

« وكان رضي الله عنه يسير فيقف على الكراديس فيقول : اللهَ اللهَ ؛ إنكم ذادة العرب وأنصار الإسلام ، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك . اللهم إن هذا يومٌ من أيّامك ، اللهم أنزل نصرك على عبادك »[٢] .

« وجاءتْ نساءُ المسلمين فوقفن على مرتفعٍ خلْف الصفوف ينظرنَ ما يكون من أمْر المعركة المرتقبة ، فرجع إليهن أبو سفيان ، وأمر بالحجارة فأُلقيتْ بين أيديهن ، ثم قال لهن : لا يرجع إليكنَّ أحدٌ من المسلمين إلا رميتموه بهذه الحجارة وقلتنّ : مَنْ يرجوكم بعد الفرار عن الإسلام وأهله ، وعن النساء بأرض العدو ؟ فالله الله . ثم رجع إلى موقفه مِن صفوف المسلمين ونادَى : يا معشر أهل الإسلام ، حضر ما تَرَون ، فهذا رسول الله ﷺ والجنة أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم . ثم وقف موقفه »[٣] .

ما أجمل الإسلام .. يغيّر صناديد الشرك وقادته .. فيجعلهم قِمَمًا في سماءِ التوحيد !

---

(١) فتوح البلدان للبلاذُري صـ ١٦٠ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ٣٩٧ .

(٣) تاريخ دمشق ١ / ٥٣٧ ، والأزدي ٢٢٠ .

« قال حبيب بن مسلمة : كان يزيد بن أبي سفيان من أعظم الناس غناءً ، وأحسنِهم بلاءً هو وأبوه جميعًا ، وقد كان أبوه مرّ به وهو يحرّض الناس وبعظهم ، فقال : يا بنيّ ، إنك تلي مِن أمر المسلمين طرفًا - ويزيد حينئذٍ على ربْع الناس - وإنه ليس بهذا الوادي رجلٌ من المسلمين إلا وهو محقوقٌ بالقتال ، فكيف بأشباهك الذين وُلُّوا أمورَ المسلمين ؟! أولئك أحقُّ الناس بالجهاد والنصيحة والصبر والتضحية ، فاتَّقِ الله يا بُنيّ وأكرمْه في أمرك ، ولا يكوننَّ أحدٌ من أصحابك أرغب في الآخرة ، ولا أصْبر في الحرب ، ولا أشد نكايةً في المشركين ، ولا أجهدَ على عدوّ الإسلام ، ولا أحسنَ بلاءً عندهم منك . فقال : أفعلُ واللهِ يا أبت . فقاتل يزيدُ في الجانب الذي كان فيه قتالًا شديدًا ، وكان في الميسرة ممّا يلي القلب » ..

ولله دَرُّ هندٍ حين تقول : « قاتلوا فلستم ببعولتِنَا إن لم تمنعونا ... عَضّدوا الغلفان بسيوفكم »[1]...

رضي الله عنكم أهل بيتٍ من بيوتِ قريشٍ .. بيتٍ سمَا وعلا بمصاهرة رسول الله ﷺ . ولا يزال بسمْع التاريخ صوتُ أبي سفيان اليرموك يجلجلُ حتى يُسمعَ الجيش : « يا نصر الله اقترب » .

القادسيَّة ... وما أدراك ما القادسية !

فالقادسيةُ ما يزالُ حديثُها ... عِبَرٌ تضيءُ بأطيبِ الألوانِ
تحكي مفاخرَنا وتذكرُ مجدَنَا ... فتجيبها حِطّينُ بالمنوالِ
صفحاتُ مجدٍ في الخلودِ سطورُها ... دانَ الرجال لها بغيْر جدالِ
وكأنني بابن الوليد وجنده ... وبكلِّ كفٍّ لامعِ الأنصالِ
نشرُوا على أرضِ الخليلِ لواءَهمْ ... فغدَا يظلِّل أطْهرَ الأطلالِ

(١) الأزدي صـ ٢٢٨ ، والبلاذري ١٦٠ .

وعن اليمينِ أبو عبيدةَ قد أتى ... وأتَى صلاحُ الدينِ صوبَ شِمالِ
يَسعىٰ إليهِمْ قد شَرَوْا أرواحَهُمْ ... للهِ بعــدَ تســابقٍ لقتــالِ
فَهُم الأعزَّةُ في كتابٍ خالدٍ ... ما بعدَ قوْلِ اللهِ مِنْ أقوالِ

جوائِز مِنْ عُمَرَ لأُسْدِ القادسِية :

عُمر ... وما أدراك ما عمر !

انظر إلى شهادة الكفار في حقِّه : يقول رستم : « أكَلَ عمرُ كبدي ، أحرق الله كبده . وإنما هو عمر الذي يُكَلِّم الكلاب فيعلمهم العقل ، علّم هؤلاء حتى علمُوا »(١).

أرسل عمر مع رسولٍ خاصٍّ ثماني جوائز ، مكافأةً لمن يرى القائدُ سعد أنهم قد أبلوْا في الجهاد أحسنَ مِن غيرهم ، وهذه الجوائز هي أربعة سيوفٍ مِن أجودِ السيوف ، وأربعة أفراسٍ عربية أصيلة ، فسلّمها سعد إلى أحسن الناس غناءً عن الإسلام في القتال . وهؤلاء الثمانية ثلاثة منهم من بني أسد ، وخمسة من بني تميم .

أمّا الأسْدِيُّون الثلاثة فهم : طليحة بن خويلد الأسدي ، وحمَّال بن مالك الوالبي الأسدي ، والربيل بن عمرو بن ربيعة الوالبي الأَسْدي .

وأما الخمسةُ الذين هم من بني تميم فهم : القعقاع بن عمرو ، وأخوه عاصم بن عمرو ، ونعيم بن عمرو بن عتّاب ، وعتّاب بن نعيم بن عتّاب ، وعمرو بن شبيب بن زنباع .

فدعا سعدُ حمالَ والربيل وطليحة وعاصم فأعطاهم الأسياف؛لِمَا تفوّقوا به على غيرهم في القتال يوم أرماث ، ودعا القعقاع بن عمرو اليربوعيين

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٥٣٢ .

نعيم وعتّاب وعمرو بن شبيب ، فحملهم على الخيل لبسالتهم يوم أغواث . فأصاب ثلاثةٌ من بني أسد ثلاثةَ أرباع الأسياف ، وأصاب ثلاثةٌ من بني يربوع ثلاثة أرباع الأفراس . وفي ذلك قال الربيل بن عمرو :

لقد عِلِم الأقوامُ أنّا أحقُّهُم إذا حصلوا بالمرهَفَاتِ البَواتِرِ
وما فتِئَتْ خيلي عشيةَ أرمثُوا يذودون رهوًا عن جموعِ العشائرِ
لدُنْ غدوةٍ حتّى أتى الليلُ دونَهُمْ وقد أفلحتْ أخرى الليالي الغوابرِ

وقال القعقاع في شأْنِ الخيل :

لم تعرفِ الخيلُ العرابُ سَواءَنا عشيةَ أغواثٍ بجنبِ القوادِسِ
عشيةَ رُحْنَا بالرِّماحِ كأنَّهَا على القومِ ألوانُ الطيورِ الرسارِسِ[1]

طليحة بن خُويْلد بن نوْفل الأَسدي ، البطل الكرّار صاحب رسول الله ﷺ ومَن يُضرب بشجاعته المثل :

« أسلم ثم ارتدّ وظلم نفسه ، وتنبّأ بنجد ، ثم ارعوى ، وأسلم وحسُن إسلامه لما تُوفي الصديق .

شهد القادسية ونهاوند ، وكتب عمر إلى سعد بن أبي وقّاص : أن شاوِرْ طليحةَ في أمْر الحرب ولا تُولِّهِ شيئًا .

قال محمد بن سعد : كان طليحة يُعدّ بألِف فارسٍ لشجاعته وشدَّته .

أبلى يوم نهاوند ثم استشهِد رضي الله عنه »[2].

« في يوم أرماث أول أيام معركة القادسية ألقتْ فارس بثقلها على

---

(١) القادسية لأحمد عادل كمال صـ ١٥٨ طبع دار النفائس ، و« القادسية » لبشاميل صـ ٦٣٤ ، ٦٣٥ . والرسارس أي : النشيطة .

(٢) سير أعلام النبلاء ١ / ٣١٦ - ٣١٧ .

« بجيلة » أقوى جانب في مَصافّ المسلمين ، وكان قِوام الهجوم الفارسي اثنين وخمسين ألفِ مقاتلٍ تساندهم تسعة أفيالٍ ، وألقى الفُرْسُ حَسَكَ الحديد تحت سنابك خيلِ بجيلة لتتعطل عن الحركة ، وقصفوهم بوابل من نشاباتهم،وأدرك سعدٌ ما تعانيه بجيلة وكندة فأصدر أمره إلى أقوى وأشجع قبيلة تقع على ميمنة بجيلة ، وهي قبيلة بني أسد : ذبُّوا عن بجيلة ومَنْ لافّها مِن الناس . فاستجابت أسد لأمر سعد ، وقام فيها فارسها المعلَم – الذي يُعدُّ بألف فارسٍ – طليحة خطيبًا وقال : يا عشيرتاه ، إنّ المُنوّه باسمه الموثوق به ، وأن هذا – يعني سعدًا – لو علم أن أحدًا أحقُّ بإغاثة هؤلاء منكم استغاثهم .. ابتدئوا الشّدّة ، وأقدِموا عليهم إقدام اللّيوث الحربة .. فإنما سُمّيتم أسدًا لتفعلوا فعلة الأسد ، شدّوا ولا تصدّوا[1] ، وكِرُّوا ولا تفرّوا ، لله درُّ ربيعة ! أيّ فريّ يفرون ، وأيّ قرنٍ يفنون ! هل يُوصل إلى مواقفهم ؟! فأغْنوا عن مواقفكم أعانكم الله ، شدُّوا عليهم باسم الله »[2].

قال المعرور بن سويد – وكان ممّن شهد القادسية – : شدَّ بنو أسد على الفُرس ، واللهِ فما زالوا يطعنونهم ويضربونهم حتى حبسنا الفيلة عنهم فأخرت ، وخرج إلى طليحةَ عظيمٌ منهم فبارز ، **فما لبّثه طليحة حتى قتله.** وخرج الجالينوس فاعترضه طليحة وجهًا لوجهٍ ، وضربه ضربةً على رأسه ، ولكنّ مغْفَره كان سميكًا فشقه السيف ولم ينفذ إلى رأسه ، فنجا من القتل ، فقال طليحة شعرًا :

أنا ضربتُ الجالينوسَ ضَرْبهْ … حينَ جيادُ الخيلِ وسْطَ الكُبّهْ

وكان يوم أرماث هو يوم بني أسد بحقٍّ ؛ لأنهم لم يَبلُ في ذلك

---

(١) أي : لا تقفوا مدافعين .

(٢) القادسية ومعارك العراق صـ ٦١٨ – ٦١٩ لمحمد أحمد بشاميل ، وتاريخ الطبري ٥٣٨ ، ٥٣٩ .

اليوم أحدٌ مثل بلائهم .. بقيادة طُليحة بن خُويلد فارسِها الذي يعدِل ألفَ فارسٍ ، وأظهروا بطولاتٍ كانت مثارَ إعجابِ كلّ المسلمين ...

يقول الأشعث بن قيْس الكندي - لما قام خطيبًا في قومه (كندة) - : يا معشرَ كندةَ ، للهِ درّ بني أسد ، أيّ فريّ يُفرون ، وأيّ هذٍّ يهذّون عن موقفهم ؟!

وفي يوم « عماس » من أيام القادسية : غامر طليحة - وكان مقدامًا لا يَهاب الموتَ ، ويعدل ألفَ فارس - وعبَر بمفردِهِ نحو الفرس فجاءهم من وراء العتيق ، حيث الجسر المردوم ، حتى صار خلف صفوفهم ، ومِن هناك كبّر ثلاثَ تكبيراتٍ ارتاع لها الفرس ، فظنُّوا أن جيش الإسلام جاءهم من ورائهم . وتعجّب المسلمون وكفّ بعضُهُم عن بعض ...

فلله درُّ رجلٍ يُرْعِب تكبيرُه الفُرسَ ... يخاطب طليحةُ الفُرس بعدهم قائلًا : لا تُعدموا أمرًا يضعضعكم .

قال طليحة :

طرقَتْ سُلَيْمَى أَرْحُل الرَّكْبِ ... أنّي اهتديتُ بسَبْسَبٍ سَهْبِ
أنّي كَلَفْتُ سلامَ بُعدكم ... بالغارةِ الشّعواءِ والحرْبِ
لوْ كنتِ يومَ القادسيةِ إذْ ... نازلتُهم بمهنّدٍ عضْبِ
أبْصرْتِ شَدّاتي ومُنْصرفي ... وإقامتي للطَّعْنِ والضَّرْبِ

وانظرْ - بربك - ما فعل هذا المغوار الذي يعدلُ جيشًا بأسْرِهِ قبل معركة القادسية :

« بعث سعدٌ طليحةَ بن خويلد وعمرو بن مَعْدي كَرِب الزبيدي في غير قوةٍ من خيْلٍ ، كالطليعة في « دَوْرِيَّةٍ » استكشافيةٍ ، فكان طليحةُ وحده مكلّفًا بعسْكرِ رُسْتم ، وكان عمرٌو في خمسةٍ من أصحابه مكلّفًا بعسكر

جالينوس ، وأمرهم أن يصيبوا له رجلًا منهم ليستخبره . فلمّا تجاوز طليحةُ وعمرٌو قنطرةَ القادسية لمْ يسيروا إلا فرْسَخًا وبعض فرسخٍ - حوالي سبعة كيلو متراتٍ - حتى رأوا خيلًا عظيمةً ، وقواتُ المجوس تتحرك بسلاحها قد ملئوا الطّفوف[1] . قال بعضهم : ارجعوا إلى أميركم فإنه سرحكم ، وهو يرى أنّ القوم بالنّجف ، فأخْبِرُوه بالخبر . وقال بعضُهم : ارجعوا ، لا ينذر[2] بكم عدوكم . فقال عمرو : صدقتم . وقال طليحة : كذبتم ، ما بعثتم لتخبروا عن السّرح ، وما بعثتم إلا للخبر . قالوا : فما تريد ؟ قال : أريد أن أخاطر القومَ أوْ أَهْلكَ . فقالوا : أنت رجلٌ في نفسك غدْرٌ ، ولن تفلح بعد قتْل عكّاشةَ بن محْصَن ؛ فارجع بنا . فأبى ، ثم فارقهم يريد معسْكَرَ رُستم في مغامرةٍ خطيرةٍ[3] .

« ومنذ فارق طليحة عمرًا وهو يعمل للدخول إلى قلْب معسكر رستم بمفرده ، مع العلم أنَّ معكسر رستم يضمُّ ثمانينَ ألفِ مقاتلٍ ، ومثلهم من الخدم والحرس الخاصّ ، ولكنها شجاعة وجرأةُ بطل الأبطال طليحة ، فقد مضى يعارض المياه المنبثقة من الأنهار حتى دخل عسكر رستم ، دخله في ليلةٍ مقمرةٍ ، وبات ليلةً يتخبّر ، وكان يحبُّ الخيل كعاشقٍ للفروسية فرأى فرسًا لم يَرَ مثلها في خيل رستم ، ورأى فُسطاطًا أبيض لم يَرَ مثله ؛ فامتشق حسامَه . فقطع به مِقْوَد ذلك الفرس ثُمَّ ربطه إلى مِقْوَد فرسه ، ثم مشى بفرسهِ وخرج يعدو به ، وأحسَّ الفرسُ بما حدث فتنادَوْا ، وركبوا الصّعبة والذّلولَ ، وتعجّل بعضهم فلم يسرجْ فرسَه ، وخرجوا يجدّون في أثره . ولحِقه فارسٌ منهم مع الصباح ، فلما أدركه وصوّب إليه رُمْحَه

(١) ما أشرف على الأرض على ريف العراق .

(٢) نذر به : علِمَه فحذِره واستعدّ له .

(٣) تاريخ الطبري ٣ / ٥١٢ - ٥١٣ .

ليطعنه عَدَل طليحة فرسَه ومال به عن تصويب الفارسي ، فانصبّ الفارسي بين يديْه وصار أمامه ، فكرّ عليه طليحة وطعنَه برمحه فقصمَ ظهره ، وانطلق يعدو بفرسه ، فلحق به أعجميٌّ آخرُ ففعل به مثلَ ما فعل بالأول وانطلق يعدو ، فلحق به ثالثٌ وقد رأى مصرعَ صاحبيْه ، وهما ابنا عمِّه فازداد حنَقًا ، فلما لَحِقَ بطليحةَ وبوّأ له الرمحَ ليطعنه عدَل طليحةُ فرسَه فانصب المجوسي أمامَه ، وكرّ عليه طليحةُ وقد شرع رمحه ودعاه إلى الأسر ، وأدرك المجوسي أنه مقتولٌ فاستسلم ، وكانا قد اقتربا من معسكر المسلمين ، فأمره طليحة أن يركُض بيْن يديْه ، وهو يسُوقه من خلفه برمحه ، وهو على فرسه فامتثل للأمر . وأقبل جمعٌ آخر من العجم يجدّون في آثارهما فرأَوْا فارسَيْهم وقد قُتِلا ، وشاهدوا الثالث يركض مُسْتَسْلمًا أمام طليحة ، وقد أوشكا على دخول معسكر المسلمين فأحجموا ونكَصُوا ، ثم عادوا من حيث أتوا . وجاء طليحة على فرسه يسحب وراءَه الفرس التي غنِم ، وأسيره يعدو بين يديْه ، ودخل عسكرَ المسلمين ففزعوا منه ، ثم أجازوه حين عرفوه ، فدخل على سعدٍ . قال له سعد : ويحك ، ما وراءك ؟ قال طليحةُ : دخلتُ عساكرهم وجُستُها منذ الليلة ، وقد أخذتُ أفضلهم توسُّمًا ، وما أدري : أصبتُ أم أخطأتُ ، وها هو ذا فاسْتخبره .

لم أرَ ولم أسمعْ بمثل هذا :

« **استدعى سعد المترجم ليقوم بالترجمة بين الاثنين ، فقال الأسيرُ الفارسي:** أتؤمِّنني على دمي إن صدَقتك ؟ قال سعد : نعم ، الصدق في الحرب أحبُّ إلينا من الكذب . قال الأسير الفارسي : أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عمّن قِبَلي .. باشرتُ الحروبَ وغشيتُها ، وسمعت بالأبطال ولقيتُها منذ أنا غلامٌ إلى أن بلغتُ ما ترى ، ولم أرَ ولم أسمع بمثل هذا أنّ رجلًا قطع عسكريْن ، لا يجترئ عليهما الأبطال إلى عَسْكرٍ فيه سبعون ألفًا ، يخدم الرجل

منهم الخمسة والعشرة ، إلى ما هو دون ، فلم يرضَ أن يخرج كما دخل حتى سَلَب فارس الجُند ، وهتك أطنابَ بيته ، فأنذره فأنذرنا به ، فطلبناه فأدركه الأول وهو فارسُ الناس ، يعدل ألف فارسٍ فقتله ، فأدركه الثاني وهو نظيرُه فقتله ، ثم أدركته ولا أظنُّ أنني خلّفتُ بعدي من يعدِلني ، وأنا الثائر بالقتيلَيْن وهما أبناءُ عمّي ، فرأيتُ الموت فاستأسرتُ . ثم أخبر سعدًا عن أهل فارسٍ بأن الجند عشرون ومائة ألفٍ ، وأن الأتْباع مثلُهم خُدّامٌ لهم ؛ ورغب الأعجمي في الإسلام فأسلم بمحْض إرادته ، فسمّاه سعدٌ مسلمًا ، فكان يوم القادسية وغيرها من أهل البلاء ، فقد استفاد منه المسلمون لخبرته بأرضِ فارس ؛ ولأنه فارسيٌّ يعدِل بألف »[1].

مِن فرسان العربٌ في الإسلام :

علي بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقّاص ، والزبير ، وطلحة ، ورجال الأنصار ، وعبد الله بن خازم السُّلمي ، وعمرو بن معد يكرب ، وعباد بن الحُصَين ، وعُمير بن الحُباب .

وقالوا : ما استحيا شجاع قطُّ أن يفرّ من عبد الله بن خازم .

وقالوا : ذهبَ حاتم بالسخاء ، والأحنف بالحلم ، وخُزَيْم بالنعمة ، وعُمَيْر بن الحباب بالشّدّة .

فارسُ اليمن أبو ثور ، عمرو بن مَعْديكرب :

أبو ثور .. ومَن مثل أبي ثور !!

بعث عمر بن الخطاب إلى النعمان بن مقرّن - وهو على الصائفة -

(١) القادسية لبشاميل صـ ٥٦٢ - ٥٦٣ ، والقادسية لأحمد عادل كمال صـ ٩٥ - ٩٧ .

أن استعنْ في حربك بعمرو بن معديكرب ، وطُليحة الأسْدي ، ولا تولّهما مِن الأمر شيئًا .

وبعث عمر رضي الله عنه إلى عمرو بن معديكرب أن يبعث إليه بسيْفه المعروف بالصَّمصامة فبعث إليه ، فلما ضرب به وجده دون ما كان يبلغه عنه ، فكتب إليه في ذلك ، فردّ عليه : إنما بعثتُ إلى أمير المؤمنين بالسيف ، ولم أبعث إليه بالساعد الذي يضرب به[1] .

وفي سيف عمرو (الصَّمصامة) قال الشاعر ابن يامين :

سيفُ عمرٍو وكانَ فيما سمِعنَا ... خيرُ ما أُغمدتْ عليهِ الجفُونُ

أخضرُ المتنِ بينَ حدَّيْهِ نورٌ ... مِن فرِنْدٍ تمتدُّ فيهِ العيونُ

أوقدتْ فَوقَه الصّواعقُ نارًا ... ثمَّ شابتْ بهِ الذُّعافُ المنونُ

وكأن المنونَ نِيطتْ إليهِ ... فَهْوَ مِنْ كلِّ جانبَيْهِ مَنونُ

نِعْمَ مخراقُ ذي الحفيظةِ في الهَيْـ ... ـجَاءِ يسطو بهِ ونِعْمَ القرينُ

ما يُبالي مَنِ انتضَاه لضرْبٍ ... أَشِمالٌ سَطَتْ بهِ أمْ يَمِينُ

وقال رحمه الله :

أَعاذِلُ عُدَّتي بَزِّي ورُمحي ... وكلُّ مُقَلَّصٍ[2] سَلِس القِيادِ

أَعاذِلُ إنما أفنَى شبابي ... إجابتيَ الصَّريخ إلى المُنادِي

مَعَ الأبطالِ حتَّى سَلَّ جِسمي ... وأقْرحَ عاتِقي حَمْلُ النِّجَادِ

وَيَبْقَى بعدَ حِلْمِ القوْمِ حِلمي ... ويفنَى قبلَ زادِ القوْمِ زادي

وَمِنْ عجبٍ عجبتُ لهُ حديثٌ ... بديعٌ لَيْسَ مِن بدْعِ السّدادِ

تمنّى أنْ يلاقيني أبيٌّ ... وَدِدْتُ وأينما مني وِدَادي

---

(١) العقد الفريد ١ / ١٧٩ .

(٢) الفرس الطويل القوائم .

تَمنَّــاني وســابغتي قميصي ... كأنَّ قَتيرَها[١] حَدَقُ الجَرَادِ
وسيفٌ من لَدُنْ كنعانَ عندي ... تُخُيِّرَ نصْلهُ مِن عهدِ عادِ
فلو لاقيتــني لَلقــيتَ لَيْثًا ... هَصُــورًا ذَا ظُبًا وشَبًا حـدادِ
ولاستيقنتَ أنَّ الموت حقٌّ ... وصرّحَ شَحْمُ قلبكَ عنْ سَوادِ
أريدُ حياتــه ويـريدُ قتــلي ... عَـذِيرك مِن خليلِكَ مِـن مُرادِ

وقال رحمه الله :

تمنّــــاني عـــلى فـــرسٍ ... علـــيهِ جالســـًا أَسَـــدُهْ
عـــليّ مُفاضـــةٌ كالنِّهـــ ... ـي أخلص مـاءَه جُـدَدُهْ[٢]
فـــلو لاقيتَـــني لَلقيـــ ... ـت ليثـًا فوقـــهُ لِبَـــدُهْ
سَـبَنْتَى ضَيْغمـًا هَصِـرًا ... صِلَخْــدًا ناشــزًا كَتَــدهْ[٣]
يُســامي القِـرْنَ إنْ قِـرْنٌ ... تيمَّمَـــــه فَيَعْتَضِـــــدُهْ
فيأخــذُهُ فَــيُرْدِيـــهِ ... فَيَخْفِضُـــهُ فَيَقْتَصِــدُهْ[٤]
فَيَدْمَغـــهُ فَيَحْطِمُـــهُ ... فَيَخْضِمُـــه فَـــيَزْدَرِدُهْ[٥]

إي والله .. وأنت أكبر من هذا .

بطـل القادسـية :

وكان يومُ القادسية من أيامه العَطِرة .

« فقد خرج فارسٌ من الفُرْس يصيح : مَرْدٌ ومَرْدٌ . يعني : رجلٌ

---

(١) مسامير الدّرع التي تكون بين حلقاتها .
(٢) المفاضة : الدرع الواسعة . والنهي : الغدير من الماء ، والجدد : الأرض الصلبة .
(٣) السبنتى : الجريء المقدام ، والصلخد : الصلب القوي ، والناشز : المرتفع ، والكتد : ما بين الكتفين .
(٤) يقتصده : أي يقتله .
(٥) يدمغه : يصيب دماغه ، يحطمه : يكسره ، ويخضمه : يأكله ، يزدرده : يبتلعه .

لرجلٍ ، يطلب المبارزة ، وكان ذلك أمام القطاع الذي تشغله بجيلة وكِندة ، وكان عمرُو بن معديكرب الزبيدي يسير بفرسه بين الصَّفَّيْن يحرّض المسلمين ويُحمِّسهم ويقول : يا معشرَ المهاجرين[١] ، كونوا أسُودًا ؛ فإنما الأسد مَنْ أغنى شأنه ، إن الرجل من هذه الأعاجم إذا ألقى مزراقه[٢] فإنما هو ليثٌ . ووقف ذلك الأعجمي بين الصفَّيْن ، وكان من أساورتهم ، لا يكاد تسقط له نشابةٌ ، فرمى عَمْرًا بنشابةٍ ، فأصابت سِيَة قَوْسِهِ وهو مُتنكِّبها[٣] ، فالتفتَ إليه عمرو ، ثم حمل عليه فبارزه ، ثم اعتنقه وأمسكه من حزامه ، وسحبَه من فوق فرسه ، فحمله ووضعه بين يدَيْه[٤] على فرسه هو ، ثم عاد به إلى صفوف المسلمين ، فلما اقترب منهم كسَر عنقه ورماه على الأرض ونزل إليه فذبحه من حلقة السيف ، وأخذ سَلَبه سِوارَيْن من ذهبٍ ، ومنطقة من ذهب ، ويْلمقًا من ديباج ، وعاد يقول للمسلمين : هكذا فاصنعوا بهم . قالوا : يا أبا ثور ، مَن يستطيع أن يصنع كما تصنع[٥] !

وفي يوم « عماس » مِن أيام القادسية نظر عمرو بن معديكرب إلى فيل كان تجاهه ، وقال لمن معه مِن بني زبيد - في الميسرة - : إني حاملٌ على الفيل ومَن حوله ، فلا تدعوني أكثر من جَزْرِ جزورٍ[٦] ، فإن تأخرتم عني فقدتم أبا ثورٍ ، وأنَّى لكم مثلُ أبي ثور ؟! فإنْ أدركتموني وجدتموني وفي يدي السيف . ثم حمَل عليهم ، فما انثنى عن عزْمه حتى ضرب فيهم ،

---

(١) أي : المجاهدين .

(٢) أي : إذا فقد قَوْسَه .

(٣) معلقها في منكبه وراء ظهره .

(٤) وكأنه طفل .

(٥) الطبري ٣ / ٥٣٧ .

(٦) مقدار ذَبْح جملٍ .

وستره الغُبَارُ عن أصحابه ، فقالوا : ما تنتظرون ؟ ما أنتم بخلقاءَ أن تُدركوه ، وإنْ فقدتموه فَقَدَ المسلمون فارسَهم . فحملوا حملةً فانفرج الفرس عنه ، وقد أوقعوه وطعنوه وطعنوا فرسه ، وما زال سيفه في يده يضاربهم به ، فلما رأى أصحابَه وقد مرّ به رجلٌ مِنَ العجم على فرسٍ له ، أخذ عمرٌو برِجْل الفرس ، فلما حرّكه راكبه اضطرب ، والتفتَ الفارس إلى عمرو فهمَّ به ، ولكنّ المسلمين حملوا عليه ، فنزل عن فرسه[1] وجرى نحو أصحابه ، قال عمرو : أَمْكِنُوني من لجامه . فأمكنوه منه ، فركبه بدلًا من فرسِهِ[2].

أبطال مِنَ القَادسية وكلمات للحياة :

أرسل سعد إلى الذين تنتهي إليهم آراءُ الناس ، مثل : المغيرة بن شعبة ، وحُذيفة بن محصن ، وبُسْر بن أبي رهم ، وعرفجة بن هرثمة ، ورِبْعي بن عامر ، وقرفة بن زاهر ، ومذعور بن عدي ، والمضارب بن يزيد ، ومعبد ابن مرّة ، وطليحة الأسدي ، وقيس بن هبيرة الأسدي ، وغالب بن عبد الله الليثي ، وعمرو بن معديكرب ، والشماخ بن ضرار ، وأوْس بن مغراء ، وعَبدة بن الطبيب ، وقال لهُم : انطلقوا فقوموا في الناس بما يحقُّ عليكم ويحقّ عليهم عند مواطن البأْس ؛ فإنكم من العرب بالمكان الذي أنتم به ، وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم ، فسيروا في الناس فذكِّروهم وحرّضوهم على القتال . فساروا في المسلمين بما كُلِّفوا به .

قال قيس بن هبيرة الأسدي : أيُّها الناس ، احمدوا الله على ما هداكُم له وأبلاكُم يزدْكُم ، واذكروا آلاءِ الله وارغبوا إليه في عاداته ؛ فإن الجنة أو الغنيمة أمامكم ، وإنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء والأرض القفر ....

---

(١) الذي قيّد عمرٌو أقدامه .

(٢) تاريخ الطبري ٣/٥٥٤ - ٥٥٥ .

والظِّراب[١] الخُش والفلوات التي لا يقطعها الأدلة .

وقال غالب بن عبد الله : يٰأَيُّهَا الناس ، احمدوا الله على ما أبلاكم ، وسَلُوه يزدْكم ، وادعوه يجبْكم ، يا معشر مَعَدٍّ ، ما عِلّتكم اليوم وأنتم في حصونكم[٢] ومعكم مَن لا يعصيكم[٣] ، واذكرو حديث الناس في غدٍ ؛ فإنه بكم غدًا يُبدَأ عنده ، وبمَن بعدكم يُثنَّى .

وقال ابن الهُذيل الأسدي : يا معاشرَ معدٍّ ، اجعلوا حصونكم السيوف ، وكونوا عليها كأُسودِ الأجم ، وتربّدوا لهم تربُّدَ النمور ، وادّرِعوا العَجاج[٤] ، وثقوا بالله ، وغضُّوا الأبصار ، فإذا كلّتِ السيوف فإنها مأمورة ، فأرسِلوا عليهم الجنادل[٥] ؛ فإنها يُؤذن لها فيما لا يُؤذنُ للحديد فيه .

وقال بُسر بن أبي رهم الجهني : احمدوا الله وصدّقوا قولكم بفعلٍ ، فقد حمدتم الله على ما هداكم له ، ووحّدتموه ولا إلٰه غيره ، وكبّرتموه وآمنتم بنبيه ورسله ، فلا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون ، ولا يكونَنَّ شيءٌ بأهون عليكم من الدنيا ؛ فإنها تأتي مَن تَهاوَنَ بها ، ولا تميلوا إليها فتهرب منكم لتميل بكم ، وانصروا الله ينصرْكم .

وقال عاصم بن عمرو التميمي : يا معاشرَ العرب ، إنكم أعيانُ العرب ، وقد صمدتم الأعيان من العجم ، وإنما تخاطرون بالجنة ....

---

(١) الظّراب : جمع ظرب وهي الرابية الصغيرة . والخُشُّ : التل .

(٢) يعني : الخيل .

(٣) يعني : السيوف .

(٤) العجاج : الغبار ، والدخان : أيضًا ، والعجاج: كل ذي صوت من قَوْس وريح ونحوهما .

(٥) الحجارة .

ويخاطرون[١] بالدنيا ، فلا يكونُنَّ على دنياهم أحْوَط منكم على آخرتكم ، لا تُحْدِثوا اليوم أمرًا تكونوا به شَيْنًا على العرب غدًا .

وقال ربيعة بن البلاد السَّعدي : يا معاشرَ العرب ، قاتلوا للدِّين والدنيا ، وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ عرضُها السمٰوات والأرض أُعدّتْ للمتقين ، وإنْ عظّم الشيطانُ عليكم الأمرَ فاذكروا الأخبار عنكم بالمواسم ما دام للأخبار أهلٌ .

وقال ربعي بن عامر : إن الله قد هداكم للإسلام وجمعكم به ، وأراكم الزيادة ، وفي الصبر الراحة ، فعوِّدوا أنفسكم الصبر تعتادوه ، ولا تُعوِّدوها الجزع فتعتادوه .

وقام عاصم بن عمرو في المجردة ، فقال : إنّ هذه بلادٌ قد أحلّ الله لكم أهلها ، وأنتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم ، وأنتم الأعلَوْن والله معكم ، إنْ صبرتم وصدقتموهم الضَّرب والطَّعن فلكم أموالهم ونساؤهم وأبناؤهم وبلادهم ، وإنْ خُرْتم وفشِلتم - والله لكم من ذلك جارٌ وحافظٌ - لم يُبقِ هذا الجمعُ منكم باقيةً مخافةَ أن تعودوا عليهم بعائدةِ هلاكٍ . اللهَ اللهَ .. اذكروا الأيام وما منحكم الله فيها . أوَلا تروْن أن الأرض وراءكم بَسابسُ قفارٌ ليس فيها خمرٌ[٢] ولا وَزَرٌ يُعْقل إليه ولا يمتَنع به ؛ اجعلوا الآخرة همَّكم .

وقام قيس بن المكشوح في الميسرة فقال : يا معشرَ العرب ، إن الله قد منّ عليكم بالإسلام وأكرمكم بمحمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فأصبحتم

---

(١) الخطر : السَّبق الذي يتراهن عليه ، يعني تسابقون على الجنة ويسابقون على الدنيا وصمدتم : يعني قصدتم .

(٢) غطاء .

بنعمة الله إخوانا ، دعْوَتكم واحدة وأمركم واحد ، بعدَ إذْ أنتم يعدو بعضكم على بعضٍ عَدْوَ الأسد ، ويتخطف بعضكم بعضًا اختطافَ الذِّئاب ، فانصروا الله ينصركم وتَنجَّزُوا مِنَ الله فتح فارسٍ ، فإن إخوانكم أهل الشام قد أنجز الله لهم فتح الشام وانتثال القصور الحُمْر والحصون الحُمْر .

وقال طليحة الأسدي لقومه بني أسد : ابتدئوهم الشّدة ، وأقدِموا عليهم إقدام اللّيوث الحرِبة ، فإنما سُمِّيتم أسدًا لتفعلوا فعْله ، شُدُّوا ولا تصدوا[١] وكِرّوا ولا تفرّوا .

وقام الأشعث بن قَيْس الكندي في أيام المعركة وقال : يا معشر العرب ، إنه لا ينبغي أن يكون هؤلاء القوم أجرأ على الموت ولا أسخَى أنفسًا عن الدنيا ، تنافسوا الأزواج والأولاد ولا تجزعُوا من القتْل ؛ فإنه أمانيُّ الكرام ومنايا الشهداء .

وقام دريد بن كعب النخعي - وكان معه لواءُ النخع - فقال لقومه في ميْسرة الجيش : إن المسلمين قد تهيَّئوا للمزاحفة فاسبقوا المسلمين الليلةَ إلى الله والجهاد ، فإنه لا يسبق الليلة أحدٌ إلا كان ثوابُه على قدْر سبْقه ، نافسوهم في الشهادة وطيِّبوا بالموت نفسًا ؛ فإنه أنجى من الموت إنْ كنتم تريدون الحياة ، وإلَّا فالآخرة ما أردتم .

وقال الحارث بن سمي الهمداني :

أقدِمْ أخَا فهْمٍ على الأسَاورهْ ... ولا تهالنَّ لرؤوسٍ نادرهْ
فإنما قصرك موتُ السّاهرهْ ... ثم تعودُ بعدَها في الحافِرهْ

ولما حمي وطيسُ المعركة بيْن المسلمين والفرس ، وأبلى بنو تميم

(١) أي : اهجموا ولا تقفوا مدافعين .

أحسنَ البلاء ، وقام ابن ذي البردين الهلالي وقيس بن عبد يغوث المرادي والأشعث بن قيس وعمرو بن معدي كرب وعبد الله بن ذي السهمين الخثعمي ، كلهم في الميسرة ، فقالوا : لا يكونن هؤلاء - يعني بني تميم - أجدَّ في أمر الله منكم ، ولا يكونن هؤلاء القُلْف[1] - يقصد المجوس - أجرأ على الموت منكم ، ولا أسخى أنفسًا عن الدنيا ، تنافسوها .

وقام رجال في ربيعة - بكر بن وائل وعبد القيس - فقالوا : أنتم أعلم الناس بفارس ، وأجرؤهم عليهم فيما مضى ، فما يمنعكم اليوم أن تكونوا أجرأ مما كنتم بالجرأة !

أبطالٌ مِن القادسية يقاتلون الفِيَلَة :

للهِ دَرُّهم مِن رجالٍ صنعهم الإسلام .. يُقاتلون الفيلة ويصارعونها في أيام القادسية :

في يوم أرماث وجّه الفُرْسُ إلى المَيْمنة التي فيها بجيلة ثلاثَة عشر فيلًا ، هي كل جناحهم الأيمن ، بقيادة هرمزان وجالينوس ، وفُرِّقت الأفيال ما بين الكتائب ، فَنَفَرت خيول المسلمين ، وأرسل سعدٌ إلى بني أسد ، وهم ثلاثة آلافٍ على ميمنة بجيلة ، يقول لهم : « ذبُّوا عن بَجيلة ومَنْ لافَّها من الناس » . فخرج حَمَّال بن مالك الأسدي والرِّبيل بن عمرو ، وغالب بن عبد الله الليثي ، كلٌّ خرج من كتيبته نحو الفيلة ، فشدُّوا والله ، فما زالوا يطعنونهم ويضربونهم حتى حَبَسْنَا الفيلةَ عنهم ، ورأى العَجَمُ ما يصنع بنو أسد بالأفيال . ونَشطت فيولُ المجوس على طول خطِّ القتال ، فحملت في الميمنة والميسرة على خيول المسلمين ، فكانت الخيل تخاف منها ، فتحْجم عنها وتحيد عن طريقها ، وكان فرسانها يَلحُّون على المشاة أن يمنعوا ظُهُورَ الخيل ويردُّوها

---

(١) القُلْف : جمع أقلف وهو من لم يُختن .

إلى الأمـام .

وأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو من يقول له : يا معشر بني تميم ، ألستم أصحاب الإبل والخيل ؟! أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة ؟! قالوا : بلى والله . ثم نادى في قومه ، فجمع أفضل من في بني تميم من الرُّماة ، وآخرين لهم مهارة وخفةُ حركة في القتال ، ووضع خطته على أساس مُشَاغلة رُكْبان الفيلة ، ثم مهاجمتها من الخلف في غفلةٍ منهم ، قال لهم : « يا معشر الرُّماة ذَبُّوا رُكْبان الفيلة عنهم بالنَّبْل . وقال : يا معشرَ أهل الثَّقَافَة ، استدبروا الفيلة فقطِّعوا وُضُنَها »[1] وخرج معهم يحميهم ويقودهم ، فشقُّوا طريقهم نحو الأفيال التي تهاجم بني أسد ، والرَّحى تدور عليهم .

وفي يوم عماس استعمل الفرس الأفيال ، فوجَّهُوها ضدَّ كتائب الفرسان ، فعادت تفرِّقُها كيوم أرماث ؛ فلما رأى سعدٌ ذلك أرسل إلى الفرس الذين أسلموا وانضمُّوا إليه ؛ ضخم ومسلم ورافع وعَشنّق والرفيل وأصحابهم ، فدخلوا عليه ، فسألهم عن الفيلة ، وهل لها مقاتل ؟ فقالوا : نعم ، المشافر والعيون ، لا يُنْتفع بها بعدها . وكان أكبرَ الأفيال فيلان ، وضعهما رُسْتم في القلب : أحدهما أبيض ، وكان أمام بني تميم ، والثاني أجرب وكان حيال بني أسد . وكانت جميع الفيلة الأخرى آلفة لهذين الفيلين ؛ تقلِّدهما وتتبعهما .

القَعْقَاع وعاصم ابنا عمرو للفيل الأبيض، وحَمَّال بن مالك والرِّبِّيل بن عمرو للفيل الأجرب :

أرسل سعد إلى القعقاع وعاصم ابني عمرو : « اكفياني الفيل الأبيض » ، وأرسل إلى حَمَّال بن مالك - أمير المشاة - والرِّبِّيل بن عمرو : « اكفياني الفيل

(١) الوضين : الأحزمة التي تثبت توابيتها على ظهورها .

الأجرب » وأوضح لهم مَقَاتِلَ الأفيال . فأخذ القعقاع وعاصم رُمْحَين أصمَّيْن لِّينين ، ودبَّا في كتيبةٍ من خيل ومشاة ، وقالا لهم : « اكتنفوه لتحيِّروه » وهما معهم ، فأطافوا به ، وخالطوا حرّاسه ، والتحموا معهم ، وظلَّ الفيل متخبِّطًا ينظر يَمْنةً ويسرة وهو متحيِّر ، فحمل القعقاع وعاصم على الفيل وهو متشاغل بمن حوله ، ووضعا رُمْحَيْهما معًا في وقت واحدٍ وتنسيق في عينيه ، وجلس الفيل على يديه ورجليه ، ونفض رأسه ، فألقى سائسَهُ من فوقه ، ودلَّى خرطومه ، فنقل القعقاع رمحه إلى يُسْراه ، واستل سيفه ، فنفح الخرطومَ فقطعه ورمى به على الأرض ، ووقع الفيل على جنبه وقد أُعمي ، وسقط من كان في التَّابوت فوقه ، فقتلتهم كتيبةُ القعقاع وعاصم .

وفي نفس الوقت كان حمّال بن مالك والرِّبيل بن عمرو يقولان لبني أسد : يا معشر المسلمين ، أي الموت أشدُّ؟ قالوا : أن يُشَدَّ على هذا الفيل . فخرجا إليه في خيلٍ ومشاة ، حتى أطافوا بالفيل الأجرب عن يمينه وشماله ليحيِّروه ، وقال حمّال للربيل : اختر ؛ إما أن تضربَ المِشْفر بالسَّيف وأطعن في عينه بالرمح ، أو تطعن في عينه وأضرب مشفره ، فاختار الربيل أن يضرب الخرطوم . وحملَا مع كتيبتيهما ، فلمّا تشاغل الفيل بملاحظة من أحاط به من المسلمين ، وانشغل سائسُه أيضًا ، لا يخاف إلَّا على بطانه - أحزمته - فقد كان ما زال معقدًا من تقطيع أحزمة الأفيال يوم أرماث ، فكان مشغولًا بذلك ؛ ينظر إلى أجنابه وإلى خلفه في ملاحظةٍ مستمرة بأولئك الذين أحاطوا به ، إذ ذاك نَفَذَ حمّال والربيل ونزقا[1] فرسَيْهما ، حتى إذا قامَا على أطراف حوافرهما ضرباهما على الفيل ، وسدَّد حمال طعنةً برمحه إلى عين الفيل ، وفوجئ الفيل بالرّمح في عينه قد عوّره ،

---

(١) غَمَزَا .

فأقعى على استه مفترشًا رجليه . وناصبًا يديه ، ووطئ مَن خلفه مِن العجم ، ثم استوى واقفًا ، فنفح الربيل خرطومَه بسيفه فقطعه ، وبصر سائسُه بالربيل ، فضربه على وجهه وجبينه بالطبرزين[1] ضربةً منكرةً ، حطم بها أنفه ، غير أنه أفلت بها ، وبقي الفيل الأبيض - الذي أعماه القعقاع وعاصم ، وقطعا خرطومه - مُتلدِّدًا بين الصَّفين ، كلَّما أتى صف المسلمين وَخَزُوه ، وإذا أتى صف المجوس نخسوه ، وهو يصيح صياحَ الخنزير ، وولَّى الفيلُ الأجرب الذي عوَّر حمال بن مالك والربيل وهو يصيح أيضًا ، فمرق غاضبًا بين صفوف الفرس يدوسهم ، وأثار صياحُه انتباه الأفيال الأخرى ، والتفتت إليه ، فرأته يثب في العتيق - النهر - فأتبعته كلُّها ، وخرقت صفوف الأعاجم ، وعبرت العتيق في إثره ، وظلت منطلقةً ، حتى بلغت المدائن في توابيتها ، وقد هلك من كان فيها .

لله دَرُّهم من أبطال .. بل من جبال .. تصارع وتُعمي الأفيال .

قال القعقاع بن عمرو :

حضَّضَ قومي مَضْرَحِيّ بن يَعْمرٍ   فللَّهِ قومي حين هَزُّوا العَوَاليَا
وَما خام عنها يومَ سَارتْ جُمُوعُنا   لأهلِ قُدَيسٍ يَمنعُون المَوَاليَا
فإنْ كُنتُ قاتلتُ العَدوَّ فَلَلْتُه   فإني لَألْقى في الحُروبِ الدَّوَاهِيَا
فيولًا أراها كَالبُيوتِ مُغِيرةً   أُسَمِّلُ أعيانًا لها ومَآقيَا[2]

هَاشم بن عُتبة بن أبي وقاص ، المِرْقال ، الأسد ، قاتل الأسود :

قال ابن حجر في الإصابة : « الشجاعُ المشهور ، المعروف بالمِرْقال ، ابن أخي سعد بن أبي وقّاص . قال الدُّولابي : لُقِّبَ بالمرقال؛لأنه كان يُرْقِلُ

(١) الفأس من السلاح ؛ وهو نوع من البلطة ، كان يتسلح بها سائِسُو الأفيال .
(٢) الطبري ٣ / ٥٥٦ .

في الحرب ؛ أي يسرع ، من الإرقال وهو ضَرْبٌ من العَدْو . أسلم يوم الفتح ، وحضر مع عمه حرب الفُرس بالقادسية ، وله بها آثار مذكورة ، وكانت راية عليّ في صِفِّين مع هاشم »[١] .

قاتل هاشمُ المرتدين تحت لواء خالد ، فلما انتهت حروب الرِّدَّة ، وسار خالد بن الوليد نحو العراق ، كان هاشم معه في معاركه التي خاضها في العراق ، فلمّا توجه نحو أرض الشَّام كان هاشم من بين الذين انتخبهم خالد من جيش العراق . فشارك خالدًا في المعارك التي خاضها في طريقه إلى الشام .

وكان هاشم قائد مَيْسرةِ المسلمين في معركة فَحْل بيسان . يقول رحمه الله : « والله لقد كنَّا يومئذٍ أشْفَقْنَا على خيلنا أول النهار ، ثم إن الله نَصَرَنَا عليهم ، فما هو إلا أن رأينا خَيْلنا قد نصرها الله على خيلهم ، فدعوت الناس إليَّ ، وأمرتهم بتقوى الله ، ونزلتُ فهززتُ رايتي ثم قلت : والله لا أردُّها حتى أركزها في صفِّهم ، فمن شاء فليتبعني ، ومن شاء فليتخلَّف عني ، فوالذي لا إلـٰه إلا هو ما أعلم أن أحدًا من أصحاب رايتي تخلَّف عني ، حتى انتهيت إلى صفِّهم ، فنضَحُونا بالنُّشَّاب ، فجثونا على الرُّكب واتَّقَيْنَاهم بالدَّرْق ، ثم دنوت بلوائي وقلت لأصحابي : شدُّوا عليهم ، أنا فداؤكم ، فإنها غنيمةُ الدنيا والآخرة . فشددتُ وشدُّوا معي ، فاستقبلت عظيمًا منهم ، وقد أقبل نحوي ، فأوجزته الرُّمح فخرَّ ميتًا ، وضَارَبْنَاهم بالسيوف ساعةً في صفِّهم ، وحمل عليهم خالدُ بن الوليد من قِبَلِ مَيْمنتهم ، فقاتلهم قتالًا شديدًا ، وَنَهَدَ إليهم أبو عبيدة بالرجَّالة والناس ،

---

(١) الإصابة في تراجم الصحابة لابن حجر ٣ / ٥٦١ - ٥٦٢ . دار الكتاب العربي .

وأمر الخيل التي كانت قِبَلَه من خيل خالد ، فحملتْ على المشركين ، وكانت هزيمتهم[(١)].

في اليرموك :

وفي اليرموك ولَّاه أبو عبيدة قيادة الرجَّالة وقال : « أوليها – إن شاء الله – من لا يخاف نُكوله ولا صُدُوره عند البَأْس ، أُوليها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، فقال له خالد : وُفِّقْتَ ورُشِدت »[(٢)].

« وفي معركة « اليرموك » برز هاشم فدائيًّا وقائدًا ، فقد انتخَب خالد فدائيِّين من أبطال المهاجرين والأنصار ، وعددُهم مائة فارسٍ فقط[(٣)] ، للتأثير على معنويات الرُّوم في ابتداء معركة اليرموك ، وكان هاشم أحدُ هؤلاء الفدائيين المُنتَخَبين . وبعد أن فعل هؤلاء الفدائيون الأعاجيب ، تولَّى هاشم قيادة مُشاة المسلمين ، في معركة اليرموك ، في رواية الواقدي[(٤)] ، وقيادة كُرْدُوس من مشاة المسلمين في رواية الطبري[(٥)]. وفي هذه المعركة فقد إحدى عينيه[(٦)] ، وقاتل الروم بشجاعة فائقةٍ ، كان لها أثرٌ ملموسٌ في انتصار المسلمين على عدوِّهم في هذه المعركة الحاسمة »[(٧)].

---

(١) الأزدي صـ ١٣٥ .

(٢) الحارث الأزدي صـ ١٨٨ .

(٣) فتوح الشام للواقدي ١ / ١٢٠ .

(٤) فتوح الشام للواقدي ١ / ١٣٤ .

(٥) تاريخ الطبري ٢ / ٥٩٣ .

(٦) فتوح البلدان للبلاذري صـ ١٤١ .

(٧) قادة فتح الجزيرة والعراق لمحمود شيت خطاب صـ ٣٢٢ .

في القادسية :

أعاد عمر رضي الله عنه إلى العراق كلَّ الرجال الذين جاءوا مددًا إلى الشام ، وهم ستة آلاف ، وأمَّر على هذا الجيش هاشم بن عتبة ، وجعل على مُقدِّمته القعقاع بن عمرو التميمي ، وعجَّله أمامه كي يدرك سعدًا قبل فوات الأوان .

وفي اليوم الثالث من أيام القادسية ، وهو يوم « عماس » ، أدرك هاشم وجنودُه رجالَ القعقاع ، فجعل رجاله فِرَقًا ، وأمرهم أن يتلاحقوا دِراكًا ، فلا تسير فرقة حتى تغيب الأخرى عن نظرها . وسار هاشم على رأس الفرقة الأولى ، حتى إذا خالط القلب ، كبَّر وكبَّر المسلمون وهم في مصافِّهم . قال هاشم : أولُّ القتال المطاردة ثم المراماة . وأخذ قوسَه فوضع سهمًا على كبدها ، ثم نزع فيها ، فرفعت فرسُه رأسها فجأة – وكان لا يقاتل إلا على فرسٍ أنثى ، لا يقاتل على ذَكَرٍ – فقطع أُذنها ، فضحك وقال : « واسوأتاه من رميةِ رجل كلُّ من رأى ينتظره ، أين تروْن سهمي كان بالغًا لو لم يُصب أذنَ الفرس ؟ » قالوا : كان يبلغ كذا وكذا . [وفي رواية : أنه قيل : كان يبلغ العتيق] فأجال فرسه ثم نزَّقها ، وقد نزع السَّهم ثم ضربها حتى بلغت حيث قالوا ، ثم ضربها ، فأقبلت به تخرقهم حتى عاد إلى موقفه . وفي رواية أخرى : أنه أجال فرسه ثم نزل وتركه وخرج إليهم يضربهم ، حتى بلغ حيث قالوا . وما زالت قواته تصل تباعًا »[1] .

لقد كان لقدوم قوات هاشم في الوقت المناسب أثرٌ حاسم في انتصار المسلمين على الفرس ، وكان هاشم « أبلى فيها بلاءً حسنًا ، وقام منه في ذلك ما لم يقم من أحد ، وكان سببَ الفتح على ....

(١) الطبري ٣ / ٥٥١ ، و« القادسية » لأحمد عادل كمال صـ ١٦٧ – ١٦٩ .

المسلمين »[١] .

تُرَىٰ : لو لم تَصِل قواتُ هاشم إلى ساحة معركة القادسية في الوقت المناسب ، فماذا كان يحدث للمسلمين في تلك المعركة ؟!

ولقد وصل أمرٌ من عمر بعد انتصار المسلمين في القادسية بالتوجُّه لفتحِ المدائن ، فعبَّأ سعد جيشه بقدمات : قَدَّم زهرة بن الحويّة ، ثم أتبعه بعبد الله بن المعتم ، ثم بشرحبيل بن السِّمط ، ثم بهاشم الذي جعله نائبًا عنه بدلًا من خالد بن عُرْفُطة ، الذي جعله على السَّاقة ، فسارت قواتُ المسلمين من نصرٍ إلى نصر ؛ انتصروا في بُرس ، وفي بابل ، وفي ساباط . وهنا لنا وقفة مع الأسد .

قَتْل أسد كسرى في مظلم ساباط :

تقـدَّم الجيشُ إلى ساباط على ثلاثين كيلو مترًا من المدائن ، بطريق بهرسير ، وفي مكانٍ اسمه مظلم بضواحي ساباط ، التقى المسلمون بقوةٍ مجوسية ، ذكرتها الأنباء على أنها « كتيبة كسرى » أو كتائب كسرى ، وحملت اسم : بوران [بنت كسرى أبرويز ، وهي عمَّة يزدجرد الثالث] ، وهي تمثل قوات الحرس الملكي .

« وبلغ هاشم إلى مظلم ساباط ، فوقف المسلمون حتى لحق بهم سعد ، وفي مظلم ساباط كانت بعضُ الحدائق الملكيَّة ، وكان كسرى قد اقتنى فيها بعضَ الأسود ، منها أسد اسمه المقرط ، كان كسرى قد اختاره من أسود المظلم واستأنسـه ، واجتمعت كتائب كسرى بوران في المظلم ، وكانوا يحلفون بالله كلَّ يوم : « لا يزول ملك فارس ما عشنا » ودارت المعركة ،

---

(١) الاستيعاب (٤ / ١٥٤٦) لابن عبد البر .

وبلغهم سعد وهي دائرة ، فأطلق المجوس أَسَدَهم المقرط على صفوف المسلمين . ونزل هاشم عن فرسه ، وتقدَّم إلى الأسد بقلبٍ لا يعرف الخوف ، كما تقدّم إخوانٌ له من قَبْل إلى الأفيال بالقادسية . وضرب هاشم الأسد بسيفه حتى قتله ، وسمَّى سيفه « المنن » ، وقَبَّل سعدٌ رأس هاشم ؛ تقديرًا له ولما فعل ، وانحنى هاشم حُبًّا واحترامًا لعمه وقائدِه حتىَ قبَّل قدم سعد »[١] .

جـلولاء :

لم يكد المسلمون يستقرُّون في المدائن ، حتى علموا بأن قوات فارس قد عسكرت بجلولاء ، وهي مدينة على طريق خراسان شمال المدائن ، فكتب عمر إلى سعد : سَرِّح هاشم بن عتبة إلى « جلولاء » في اثني عشر ألفًا ، واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو ، وعلى ميمنته مسعر بن مالك ، وعلى ميسرته عمرو بن مالك بن عتبة ، واجعل على ساقته عمرو بن مرة الجهني[٢] .

وسار هاشم من المدائن أربعةَ أيامٍ ، حتى بلغوا جلولاء ، فأحاط بها وحاصر المجوس فيها وطاولوه ، فكانوا لا يخرجون من استحكاماتهم إلا إذا أرادوا . وكان المجوس يزاحفون المسلمين بأعدادٍ كبيرة وبجلَبَةٍ وأهاويل ، وقد وقع أثناء هذا الحصار ثمانون زحفًا ، كان الظَّفر فيها جميعًا للمسلمين ، ويعود العَجَمُ إلى ما وراء خنادقهم ، واستمر الحصار على هذه الحال سبعة أشهر أو يزيد . وكان يزد جرد يحشد من أهل الجبال من حول حلوان ، ويمدُّ قواته في جلولاء بأمدادٍ جديدة في كل يوم ، وكانت استحكامات الفرس عبارة

(١) « سقوط المدائن » لأحمد عادل كمال صـ ٢٠ - ٢١ ، دار النفائس .
(٢) الطبري ٣ / ١٢٢ .

عن خندق كبير متسع وعميق ، حَفَره المجوس حول مواقعهم ، يحوطه حزام من حَسَك الخشب . وهي خوازيق من الخشب ، قد نصبوها كموانع لاندفاع الخيل ، وبين الخندق ونطاق الحسك مجالٌ خالٍ ، ثم جعلوا بعد ذلك حسك الحديد . وخرج المجوس في زحفٍ كبير من العَدد والعُدة ، وكان هو الأخير ، فقام هاشم في جنده وخطبهم فقال : « إن هذا المنزل منزل له ما بعده ، أبلوا الله بلاءً حسنًا يتمّ لكم عليه الأجر والمَغْنم ، واعملوا لله » .

وكان الالتحام شديدًا ، لم يَقْتتلوا مثله ؛ رميًا بالنَّبْل ، وطعنًا بالرماح ، حتى تقصَّفت ، فاستلُّوا السُّيوف وتجالدوا بها حتى انثنت ، وانهزم المجوس ، وتراجعوا ، فتبعهم المسلمون يشدِّدون من ضغطهم عليهم ، حتى غلبوهم على خوازيق الخشب ، وهم يقتلونهم قتلًا ذريعًا ، حتى حجزهم الليل ، والتحم مرة ثانية مع المجوس ، بعد أن أَلقوا أمام خندقهم حسك الحديد ليغرز في أقدام خيل المسلمين ، والتحم **الفريقان** واقتتلوا اقتتالًا شديدًا ، والظلام يسحب رداءه على الميدان ، قتالًا لم يقتتلوا مثله إلّا ما كان ليلةَ الهرير ، وبلغ القعقاعُ وجنده مدخل الخندق فأخذ به ، وقد انعزلوا عن سائر المسلمين ، فأمر مُنادِيَه فنادى : « يا معشر المسلمين ، هذا أميركم قد دخل خندق القوم وأخذ به ، فأقبلوا إليه لا يمنعكم مَنْ بينكم وبينه من دخوله » ولم يَعُد المسلمون يشكُّون في أن هاشمًا في الخندق ، فكيف يتركونه بين المجوس ، وحمل المسلمون حملةً صادقة عنيفة ، لم يصمد لها العجم ، حتى أدركوا القعقاع ، وهو آخذٌ بمدخل الخندق ، يمنع المجوس من الانسحاب إليه .

وبدأت هزيمة المجوس ، وأصاب حَسَكُ الحديد خيولهم ، فنزلوا عنها وقاتلوا مشاةً ، ولكن أيّ مشاة ؟! مشاة مشتتة ، وتعقَّبهم المسلمون ،

فلم يفلت منهم إلَّا من لا يُعَدُّ . يقول الرواة : إن قتلى المجوس بلغوا مائة ألفٍ ، فجلَّلت المجال وما أمامه وما خلفه ؛ ولذلك سمِّيت جلولاء ؛ بما جلَّلها من قتلاهم . وكان مِهرانُ قائد قوات الفرس من بين القتلى ، وفرَّ فيرزان إلى المرتفعات الوعرة .

وقد قُوِّمت غنائم جلولاء بثلاثين مليون درهمٍ ، وبلغ سهم الفارس بجلولاء مثل سهمه بالمدائن .

وفي رواية أخرى : في جلولاء اقتسم على كل فارس تسعة آلاف درهم ، وتسعة من الدواب .

وكتب سعد إلى عمر بفتح جلولاء ، وبنزول القعقاع حلوان ، فلما قدموا على عمر كلَّمه زياد بن أبي سفيان ، ووصف له ، وأفاض في طلاقةٍ أعجبت عمر ، فقال له : « هل تستطيع أن تقومَ في الناس بمثل الذي كلّمتني به ؟ » قال : والله ما على الأرض شخصٌ أهيب في صدري منك ، فكيف لا أقوى على هذا من غيرك . وقام زياد في الناس ، فحكى لهم عما أصابوا ، فقال عمر : « هذا الخطيب المصقع » فقال زياد قولته الندية : « إن جُنْدَنَا أَطلقُوا بالفَعَال لِسَانَنَا » .

رضي الله عن المِرْقال هاشم ، فاتح محور ديالي ، من المدائن إلى جلولاء ، الذي شَّيبَته المعارك فقال :

يَومَ جلولاءَ ويوم رستمْ ... ويوم زحفِ الكوفة المُقَدَّمْ
ويوم عرض النهر المحرَّم ... من بين أيامٍ خَلون صُرَّمْ
شيَّبْن أصداغي فهنَّ هُرَّمْ ... مثل ثَغَام البلد المَحرَّمْ[1]

(١) سقوط المدائن لأحمد عادل كمال ، وقادة فتح العراق والجزيرة .

أبو مِحْجَن بن حَبيب الثَّقَفي :

فارسٌ من فرسان القادسية ، وبطلٌ من مَغَاويرها ، حَبَسه سعد فيمن حبس لاعتراضهم على خالد بن عُرفُطة .

ولما علا صليلُ السيوف وأصواتُ المعركة ، بلغتْ مسامعَ الذين حبسهم سعد في القصر مقيَّدين ، فصعد أبو محجن الثقفي بعد أن دخل الليل إلى سعد ، وهو مشرف من فوق القصر ، يستعفيه ويسترضيه ، ويَسْتميحه أن يفكَّ قَيْدَه ويسمح له بالقتال ، فزجره سعد وردَّه إلى مَحْبسه ، فنزل إليه ، ثم جاء إلى امرأة سعد فقال : يا سلمى ، يا بنت آل خصفة ، هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : « تُخَلِّين عني وتُعيريني البَلْقاء ، فللَّهِ عليَّ إن سلّمني الله أن أرجع إليك ، حتى أضع رجلَّي في قيدي » . فقالت : وما أنا وذاك . فرجع إلى مكانه يَرْسُف في قيوده ويقول :

كفى حزنًا أن ترتدي الخيلُ بالقَنَا ... وأُتركُ مشدودًا عليَّ وثاقيَا
إذا قمتُ عنّاني الحديدُ وغُلِّقَتْ ... مصارعُ دوني قد تُصمُّ المُناديا
وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ ... وقد تركوني واحدًا لا أخَا لِيَا
وقد شفَّ جسمي أنني كلَّ شارقٍ ... أعالجُ كَبْلًا مُصْمتًا قد بَرَانيَا
فللَّه دَرِّي يوم أُترك مُوثقًا ... ويذهل عني أثْرتي ورجاليَا
حُبِسْنَا عن الحرب العَوانِ وقد بدتْ ... وأعمالُ غيري يوم ذاك العواليَا
فللَّه عهدٌ لا أخيسُ بعهده ... لئن فُرِّجتْ أن لا أزور الحَوَانيَا

فراجعتْ سلمى نفسها : إني استخرت الله ، ورضيت بعهدك . فأطلقته وقالت : أمَّا الفرس فلا أعيرها ، ورجعت إلى بيتها ، فاقتاد أبو محجن الفرس ، فأخرجها من الباب الخلفي للقصر المواجه للخندق - وكان يُقال لها : البلقاء - فركبها ثم دبَّ عليها ، واتجه إلى الميمنة حيث قومه من بني

ثقيف ، فكبَّر ، وحمل على ميسرة الفرس ، يلعب برمحه وسيفه بين الصَّفين [قال بعضهم : إن البلقاء كانت بسَرْجها ، وقال آخرون : بل كانت عُريًا] ، ثم رجع من خلف المسلمين ، واتجه إلى الميسرة ، فكبَّر وحمل على مَيْمنة المجوس ، يلعب بين الصَّفين برمحه وسلاحه ، ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب ، فبرز أمام الناس ، فحمل على العجم يلعب بين الصفين برمحه وسلاحه ، فكان يقصف المجوس لَيْلَتَئِذٍ قصفًا منكرًا ، ولا يحمل على رجل إلَّا قتله ، ودقَّ صلبه ، والناس منه في أشد العجب ، وهم لا يعرفونه ، ويغلب على ظننا أنه كان مُلَثَّمًا ، إذْ لو كان حَاسرَ الوجه لعرفوه ، ولم يكن أحدٌ قد رآه بالنهار ، فقال بعضُهم : لعله أوائل أصحاب هاشم بن عتبة ، أو لعلّه هاشم نفسه . وظلَّ أبو محجن يحمل على العجم ، فلا يقف بين يديه أحدٌ ، لقد كان فارسًا شديدًا مغوارًا ، ولعلَّ حَبْسه يوم أرماث ويوم أغواث قد حال دون إجهاده ، فكان جَمَّ النشاط ، موفورَ القوة ، والناس متعبون . وكان سعدٌ من أحدِّ الناس بصرًا ، فجعل ينظر إليه في ظلام الليل وهو مشرفٌ مكبٌّ من فوق القصر ويقول : « من ذلك الفارس ؟ الضَّبْرُ[1] ضَبْرُ البلقاء ، والطَعْنُ طعن أبي محجن ، وأبو محجن في القيد ، والله لولا محبس أبي محجن لقلت:هذا أبو محجن ، وهذه البلقاء » وقال بعضهم : لولا أن الملائكة لا تباشر القتال لقلنا : ملك يُثبِّتنا،ولا يذكر الناس أبا محجن ، ولا يأبهون له ، لعلمهم أنه بات في محبسه .

وانتصف الليل ، فتحاجز العجم وتراجع المسلمون ، وأسرع أبو محجن فأقبل حتى دخل من حيث خرج ، ووضع عن نفسه وعن دابته ، وأعاد رجلَيْه في قيده ، وأنشد وهو مغتبطٌ سعيد :

---

(١) إذا جَمَعَ الفرسُ يداه ، فوثب فوق ، مجموعةً يداه ، فذلك الضَّبْر .

لقد علمتْ ثقيفٌ غير فخر ... بأنَّا نحن أكْرَمُهم سُيوفَا
وأكثرهم دُروعًا سابغاتٍ ... وأَصْبرهم إذا كرهوا الوُقوفَا
وأنّا وَفْدهم في كلِّ يومٍ ... فإنْ عَمِيوا فَسْل بهمُ عَرِيفَا
وليلة قادسٍ لم يشعروا بي ... ولم أُشعِرْ بمخرجَي الزُّحوفَا
فإنْ أُحبس فذلكمُ بلائي ... وإنْ أُتركْ أُذيقهمُ الحُتُوفَا

وفي الثاني : أتت سلمى سعدًا وأخبرته خبرها ، وخبر أبي محجن ، فسامحه سعد ، ودعا به فأطلقه(١).

يرحم الله الفارسَ الملثّم والبطل أبا محجن القائل :

اليوم أعلمُ أني من سَراتهمُ ... إذا تطيشُ يدُ الرِّعْديدةِ الفَرِقِ(٢)
قد أركبُ الهَولَ مَسْدولًا عَساكره(٣) ... وأكتم السِّرَّ فيه ضربة العُنقِ(٤)
أُعطي السّنان غداة الروع حصَّته ... وعامل الرمح أَرْويه من العَلَقِ(٥)

ضِرَار بن الخطَّاب القرشي ، فاتح ماسبذان بإيران :

كان رضي الله عنه من فرسان قريش وشجعانهم .. وقاتل المسلمين أشدَّ القتال يوم أُحُد ؛ فقد اختلَف الأوس والخزرج فيمن كان أشجع يوم

---

(١) القادسية لأحمد عادل كمال صـ ١٥٩ - ١٦٥ . وفي رواية الطبري ٤ / ١٣٩ أن قصة أبي محجن كانت مع الزّبراء ، وتذهب إلى أن سعدًا نزل من رأس الحصن ، فرأى فرسه تعرق ، فعرف أنها قد رُكبت ، فسأل زبراء أم ولده عن ذلك ، فأخبرته خبرَ أبي محجن ، فخلّى سبيله .

(٢) الخائف .

(٣) كثيرة لا تخترق .

(٤) أكتم سرَّ من أمامي بضربي عنقه ، فلا ينطق بسره .

(٥) عامل الرمح : نَصْل سِنّه . العلق : الدَّم .

أحد ، فمرَّ بهم ضرار فقالوا : هذا شَهِدَها ، وهو عالم بها ، فسألوه عن ذلك فقال : « لا أدري ما أَوْسكُم مِنْ خزرجكم ، ولكنّي زَوَّجتُ منكم يوم أُحُدٍ أَحَدَ عشر رجلًا من الحُور العين »[١].

وفي يوم الخندق كان أَحَدَ الأربعة الذين وَثَبوا الخندق ... وكان أَحَدَ قادة قريش يوم الخندق ..

قال ضرار يومًا لأبي بكر الصديق : « نحن خيرٌ لقريش منكم ؛ أدخلناهم الجنة ، وأنتم أدخلتموهم النار »[٢] يريد أنه قَتَلَ المسلمين فدخلوا الجنة ، وقتل المسلمون الكفار من قريش فأدخلوهم النار .

وأسلم يوم فتح مكة وحَسُنَ إسلامه .

وشهد ضرار يومَ اليمامة تحت راية خالد بن الوليد ، وشهد كلَّ معارك العراق التي خاضها خالد هناك ، وكان هو الذي حاصر قصر « الغَرِيِّين » في فتح الحيرة[٣] ، ولمَّا تحرك خالد إلى أرض الشَّام كان معه ، وشهد تحتَ لواء خالد كافة معارِكِه في طريقه من العراق إلى أرض الشام ، وشهد معه معركة اليرموك ، وشهد مع أبي عبيدة فتح الشام .

وعاد ضرار إلى العراق مع هاشم بن عتبة الزهري فشهد القادسية ، وفي هذه المعركة غنم ضرار عَلَم الفُرْس الأكبر ، فَعُوِّض منه ثلاثين ألفًا ، وكانت قيمته ألف ألف ومائتي ألف[٤].

---

(١) أسد الغابة ٣ / ٤٠ ، والاستيعاب ٢ / ٧٤٩ .
(٢) الإصابة ٣ / ٢٧٠ ، والاستيعاب ٤ / ٧٤٩ .
(٣) الكامل لابن الأثير ٢ / ١٤٩ .
(٤) ابن الأثير ٢ / ١٨٦ .

وشهد ضرار فتح المدائن القديمة على الضفة الغربية من النهر ، فلما رأى ضرار من المدائن القديمة إيوان كسرى في الضفة المقابلة من النهر ، نادى بأعلى صوته : « الله أكبر ! هذا أبيض كسرى .. هذا ما وعد اللهُ ورسولُهُ » وكبَّر ضرار ، وكبّر الناس معه[1].

وشهد ضرار معركة « جلولاء » فلما رجع هاشم منتصرًا من جلولاء إلى المدائن ، بلغ سعد بن أبي وقاص أن الهُرْمزان قد جمع جمعًا من قواته في سهل « ماسبذان » فكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب ، فكتب عمرُ : « ابعث إليه ضرار بن الخطاب في جندٍ ، واجعل على مقدمته الهُذيل الأسدي ، وعلى مَجْنَبتيه عبد الله بن وهب الراسبي والمضارب بن فلان العجلي »[2] فخرج ضرار بمن معه حتى انتهى إلى سهل « ماسبذان » والتقى بالفُرْس ، وأسرع المسلمون في الهجوم على الفرس ، وأخذ ضرارُ قائدَهُم آذين سَلَمًا ، فأسره فانهزم عنه جيشه ، فقدَّمه فضرب عنقه ، ثم خرج في الطَّلب ، حتى انتهى إلى السيروان ، فأخذ ماسبذان عَنْوة ، وتطاير أهلها في الجبال ، فدعاهم فاستجابوا له .

وفي معركة ماسبذان قال ضرار يَذْكُر أَسْر آذين :

ويوم حَبَسْنَا قومَ آذين جنده ... وقطراته عند اختلاف العواملِ
وزردَ وآذينًا وفهدًا وجَمْعَهم ... غداةَ الوَغى بالمرهفاتِ الصَّواقلِ
فجاءوا إلينا بعد غبٍّ لقائنا ... بماسبذانَ بعد تلك الزَّلازِلِ[3]

* * *

(١) ابن الأثير ٢ / ١٩٧ .
(٢) تاريخ الطبري ٣ / ١٤٣ .
(٣) قادة فتح بلاد فارس (٩٣) عن معجم البلدان ٧ / ٣٦٤ .

نُعيم بن مُقرِّن المزني ، فاتح همذان والرَّيّ :

قَدَمَ نعيم بن مُقرِّن مع أخوته ، ومنهم النّعمان بن مُقرِّن ، على رأس أربعمائة فارس من مُزَيْنة على النبي ﷺ ، وشهد مع الرسول ﷺ غزوة الخندق وغزواته الأخرى .

وقاتل تحت لواء أبي بكر الصديق مانعي الزكاة من الأعراب ، عندما هاجموا المدينة ، وقاتل تحت لواء خالد بن الوليد في العراق ، وتحت لواء سعد بن أبي وقّاص في القادسية ، وأبلَى في ذلك أعظم البلاء .

وكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص : « استنفر من أهل الكوفة مع النُّعمان كذا وكذا ، فإني قد كتبت إليه بالتوجّه من الأهواز إلى « ماه » فليوافوه بها ، وليَسِرْ إلى « نهاوند » وقد أمَّرت عليهم حذيفة بن اليَمَان ، فإن حدث بحذيفة حدثٌ فعلى الناس نُعيم بن مقرّن ، وفي معركة نهاوند كان نعيم في المقدمة ، ولما نشب القتال في نهاوند قاتل نعيم تحت لواء أخيه قتالَ الأبطال ، فلما استشهد النعمان تناول نعيم الرَّايةَ من يد أخيه قبل أن تقع ، وسجَّى النعمانَ بثوبٍ ، وأتى حذيفة بن اليمان بالراية فدفعها إليه ، ولما انتصر المسلمون طارد نعيمُ والقعقاع بن عمرو فُلولَ المنهزمين من الفرس ، حتى وصلوا إلى همذان ، فلما رأى قائدها ألَّا فائدة تُرجى من المقاومة استأمنهم على الجزية ، فراسلوا حذيفة ، فأجابهم إلى ما طلبوا .

في همذان :

أعاد الفُرْس تحشيد قواتهم في منطقة الرَّيِّ ، فشجَّع ذلك أهل « همذان » ، ونقضوا الصلح الذي عقدوه مع المسلمين . وبلغت عمر بن الخطاب أنباء انتقاض الفرس في « همذان » فأمر نُعيم بن مقرن أن يسير إليها ، وأن يدخلها عَنْوة ؛ عقابًا لأهلها ، حتى لا يعودوا لمثلها أبدًا . قال عمر في كتابه لنعيم :

« فإن فتح اللهُ على يديك همذان فإلى ما وراء ذلك في وجهك ذلك ، إلى خراسان »[(١)].

وسمع أهلُ « همذان » اسمَ نعيم ، وعرفوا سَيْرَه إليهم ، فَسُقِطَ في أيديهم ، وتولَّاهم الرُّعب ، وزاد جَزَعُهم حين علموا باستيلاء نعيم على ما حول « همذان » من البلاد ، فلما انتهى إليهم نعيم وحاصر مدينتهم ، بعثوا إليه يطلبون الصلح ، فصالحهم وقبِل منهم الجزية على المنعةِ[(٢)].

في واج روذ :

وبينما كان نعيم في « همذان » على رأس اثني عشر ألف جندي ، سمع بمكاتبة الديلم وأهل « الرَّي » وأهل « أذربيجان » ، وحركة قواتهم إلى « واج روذ »[(٣)] ، تحرّك الدَّيلم ، وعلى رأسهم أميرهم « موتا » ، وتحرَّك أهل الري وعلى رأسهم « الزينبى »[(٤)] أبو الفرخان ، وتحرَّك أهل أذربيجان بقيادة « اسفنديار » أخو رستم ؛ فاستخلف نعيم على همذان ، وخرج بجيشه لمواجهة تحشُّد قوات فارس في « واج روذ » ، فلما وصلها نزل بقواته قبالة قوّات الفُرس وحلفائهم ، التي لم تمهل المسلمين أول ما نزلوا الميدان أن هاجمتهم هجومًا شديدًا ، واشتد القتال بين الطرفين ، وكانت وقعة عظيمة تعدل « نهاوند » ولم تكن دونها[(٥)] ، وصمد المسلمون صمودًا عنيدًا ، وقُتل من

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٢٢٢ .

(٢) الطبري ٣ / ٢٢٩ .

(٣) موضع بين همذان وقزوين .

(٤) الاسم الفارسي (الزنبدى) أو (الزبندى) ومؤرخو العرب يطلقون عليه اسم « الزينبى » .

(٥) الطبري ٣ / ٢٣٠ .

المجوس عددٌ كثير لا يُحصى ، واستطاع اسفنديار أن يفرَّ ببعض قواته مع حلول الظلام . وكان نعيم قد أخبر عمر باجتماع هذا العدد الضخم من قوات فارس وحلفائهم لقتاله ، فاهتمَّ عمر بذلك اهتمامًا بالغًا ؛ ولكن لم يفجأ إلا البريد بالبشارة مع عروة بن زيد الخيل ؛ فقد كان عمر متلهفًا لسماع أخبار المسلمين ، وهو أشدُّ ما يكون إشفاقًا عليهم ، وإنه لكذلك إذ قدم عروة ، وكان قدم عليه من قبل بنبأ كارثة موقعة « الجسر » وانهزام المسلمين ، فلما رآه عمر قال : « بشيرٌ ؟ » وأجاب الرجل : « بل عروة » ، فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون ! عند ذلك فطن عروة فقال : بل احمد الله ، فقد نَصَرَنَا وأظهرنا[1].

قال عروة في فتح « واج روذ » :

فلما أتاني أنّ (مُوتا) ورهطَهُ — بني باسلٍ جرّوا جنودَ الأعاجِمِ
نهضْتُ إليهمْ بالجنودِ مُسامِيًا — لأمنعَ منهمْ ذمَّتي بالقَواصِمِ
فجئْنَا إليهمْ بالحديدِ كأنَّنا — جبالٌ تراءى من فروعِ القلاسمِ[2]
فلمَّا لقيناهمْ بها مُستفيضةً — وقدْ جعلوا يسمونَ فعْلَ المساهمِ
صدمناهم في واجَ روذ بجمْعنا — غَداةَ رميْناهم بإحدى العظائِمِ
فما صبروا في حوْمةِ الموتِ ساعةً — لحدّ الرماح والسيوفِ الصَّوارِمِ
كأنّهم عندَ انبثاثِ جُموعِهِمْ — جدارٌ تشظّى لبنُهُ للهوادِمِ
أصبنا بها (مُوتا) ومَن لفّ جمعهُ — وفيها نهابٌ قسْمُه غيرُ غانمِ
تبعناهم حتى أوَوْا في شعابِهِمْ — نقتّلهم قتْلَ الكلابِ الجَواجِمِ[3]

(١) الطبري ٣ / ٢٣٠ .
(٢) القلاسم : الجبال .
(٣) الجواجم : السائبة .

كأنَّهم في واجَ روذَ وُجوهُهُمْ ضئِين[١] أصابَتْهَا فروجُ المخارمِ[٢]

وقدم وفدٌ من الجيش بالأخماس إلى عمر ، فيهم سِماك بن مَخْرمة ، وسماك بن عبيد ، وسِماك بن خَرَشَةَ ، فذكروا أسْماءهم سماك وسماك وسِماك ، فقال عمرو : بارك الله فيكم ، اللهم اسمكْ بهم الإسلام (أيِّدْ بهم الإسلام) وأيّد الإسلام بهم .

فتح الري :

« كتب عمر بن الخطاب إلى نُعيم : سرْ حتى تقدم الري وتلقَى جمعهم ، ثم أقمْ بها فإنها أوسط تلك البلاد وأجمعها لما تريد . فأخرب نعيمُ بن مقرن « واج روذ » ، ثم خرج منها في جيشه إلى « دستبي » ومنها اتجه نحو الري ، حتى إذا كان في « قها » لقيه جيشٌ فارسيٌّ بعث به « سياوخش » بن مهران بقيادة زنبدى « الزينبى » ، وقد كُلّف بالتصدي لنُعيم ، فاستسلم زنبدى لنعيم دون قتالٍ وسالمه ، وسار معه إلى الري .. وقد كان الزينبى رأى حُسْنَ وفاءِ المسلمين معه وسوءَ معاملةِ سياوخش له .

واستمد « سياوخش » الأقاليم المجاورة مثل « دنباوند » و« طبرستان » و« قومس » و« جرجان » ، وقال لهم : قد علمتمْ إنْ هؤلاء حلّوا بالري أنه لا مُقامَ لكم فأمدّوه واحتشدوا له ، وقاد « سياوخش » هذه القوات ، فالتقوا بنعيمٍ على سَفْحِ جبل « الري » بجانبِ مدينة الري ذاتِهَا ، ودارتْ بينهما المعركة . فقال زنبدى لنعيم : إن القوم كثيرٌ وأنت في قِلّةٍ ، فابعثْ معي خيلًا أدخل بهم مدينتهم في مدخل لا يشعرون به وناهِدْهم أنت ؛ فإنهم إذا خرجوا عليهم لم يثبتوا لك . وفي الليل بعث نعيم خيلًا من جيْشهِ عليها

(١) ضئين : جمع ضأن .

(٢) ومخارم : جمع مخرم ، وهو الأبرق .

ابنُ أخيه المنذر بن عمرو بن مقرن ، فساروا مع زنبدى متسلّلًا خلال ما يعرف من المسالك ، حتى دخل بهم مدينة الري ، و« سياوخش » وجيشه لا يشعرون ، في حين شنّ نعيم بجيشه هجومًا ليليًّا عنيفًا ، فصمدوا له وصبروا في القتال حتى سمعوا تكبير المنذر في جنده مِن خلفهم ، فانهزموا وكثر القتْل فيهم . يقول الرواة : فَقُتِلوا مقتلةً عُدُّوا بالقَصَبِ فيها . وكانت غنائم المسلمين بالري قريبًا من غنائمهم بالمدائن ، وأخرب نُعيم مدينة « الري » العتيقة ، وأمر زنبدى فبنى مدينة « الري » الحديثة ، وجعل زنبدى مرزبانًا عليهم .

وقد كان « الري » عاصمة فارس الشمالية ، فما إنْ سقطتْ ، حتى فتح سويد بن مقرن « قومس » سِلْمًا ، وصالح نعيمٌ أهلَ دبناوند ، وبفتْح الري وتسليم هاتيْن المدينتيْن الكبيرتين لم يبقَ بين المسلمين وبين شواطئ بحر قزوين من أرض فارسٍ غير « جرجان » و« طبرستان » و« أذربيجان » ، وقد سُلّمتْ « جرجان » و« طبرستان » لسويد بن مقرن صلحًا ، كما فتح المسلمون « أذربيجان » بعدَ مناوشاتٍ لا ترقى إلى درجة الحرب »[1] .

البراءُ بن عازب الأَوْسي الأنصاري ، فاتحُ قزوين :

قال رضي الله عنه : استصغره رسول الله ﷺ هو وابن عمر فردّهما يوم بدرٍ ، ولم يشهد أُحدًا لصِغرِ سِنّه .. وأجازه النبي ﷺ يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنةً ، وقاتل مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوةً .

وكان للبراء نصيب في مقاتلة المرتدين ، وشهد فتح « تُسْتَر » مع أبي موسى الأشعري .

---

(١) قادة فتح بلاد فارس صـ ١٢٧ ، وسقوط المدائن - لأحمد عادل كمال صـ ٢٣٥ - ٢٣٧ .

وسار البراء إلى قزوين ... فأتى « أبهر » وكانت محصنةً ، فحاصرها وقاتله أهلها ، ولكنّهم طلبوا الأمان بعد ذلك فصالحهم البراء[1] ودخلها المسلمون .

ثم غزا البراء أهل حصن « قزوين » ، فلما بلغهم قصْدُ المسلمين لهم طلبوا من حلفائهم الدَّيْلم معاونتهم فوعدوهم خيرًا ، ولكنهم لم يبرُّوا بوعدهم ، فلما رأى أهل « قزوين » ذلك طلبوا الصُّلح فصالحهم البراء ، ودخلها المسلمون أيضًا[2] .

وفي ذلك يقول أحد رجال البراء :

قَدْ عَلِمَ الدَّيْلمُ إذْ تُحارِبْ حينَ أتى في جيشهِ ابنُ عازبْ

بأنّ ظنّ المشركين كاذبْ فكمْ قطعنا في دُجَى الغياهبْ

مِنْ جبلٍ وعْرٍ ومنْ سَبَاسِبْ

إذْ كانت المنطقة جبليةً وعرة لم يألفِ العربُ مثلها من قبلُ ؛ لأنهم من سكّان السهول والصحاري ، ومع ذلك استولوْا عليها .

وغزا البراءُ « الدّيلمَ » حتى أدّوْا له الإتاوة ، وغزوا منطقة « جيلان » ، وفتح « زنجان » عُنْوةً[3] .

رضي الله عن البراء فقد كانتْ مهمته صعبةً للغاية ، ومَن لها سواه مِن شجاعٍ ومقدامٍ ، صاحب إرادة لا تزعزعها المخاطر والأهوال ، لقد كان البراء أمةً في رجلٍ .

---

(١) فتوح البلدان - للبلاذري صـ ٣١٧ .

(٢) البلاذري صـ ٣١٧ .

(٣) قادة فتح بلاد فارس صـ ١٣٠ - ١٣٤ .

ذو النُّورِ عبد الرحمـٰن بنُ ربيعة غازي التُّرك ، الذي تمنعه الملائكةُ مِنَ الموت :

أدرك النبيَّ ﷺ ولم يسمع منه ولا روى عنه .

كان من أبطال المسلمين بالقادسية .

وبعد انهيار جيش رستم حاولت بضعٌ وثلاثون كتيبةً منهم أن تصمُدَ فتصدّى لهم بضعٌ وثلاثون كتيبةً من المسلمين ، فكان ابن هربذ أمام عبد الرحمـٰن ابن ربيعة ، فأباد عبد الرحمـٰن جندَه بخيلِهِ وقتل ابن هربذ .

وأمره عمر بن الخطاب بغزْوِ الترك فسار عبد الرحمـٰن بجيشه حتى اجتاز الباب ، فقال له ملك الباب شهربراز : ماذا تريد أن تصنع ؟ قال : أريد « بلنجر »[1]. قال : إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب . قال : لكنا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيهم في ديارهم . وتاللهِ إن معنا لأقوامًا لو يأذن لنا أميرنا في الإمعان ، لبلغتُ بهم الروم . قال شهربراز : وما هم ؟ قال عبد الرحمـٰن : أقوام صحبوا رسول الله ﷺ ودخلوا في هذا الأمر بنيَّةٍ ، كانوا أصحاب حياءٍ وتكرُّم في الجاهلية ، فازداد حياؤهم وتكرُّمُهم ، فلا يزال هذا الأمر دائمًا لهم ، ولا يزال النصر معهم حتى يغيّرهم مَنْ يغلبهم ، وحتى يلفتوا عن حالهم بمن غيّرهم .

فغزا عبد الرحمـٰن « بلنجر » في عهد عمر دون أن تُصاب قُوَّاته بأية خسائر ، حتى قال عنها الرواة : إنها غـزاةٌ لم تئم فيها امرأة ولم يُيَتّمْ فيها صبيٌّ . وأوغل عبد الرحمـٰن في أرض التُّرك ، حتى بلغتْ خيلُه « البيضاء » على مسافة مائتي فرسخ من « بلنجر » – أي أكثر من ألف ومائة كيلو

(١) من مُدن بحر « قزوين » .

متر - وكانت العوامل النفسية من أسباب نجاح المسلمين في ذلك الغزو ، وكانت نفسيَّات الترك على النقيض .

قال سلمان بن ربيعة - أسد القادسية - عن غزو الترك : لما دخل عليهم عبد الرحمـٰن بن ربيعة حال الله بين الترك والخروج عليه ، وقالوا : ما اجترأ علينا هذا الرجل إلّا ومعه الملائكة تمنعه من الموت . فتحصّنوا منه وهربوا ، فرجع بالغُنْم والظفر ، وذلك في إمارة عمر ، ثم إنه غزاهم غزوات من زمن عثمان ، فظفر كما كان يظفر ... وتذامرت الترك وقال بعضهم لبعض : إنهم - المسلمون - لا يموتون . قال : انظروا . وفعلوا ، فاختفوا لهم في الغياض ، فرمى رجل منهم رجلًا من المسلمين على غرّةٍ ، فقتله وهرب عنه أصحابه ، فخرجوا عليه عند ذلك .. فاقتتلوا فاشتد قتالُهم ، وقاتل عبد الرحمـٰن حتى قُتل ، وانكشف الناس ، وأخذ الراية سلمان بن ربيعة ، وخرج بالناس ومعه أبو هريرة على « جيلان » ، فقطعوها إلى « جرجان »[(١)] .

وقد أثبتت هذه الحادثة للترك أن وهمهم الأول كان خاطئًا ، وأن المسلمين بشرٌ يموتون كما يموت البشر . وإن دلَّت هذه فإنما تدل على بطولةِ فارسنا ذي النور عبد الرحمـٰن الذي يغزو الغزوَة تلو الغزوة ، فلا يموت أحدٌ من جنده حتى يتوهّم الترك أن المسلمين لا يموتون .

سلمان بن ربيعة الباهلي ، سلمان الخيل :

ذكره البخاري في الصحابة ، وكان يلي أمر الخيول - الفرسان - أيامَ عمر .

---

(١) الطبري ٤ / ١٥٨ ، وسقوط المدائن صـ ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

وقد شهد فتوح الشام مع أبي أمامة الباهلي .

وفي القادسية حاول بضعٌ وثلاثون كتيبة من المجوس أن تصمد للمسلمين ، فتصدى لهم أمثالُهم ، وكان « كناري » قائد فرسان « رستم » أمام سلمان فقتله سلمان ، وأبصرهم تحت رايةٍ لهم قد حفروا لهم وجلسوا تحتها ، وقالوا : لا نبرح حتى نموت . فحمل عليهم فقتل مَن كان تحتها وسلبهم[١] .

وكان سلمان حقًّا فارس الناس بالقادسية ، فكان يُقال لسلمان : لَسلمانُ أبصرُ بالمفاصل من الجازر بمفاصلِ الجزور[٢] .

وفي ٢٤ هـ جاشت الروم ، فأمدّ عثمان أهل الشام بثمانية آلافٍ من العراق عليهم سلمان بن ربيعة ، فدخلوا أرض الروم ، وشنّوا الغارات وسَبَوْا ، وافتتحوا الحصون .

لله دَرُّكَ يا سلمان حين تقول : قتلت بسيفي هذا مائة مستلئم ، كلهم يعبد غير الله ، ما قتلت رجلًا منهم صبرًا .

وولي غزو « أرمينيا » في زمن عثمان فاستُشهد حوالي عام ٣٠ هـ بـ« بلنجر » من بلاد أرمينيا .

الحارث بن قموم البهزي ، بطل بني سُليم في القادسية :

كان سعد يعدّد على عمر فرسان القادسية « فكان مما ذكر سعد لعمر أن وصف الحارث بن قموم بالشجاعة وقال : لم أرَ راكبًا مثل الحارث ابن قموم ؛ إنه جلّل بعيرَه وبرقعه ، ثم ركب الفراديس ففرّق بينها ، فإذا

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٥٦٩ ، وفتوح البلدان ٦٤٤ .
(٢) الطبري ٣ / ٥٦٩ وهذا القول للشعبي .

بصُر بفارسٍ انحطّ عليه فعانقه ثم قتله ، ثم وثب على بعيره من قيام »[١] .

يعفور بن حسّان الذهلي ، مِن أبطال القادسية :

وكذا وصف سعدٌ لعمرَ يعفور بن حسّان الذهلي فقال : « لم أرَ رجلًا مثل يعفور ؛ إنه قد جاء في يوم بخمسة فوارس ، يختل الرجل منهم حتى يرميه ، ثم يغلبه على عنايته حتى يأتي به مسلمًا »[٢] .

غالب بن عبد الله الأسدي :

« خرج رحمه الله أمام صفوف بني أسد وهو يُنشد يوم القادسية :

قد عَلِمتْ واردةُ المسالحْ ذاتُ اللّبان والبنان الواضِحْ
أني سَمامُ البطل المُشايحْ وفارجُ الأمرِ المهمِّ الفادِحْ[٣]

فخرج إليه هرمز وكان من ملوك الباب على رأسه تاج ، فأسره غالب أسرًا فجاء به سعدًا فأدخله عليه ، وانصرف إلى مبارزة جديدةٍ »[٤] .

علباء بن جحش العجليّ ، يقاتل بعد خروج أمعائه :

وهذه قصةٌ في البذْل لا تُنسى :

في معركة القادسية « برز رجلٌ من المجوس أمام صفوف بَكر بن وائل فنادَى : مَنْ يبارز ؟ فخرج له علباء بن جحش العجلي ، فنفحه[٥] علباءُ

---

(١) الإصابة ١٩٢٥ .
(٢) الإصابة ٩٤٢٧ .
(٣) المسالح : مواقع السلاح . اللّبان : الصّدر . البنان : استعارة لقوائم الخيل . سمام :الذي أتى بالسموم .
(٤) فتوح البلدان ٦٤٦ .
(٥) النفح : الضرب إلى خارج اليمين .

فأصابه في صدره وشقّ رئته ، ونفحه الآخر فأصابه في بطنه وانتثرت أمعاؤه ، وسقطا معًا إلى الأرض . أمَّا المجوسي فمات من ساعته ، وأما علباء فلم يستطع القيام ، وحاول أن يُعيد أمعاءه إلى مكانها فلم يتأتَّ له ، ومرّ به رجلٌ من المسلمين ، فقال له علباء : يا هذا ، أعِنّي على بطني . فأدخل له أمعاءه ، فأخذ بصفاقيه ، ثم زحف نحو صفِّ العجم دون أن يلتفتَ إلى المسلمين وراءه ، فأدركه الموت على ثلاثين ذراعًا من مَصْرَعِه وهو يقول :

أرجُو بها من ربِّنا ثوابًا　　　قد كنتُ ممَّنْ أحسنَ الضِّرابَا

وفاضت نفسه »[١].

هلال بنُ عُلّفَة التيمي ، قاتلُ رستم :

أمّا رستم فهو قائد قوات الفرس ، الشيخ أبو مرةَ الفرس ؛ أي شيطانهم . عندما قربتْ ساعة الصفر للقتال في القادسية أسرجوا له فرسَه ، فقفز قفزةً واحدةً استوى بعدها في السَّرج على ظهر الجواد دون أن يمَسَّ حتى الركاب ، وهذا أكبر دليل على فروسيته وحيويته وتمرُّسه بالحرب ، فقد كان محاربًا ممتازًا وخبيرًا عسكريا مجرِّبًا ... قال لجنده عن المسلمين : غدًا ندقّهم . فقال له رجل : إن شاء الله . فردَّ عليه رستم في كبرياءَ فارسيةٍ مَقِيتةٍ ، وكفرٍ مجوسيٍّ مُلحِدٍ : وإن لم يشأ ؛ إنما ضعا الثعلب حين مات الأسد[٢] ، قد خشيت أن تكون هذه سنة القرود .

« وفي المعركة .. كانت أول وحدةٍ من جيش الإسلام تصل إلى حيث يوجد رستم؛وحدة من بني تيمٍ من الرباب ، وعلى رأسها فارسها القعقاع ،

(١) الطبري ٣ / ٥٤٦ .
(٢) الطبري ٣ / ٥٢٩ ، ويعني بالأسد : كسرى برويز .

وعثرت الوحدة على سرير رستم ، ولكنهم لم يعثروا عليه فوقه ، واقترب هلال بن علقمة من البغل الذي يستظل بظلّه رستم ، وهلال لا يعلم بوجود رستم ، فضرب علقمة الجبال التي تشدُّ العدْلين إلى ظهْر ذلك البغل فقطعها ، فوقع أحدُ العدْليْن فوق « رستم » ، وكان العدل ثقيلًا جدًّا ، لذلك أصاب رستم إصابةً بالغةً أدَّتْ إلى إزالةِ فقرةٍ من فِقار ظهْر رستم ، وعاد الفارس هلال يضرب حِمْلَ البغل ، فانبعثت منه رائحة المسك . وتسلل رستم هاربًا نحو العتيق ، فأبصر به هلالٌ وعرفه فتوجّه نحوه ، فرماه رستم بنشابةٍ أصابتْ قدمه ، وشكّتها إلى ركاب سرجه ، وكان ركاب فرس هلال من الخشب ، وكان رستم - حين رمى النشاب - يصيح بالفارسية : بپايه ؛ أي كما أنت . وأوغل رستم في الهرب نحو نهر العتيق ، وصار يُخفّف مما عليه من عُدة الحرب ، فألقى عنه درعه ورمى بسيفه ، وقذف بنفسه في نهر العتيق ، ولم يترك له هلالٌ فرصةَ النجاة إذ اقتحم النهر خلفه ، وقد عام رستم في الماء ، ولم يشعر رستم إلّا بهلالٍ قد أدركه ، إذْ رآه واقفًا إلى جنبه على قدميْه ، وفي الحال أخذ هلال برجْل رستم ، ثم جذبه وأخذ يسحبُه حتى خرج به إلى البر ، وهناك ضرب جبينه بالسيف ففلق هامته وضرب أنفه ، فقتله ، ثم سحب جُثّته »[1] ، حتى رمى بها بين أرجُل البغال ، ثم صعد على سرير رستم ، ونادى بأعلى صوته : قتلتُ رستم وربِّ الكعبة . ثم نَادى الناس قائلًا : إليّ . فأطافوا به وهم لا يرون السرير ولا يحسُّون به ، وعندما علموا بمصرع رستم كبّروا من فوق سريره ، وتهدّم قلب جيش الفُرْس وعمّتهم الهزيمة ..

فللّه دَرُّكَ يا هلال .. وبوركت يمينُك !

---

(١) الطبري ٣ / ٥٦٤ .

وداعيةٍ بفارسَ قد تركْنَا ... تُبكّي كلّما رأتِ الهلالَا
قتلْنا رستمًا وبنيهِ قسْرًا ... تثيرُ الخيلُ فوقَهُمُ الهيَالا
تركْنا منهمُ حيثُ التقينا ... قيامًا ما يريدونَ ارْتحالَا

قتل الفُرْس وذلُّهم ونزولُ رايتهم « درفش كابيان » إلى الأبد :

بعد مصرع رستم حاول قادة الفرس المنهزمون - وعلى رأسهم الجالينوس قائد القلْب - أنْ ينسحب بقيةُ الجيش بانتظام ، فوقف الجالينوس على قنطرة الردم على العتيق ، ونادى الفرس ليعبروا النهر على القنطرة الترابية ، وكان معه الهرمزان ، ولكنّ زهرة بن الحويّة خاض النهر بفرسه واصطدم بالجالينوس ، فاختلفا فقتله زهرة وأخذ سَلَبَه[1] ، وهكذا بقي العجم بدون قائدٍ ماهرٍ ينظّم ، حتى انسحابهم ، فصار همّهم النجاة بأنفسهم فقط . وكان هناك ثلاثون ألفًا من مغاوير الفرس وطّنوا أنفسهم على الموت ، فاقترنوا بالسلاسل كي لا يفرّوا ، وعندما حاقتِ الهزيمة بجيش رستم تهافت هؤلاء المقترنون في النهر جميعًا ، يجرّ بعضُهم بعضًا ، فقتلهم المسلمون وَخْزًا بالرماح ، فلم ينجُ منهم أحد ، بل قُتلوا جميعًا .

قال الطبري في تاريخه (٣ / ٥٦٩) - يصف إبادة الثلاثين ألفًا مِن الفرس المقترنين في السلاسل -: فأما المقترنون فإنهم جشعوا فتهافتوا في العتيق ، فوخزهم المسلمون برماحهم ، فما أفلت منهم مخبّر ، وهم ثلاثون ألفًا .

ضرار بن الخطاب القرشي مُسْقِطُ راية الفُرْس إلى الأبد :

لله دَرُّه ..

وصل ضرار بن الخطاب القرشي إلى ساري راية الفرس الكبرى « دِرَفش

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٥٦٥ .

كابيان » فأنزلها من عليائها لآخر مرة ، فلم ترتفع بعدُ أبدًا ..

هذه راية فارس الكبرى التي رآها المسلمون مرة واحدة قبل هذه ، فهي التي كان يرفعها « بهمن جاذويه » في يوم الجسر ، هذه الراية الحمراء ذات الشمس البنفسجية والقمر الذهبي « درفش كابيان » أشهر راية في التاريخ .

راية كسرى « دِرَفش كابيان » ، أوْ « دِرَفْش كاوْيان » ، وكانت من جلود النمر ، عرض ثمانية أذرع في طُول اثني عشر ذراعًا - أربعة أمتار في ستة أمتار - ، وكان يُضاف إلى زينتها بعض الجواهر بعد كلّ انتصار ، ووشوها بِقِطَع الذهب والفضة والجواهر واللآلئ ، وتبرّك بها ملوكُ الفرس ، وصارت على الأيّام يتيمة الدّهر ، وكريمة العمر ، وبِكْر الفلك ، ونكتة الحِقب ، يحملها « السالار » رئيسهم المقدم ، يعينه عليها خمسةٌ من الموابذة - كبار رجال الدين - ليحملوه أمام الجيش ... أسقطها البطل ضرار بن الخطاب فعُوّض عنها بثلاثين ألف درهم ، وكانت قيمتُها ألفي ألفِ دينار .

فَبُورِكَ زندُك يا ضرار ... وبوركَتْ يمينك .

على ترانيمِ تكبيراتنا سقطتْ رايات كسرَى وذاق الموتَ سَاسَانُ

وسقط مُلْك بني ساسانَ على يد الأُسُودِ الموحدين :

ركب الذلُّ والهوانُ الفرسَ بعد القادسية .

« قال رجلٌ من بني عبس : أصاب أهل فارس يومئذٍ بعد ما انهزموا ما أصاب الناس قبلهم ، قُتلوا حتى إنْ كان الرجل من المسلمين ليدعُو الرجل منهم فيأتيه حتى يقوم بين يديْه فيضرب عنقه ، وحتى إنه ليأخذ سلاحه فيقتله به ، وحتى إنه ليأمر الرجلين أحدَهما بصاحبه ، وكذلك في ....

العِدّة »[١]، يعني يأمر العدد منهم فيقتل العدد .

ولقد شهد شقيق بن سلمة الأسدي القادسية غلامًا بعد ما احتلم ، يروي فيقول : « فهزمهم الله ، فلقد رأيتُني أشرتُ إلى إسوارٍ منهم ، فجاء إليّ وعليه السلاح التامُّ فضربتُ عنقه ، ثم أخذتُ ما كان عليه »[٢].

قال الأسود النخعي : « شهدتُ القادسية ، فلقد رأيتُ غلامًا منّا مِن النخْع يسوق ستينَ أو ثمانين رجلًا مِن أبناء الأحرار ، فقد أذلّ الله أبناء الأحرار »[٣].

لا صلح أبدًا حتى نأكلَ عسلَ إفريذين بأُتْرُجِّ كوثى :

وإفريذين على بحر قزوين ، وكوثى : بيْن دجلة والفرات ، والأُتْرُجُّ : نوع من التمر .

ولهذا قصةٌ لا تُنْسىٰ : لما وقعتِ القادسية ومُني الفرس بأنكر هزيمة وقُتِل بها رستم ، وتقدم جيش المسلمين نحو المدائن .. حتى حاصروا « بهرسير » وكانت على الشاطئ الأيمن لدجلة ، وهي أولى المدائن السَّبع التي تتكون منها العاصمة « المدائن » ، واستمر حصار المسلمين لها شهرين ، وقال بعضهم : ستة أشهر ، حتى أكل الفرسُ الكلابَ والسنانير . وذكر المؤرخون أن المسلمين ضربوا « بهرسير » بالمنجنيق والعرادات ، وعرض « يزدجرد » ملك الفرس على المسلمين أن يصالحوه ، شريطة أن يقِفُوا حيث هم ، ويكون لهم كلُّ ما فتحوه في العراق غربيّ دجلة حتى حدود بلادهم ، ويكون نهر دجلة الحدود الفاصلة بين العرب والفرس .. حتى جاءه الردُّ الذي اضطره إلى الفرار .

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٥٦٩ .

(٢) الطبري ٣ / ٥٢٥ .

(٣) الطبري ٣ / ٥٦٨ .

ذكر الطبري في « تاريخ الرسل والملوك » (٤ / ٧) عن أنس بن الحليس قال : قال : بينا نحن محاصرون « بهرسير » بعد زحفهم ، أشرف علينا رسولٌ فقال : إن المَلِك يقول لكم : هل لكم إلى المصالحة على أنّ لنا ما يلينا مِن دجلة وجبلنا ، ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم؟ أما شبعتم لا أشبع الله بطونكم ! فبدر الناسَ[1] أبو مفرّز الأسود بن قطبة ، وقد أنطقه الله بما لا يدري ما هو ولا نحن ، فرجع الرجل[2] ، ورأيناهم يقطعون[3] إلى المدائن . فقلنا : يا أبا مفرز : ما قلتَ للرسول ؟ فقال : لا ، والذي بعث محمدًا بالحق ما أدري ما هو ، إلّا أنّ عليّ سكينة ، وأنا أرجو أن أكون قد أُنْطِقتُ بالذي هو خير . وانتاب الناس يسألونه[4] ، حتى سمع سعدٌ بذلك فجاءَنا ، فقال : يا أبا مفرز ، ما قلت ، فوالله إنهم لهرّابٌ ؟! فحدثه بمثل حديثه إيانا ، فنادى - سعدٌ - في الناس ثم نهد بهم ، وإن مجانيقنا لتخطر عليهم[5] ، فما ظهر على المدينة أحدٌ ، ولا خرج إلينا إلّا رجلٌ نادى بالأمان فأمّناه ، فقال : إنْ بقي فيها أحد[6] فما يمنعكم[7] ؟! فتسوّرها الرجال وافتتحناها ، فما وجدنا فيها شيئًا ولا أحدًا إلّا أُسارى أسرناهم خارجًا منها وذلك الرجل ، فسألناه : لأَيِّ شيءٍ هربوا ؟ فقال : بعث الملك

---

(١) أي : سبقهم .

(٢) أي رسول كسرى .

(٣) أي : يعبرون النهر .

(٤) في تعجُّبٍ كيف أن كلمةً واحدةً قالها جعلت حامية « بهرسير » تترك المدينة خالية .

(٥) أي تقصفهم بحممها .

(٦) يعني : لم يبَق فيها أحد .

(٧) أي : ما الذي يحول بينكم وبين دخول المدينة .

إليكم يعرض عليكم الصُّلح فأجبتموه بأن « لا يكون بيننا وبينكم صلح أبدًا حتى نأكل عسل أفريذين بأترجّ كوثى » . فقال الملك : واويله ، ألا إن الملائكة تكلَّم على ألسنتهم تردّ علينا وتجيبنا عن العرب ، والله لئن لم يكن كذلك ، ما هذا إلا شيءٌ ألقي عليّ في هذا الرجل لننتهي ، فأْرَزُوا إلى المدينة القصوى »[1] .

رضي الله عنك أبا مفرّزٍ ! ألست القائل يا سيدي بعدَ انتصاركم في اليرموك :

وكَمْ قدْ أغرْنا غارةً بعدَ غارةٍ ... ويومًا ويومًا قد كشفنا أهاوِلَهْ
ولولا رجالٌ كان حشوَ غنيمةٍ ... لدى مَأْقِطٍ رُجّتْ عليهم أوائِلُهْ
كفيناهُمُ اليرموكَ لما تضايقتْ ... بمنْ حلّ باليرموكِ منْهُ حمائَلُهْ
فلا يَعْدِمَنْ منّا هرقلُ كتائبًا ... إذَا رامها رامَ الذي لا يحاوِلُهْ[2]

وفي القادسية كنتَ شاعرَهم ومن أبطالهم ، تقول :

ألا بلِّغا عني الغريبَ رسالةً ... فقدْ قُسِّمَتْ فينا فيوءُ الأعاجمِ
وَرُدّتْ علينا جزيةُ القومِ بالذي ... فككْنَا به عنهُم وُلاة المعاصمِ

أبو نباتة نائِل بن جعشم قاتل قائد الجيش الفارسي في « كوثى » « شهريار » :

« لا يقتلك إلا عبد » :

« بعد أن تمت سيطرةُ المسلمين على مدينة بابل أقاموا بها عدةَ أيام .. بعدها أمر سَعْدٌ قائد المقدمة زهرةَ بن الحويّة أن يزحف نحو بلدةِ « كوثى » ، وكان عليها دهقان الباب الفارسي شهريار ، وهو من أشدّ فرسان فارس .. وتكامل

---

(١) أي : انحازوا إلى « اسبانير » و « طيسفون » .
(٢) الطريق إلى دمشق صـ ٤٩٦ - ٤٩٧ .

جيش المسلمين الذي أتت كتائبه على شكل موجاتٍ ، وفي ضواحي كوثى لَحِقَتْ خيل المسلمين بقوات شهريار فاصطدمت بها ، وهنا خرج قائد الجيش الفارسي شهريار- وكان متكبرًا - إلى ما بيْن الصَّفيْن وعليه درعه وفي يده رمحه ومعتقِلًا سيفه ، فنادى : ألَا فارسٌ منكم شديدٌ عظيمٌ يخرج إليّ حتى أنكّل به ؟ فناداه القائد زهرة : لقد أردتُ أن أبارزك ، فأما إذْ سمعتُ قولَك فإني لا أُخرج إليك إلّا عبدًا ، فإنْ أقمتَ له قتلَك إن شاء الله ببغيك ، وإن فررتَ منه فإنما فررتَ منْ عبدٍ . فغاظه زهرة بذلك ، ثم أمر أبا نباتة بن جعشم الأعرجي ، وكان من شجعان بني تيم ، فخرج إليه عليه دِرْعٌ ، وبيده رمحٌ أيضًا ، وكان كلاهما جسيمًا (وثيق الخلْق) ، ويبدو أنّ شهريار كان أجسم . يقول الرفيل :... إلا أن شهريار مثل الجمل . فلما رأى نائِلًا ألقى الرمح ليعتنقه ، وألقى نائلٌ رمحَه ، وانتضيا سَيْفَيْهِمَا فاجتلدا ، ثم اعتنقا - تصارعا - فخرّا عن فرسيهما ، ووقع شهريار على « نائل » كأنه بيت ، فضغطه بفخِذِه وأخذ الخنجر وأراغ[1] حَلّ أزرار درعه ، فوقعتْ إبهامه في فيّ نائل - فمه - فحطّم عظمها ، ورأى منه فُتُورًا فثاوره - ثار به - فجلد به الأرض ، ثم قعد على صدره ، وأخذ خنجره ، فكشف عن بطنه فطعن في بطنه وجنبه حتى مات ، فأخذ فرسه وسَلَبَه ، وانكشف أصحابه فذهبوا في البلاد . وأقام زهرة بكوثى حتى قَدِمَ عليه سعدٌ فأتى به سعدًا ، فقال سعد : عزمت عليك يا نائل بن جعشم لمَا لبستَ سواريْه وقباءه ودرعه ، ولتركبنّ بِرْذَوْنه . وغنّمه ذلك كلَّه ، فانطلق فتدرّع سَلَبَه ، ثم أتاه في سلاحه على دابته ، فقال : اخلعْ سواريْك إلّا أن ترى حربًا فلْتلبسهمَا . فكان أوَّل رجلٍ من المسلمين سُوِّر بالعراق[2] » . ا هـ .

---

(١) أي : أراد .

(٢) سقوط المدائن - لأحمد عادل كمال صـ ١٧ - ١٩ .

في بلدة « كوثى » حيث جلس إبراهيم الخليل وحُبس .. انتصر أهل مِلَّته على عبدة الأوثان والنيران ، وقتل أبو نباتة قائدهم شهريار ﴿ **وتلكَ الأيامُ نداولها بَيْنَ الناس** ﴾ الآية [آل عمران : ١٤٠] .

النُّعْمان بن مُقَرِّن المُزني ، قائد فتح الفتوح :

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « إن للإيمان بيوتًا وللنِّفاق بيوتًا ، وإن من بيوت الإيمان بيت ابن مقرِّن » .

وكان لابن مقرن عشرة إخوة من الفرسان : سنان وسويد وعبد الله وعبد الرحمٰن وعقيل ومعقل والنعمان ونعيم ومرضي وضرار ، كلهم صحب الرسول ﷺ ، وليس ذلك لأحد من العرب غيرهم ، نزلت فيهم الآية الكريمة : ﴿ **وَمِنَ الأعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ باللهِ واليوم الآخر** ... ﴾ [التوبة : ٩٩] الآية ، وكانوا من جلَّة الصحابة .

قدم النعمان مع إخوته على رأس أربعمائة فارسٍ من مُزَيْنَة ، وشهدوا مع الرسول ﷺ غزوة الخندق ، وكان مع النعمان لواء مزينة في غزوة فتح مكة .

وكان له جهاده المُشَرِّف في حروب الرِّدة ، ولما أغار المرتدون على المدينة عَبَّأَ الصديقُ النَّاسَ ، ثم خرج بهم في الثلث الأخير من الليل ، وعلى مَيْمنتهِ النعمان ، وعلى ميسرته أخوه عبد الله بن مقرن ، وعلى السَّاقة أخوه سويد بن مقرن ، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد ، فما سمعوا للمسلمين هَمْسًا ولا حسًّا حتى وضعوا فيهم السيوفَ قبل شروق الشمس ، فلم تشرق الشمس حتى انهزم المشركون ، فطاردهم أبو بكر حتى نزل بذي القصة ، حيث وضع فيها حاميةً من المسلمين بقيادة النعمان ، وعاد إلى المدينة[1] .

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤٧٨ .

ولما نَشَبَ القتال في القادسية أبلى فيها النعمان بلاء الأبطال .

ولما حَضَّ يزدجرد أهل فارس للدفاع عن بلادهم ، وأثمرت محاولاته توحيد جهود الفرس وأهل الأهْواز في سبيل صدِّ عدوِّهم المشترك ؛ فأخبر قادةُ المسلمين في الأهواز عمرَ بن الخطاب ، فكتب عمر إلى سعد : « ابعثْ إلى الأهواز جُندًا كثيفًا مع النعمان بن مقرن وعجِّلْ ، فلينزلوا بإزاء الهرْمزان ويتحققوا أمره »[(١)].

وتحرك النعمان بأهل الكوفة إلى الأهواز على البغال يجنبون الخيل ، فلما وصلها بادر إلى مهاجمةِ جيش الهرمزان في « رام هُرمز » ، فهزم الفُرسَ ، وفتح المدينة ، ولجأ الهرمزان إلى مدينة « تُسْتَر » ، فسار النعمان بقوات الكوفة إليه ، وسارت قوات البصرة إلى « تستر » أيضًا ، وأمدَّهم عمرُ بأبي موسى الأشعري ، وجعله على أهل البصرة ، وجعل أبا سبرة بن أبي رَهْم قائدًا عامًّا على الجميع ، فاستولى عليها بعد حصارٍ دَامَ أكثر من شهر . أما الهرمزان ، فالتجأ إلى قلعة المدينة وتحصَّن بها ، لكنه سلَّم نفسه للمسلمين ، على أن يقرر مصيرَه عمرُ بن الخطاب بنفسه .

وحاصر النعمان « السوس » حتى جاء أَمْرُ عمر بالحركة إلى « نهاوند » .

في نهاوند :

وكان ما حدث للهرمزان حافزًا لأمراء الفرس أن يُوَحِّدوا كلمتهم ، فتكاتفوا وتجمعوا في « نهاوند » حتى بلغ عددهم مائة وخمسين ألفًا ، اجتمعوا بإمرة الفيرزان ، وقرر عمرُ أن يَسيرَ بنفسه لمعالجة هذا الخطر الداهم ، ولكن أصحاب الشورى نصحوه بأن يبقى في المدينة ، ويرسل قائدًا يعتمد عليه ؛

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢ / ٣١١ .

ليفرق شمل القوات الفارسية ، فقال : « واللهِ لأُوَلينَّ أمرهم رجلًا يكون أول الأَسِنَّةِ إذا لقيها غدًا .. هو النعمان بن مقرن » . فقالوا : هو لها[(١)].

وكتب عمر إلى النعمان : « بسم الله الرحمـٰن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقـرن : سـلامٌ عليك ، فإني أحْمَـدُ إليك الله الذي لا إلـٰه إلا هو ، أمَّا بعد : فإنه قد بلغني أن جموعًا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند ، فإذا أتاك كتابي هذا فَسِرْ بأمر الله ، وبعون الله ، وبنصر الله ، بمن معك من المسلمين ، ولا توطئهم وعْرًا فتؤذيهم ، ولا تمنعهم حقّهم فتكفرهم ، ولا تدخلهم غَيْضَةَ[(٢)] ، فإن رجلًا من المسلمين أحب إليَّ من مائة ألف دينار ، والسلام عليك »[(٣)].

وهبَّ النعمان بجيشه للقاء العدو ، وأرْسل أمامه طلائع من فرسانه ؛ لتكشف له الطريق ، فوجدوا أن العجم قد نثروا في الدروب المؤدية إلى « نهاوند » حَسَكَ الحديد ؛ ليعوقوا الفرسان والمشاة عن الوصول إليها . وأخبر الفرسانُ النعمانَ بما رأوا ، وطلبوا منه أن يمدهم برأيه ، فأمرهم بأن يقفوا في أماكنهم ، وأن يوقدوا النيران في الليل ليراهم العدو ، وعند ذلك يتظاهرون بالخوف منه ؛ ليغروه باللحاق بهم ، وإزالة ما زرعه من حسك الحديد ، وجازت الحيلة على الفرس ، فما إن رأوا طليعة جيش المسلمين تمضي منهزمة أمامهم ، حتى أرسلوا عمالهم فكنسوا الطرق من الحسك ، فكرَّ عليهم المسلمون ، واحتلُّوا تلك الدروب .

وتحصَّن المشركون بحصونهم وخنادقهم ومدائنهم في مائة وخمسين

(١) ابن الأثير ٣ / ٣ .
(٢) مغيض : ماء يجتمع فيه الشجر .
(٣) تاريخ الطبري ٣ / ٢٥٣ ، ٣ / ٢١٣ .

ألفًا ، وأمامهم ثلاثون ألفًا من المسلمين .

وقال طليحةُ الأسدي للنعمان : أرى أن تبعث خيلًا مؤدية فيحدقوا بهم ، ثم يرموهم لينشبوا القتال ويُحمّسوهم ، فإذا استحمشوا واختلطوا بهم وأرادوا الخروج ، أرزوا[١] إلينا استطرادًا[٢] ، فإنا لم نَسْتطردْ لهم في طول ما قاتلناهم ، وإنا إذا فعلنا ذلك ، ورأوا ذلك منا ؛ طمعوا في هزيمتنا ، ولم يشكوا فيها ، فخرجوا فجادُّونا ، وجاددناهم ؛ حتى يقضي الله فيهم وفينا ما يحبّ .

وقالوا للنعمان : « انتقلْ من منزلك هذا ، حتى يروا أنك هارب منهم فيخرجوا في طلبك »[٣].

ولقي هذا الرأْيُ القبول ، وفي حينها وكل النعمان تنفيذ دور الفرسان إلى القعقاع بن عمرو ، وأَنْشبَ القعقاعُ القتالَ ، وتحرَّش بهم ، ورماهم بعد احتجازٍ من العجم فأخرجهم ، فلما خرجوا واقتتلوا ، جعل يتراجع ويتراجع ويتراجع ، وكأنه انهزام .... ورمى المجوسُ المسلمين بالنبل ، والمسلمون يستترون بالحجف ، لا يتحركون ، حتى أكثروا فيهم الجراح ، وشكا بعضهم إلى بعض من ذلك ، ثم قالوا للنعمان : « ألا ترى ما نحن فيه ؟! ألا ترى ما لقي الناس ، فما تنتظر بهم ؟! ائذن للناس في قتالهم » ... فيجيبهم النعمان تلميذ سعْد : « رويدًا رويدًا » وأعادوا عليه القول وهو يجيبهم : « رويدًا رويدًا » .

قال المغيرة بن شعبة - وقد رأى كثرة جيوش العجم وما تفعل - :

---

(١) أي : لجئوا .

(٢) مبارزة على الخيل بالكرِّ والفرِّ .

(٣) الطبري ٤ / ١١٥ .

« لم أر كاليوم فشلًا ، إن عدونا يُتركون يتأهبون ولا يُعجلون !! أما والله لو أن هذا الأمر إليَّ ، لكنت قد أعجلتهم وعلمت ما أصنع ، ولو كنت بمنزلتك باكرتهم القتال » .

قال النعمان : « رويدًا ترى أمرك ، وقد كنتِ تلي الأمر فتحسن ، فلا يخذلنا الله ولا إياك ، ونحن نرجو في المكث مثل الذي ترجو في الحثِّ ، ربما باكرت القتال ثم لم يسوّد الله وجهك ، فالله عز وجل يشهدك أمثالها ، فلا يحزنك ولا يعيبك موقفك ، إنه والله ما منعني من أن أُنَاجِزَهُمْ إلا شيءٌ شهدته من رسول الله ﷺ ؛ إن رسول الله ﷺ كان إذا غزا فلم يقاتل أول النهار لم يعجلْ حتى تحضر الصلاةُ ، وتهب الأرواحُ ، ويطيب القتالُ ، فما منعني إلا ذلك »[١] .

نعم إنه المغيرة القائل لبندار قائد جيوش الفرس في نهاوند : « فوالله ما زلنا نتعرّف من ربنا منذ جاءنا رسوله الفتح والنصر حتى أتيناكم ، وإنَّا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبدًا حتى نغلبكم على ما في أيديكم أو نُقتل بأرضكم » . يقول المغيرة : « فقمت ، وقد والله أَرْعَبْتُ العِلْج جهدي » ... وإنه النعمان تلميذ سعد يفعل فعل سعد يوم أرماث ، ويوم أغواث ، ويوم عمواس بالقادسية .

لله دَرُّكَ وصبرك يا نعمان ! جيوش الفرس تأتي - كما يقول جُبير -: « لم أر والله مثل ذلك اليوم ، إنهم ليجيئون كأنهم جبال حديد ، قد تواثقوا أن لا يفروا من العرب ، وقد قرن بعضهم بعضًا ، كل سبعة في قران ، وألقوا حسك الحديد ، وقالوا : مَنْ فرَّ منا عقره حسك الحديد »[٢] .

---

(١) الطبري ٤ / ١١٥ .

(٢) الطبري ٤ / ١١٩ .

ووقف النعمان وقال لجيشه :

« قد علمتم ما أعزَّكم الله به من هذا الدين ، وما وعدكم من الظهور ، وقد أنجز لكم هوادي ما وعدكم وصدوره ، وإنما بقيت أعجازه وأكارعه ، والله مُنْجزٌ وَعْدَهُ ، ومتبع آخر ذلك أوله ، واذكروا ما مضى إذْ كنتم أذلة ، وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزّة ، فأنتم اليوم عباد الله حقًّا وأولياؤه . وقد علمتم انقطاعكم عن إخوانكم من أهل الكوفة ، والذي لهم في ظفركم وعزكم ، والذي عليهم في هزيمتكم وذُلّكم . وقد ترون ما أنتم بإزائه من عدوكم وما أخطرتم وما أخطروا لكم ؛ فأمّا ما أخطروا لكم فهذه الرثة وما ترون من هذا السَّواد ، وأمَّا ما أخطرتم لهم فدينكم وبيضتكم ، ولا سواء ما أخطرتم وما أخطروا ، فلا يكونُنَّ على دنياهم أحمى منكم على دينكم . واتقى اللهَ عبدٌ صَدَقَ اللهَ ، وأبلى نفسه فأحسن البلاء ، فإنكم بين خَيْرَينِ ، منتظرين إحدى الحُسْنَيَينِ ، من بين شهيدٍ حيٍّ مرزوقٍ ، أو فتح قريب ، وظفْرٍ يسيرٍ ، فكفى كل رجل ما يليه ، ولم يَكِلْ قرنه إلى أخيه ، فيجتمع عليه قرنه وقرن نفسه ، وذلك من الملاءمة ، وقد يقاتل الكلب عن صاحبه ، فكل رجل منكم مُسَلَّطٌ على ما يليه . فإذا قضيت أمري فاستعدوا فإني مكبرٌ ثلاثًا ، فإذا كَبَّرتُ التكبيرة الأُولى ؛ فشدَّ رجلٌ شسعه ، وأصلح من شأنه ، وليتهيأْ مَنْ لم يكن تهيّأ . فإذا كبرت الثانية ؛ فشدَّ رجلٌ إزاره ، وليشدَّ عليه سِلاحه ، وليتأهب للنهوض ، ويتهيأ لوجه حملته . فإذا كبرت الثالثة فإني حامل إن شاء الله فاحملوا معًا . اللهم إني أسألك أن تُقِرَّ عيني اليوم بفتحٍ يكون فيه عزّ الإسلام ، وذُلٌّ يُذَلُّ به الكفار ، ثم اقبضني إليك بعد ذلك على الشهادة ، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ، ونصر عبادك . أمّنوا يرحمكم الله »[1].

---

(١) تاريخ الطبري ٤ / ١١٩ .

فأمّن المسلمون وبكوا .

وحمل النعمان مع التكبيرة الثالثة ، وهو يحمل الراية وقد رآها المسلمون تنقضّ نحو الأعاجم انقضاض العقاب ، وكان النعمان مميَّزًا بقباء أبيض ، وقلنسوة بيضاء ... يقول جبير : « فوالله ما علمت من المسلمين أحدًا يومئذ يريد أن يرجع إلى أهله حتى يُقتل أو يظفر ، فحملنا حملة واحدة وثبتوا لنا ، فما كنا نسمع إلا وقع الحديد على الحديد حتى أصيب المسلمون بمصائب عظيمة ، فلما رأوا صَبْرَنَا وأنّا لا نبرح العرصة انهزموا ، فجْعل يقع الواحدُ فيقع عليه سبعةٌ ، بعضهم على بعض في قياد فيُقتلون جميعًا ، وجعلوا يعقرهم حَسَكُ الحديد الذي وضعوه خلفهم » .

واقتتلوا بالسيوف قتالًا شديدًا ، يصفه الرواة بقولهم : « لم يسمع السامعون بوقعة قط كانت أشدّ منها » واستمرّ القتال من انتصاف النهار حتى هبوط الظلام ، وكثر قتلى الفرس حتى طبق أرض المعركة دمًا يزلق فيه الناس والدواب ، فانزلق فيه من خيول المسلمين وأصيب فرسانهم ، وزلق فرس النعمان فلقي النعمان مصرعه . وفي رواية إبن إسحاق وجبير : أنه رُمي بنشابة فأصابت خاصرته فقتلته ، وكان أخوه نعيم بن مقرن قريبًا منه ، وأسرع نعيم - وفي رواية جبير : معقل بن مقرن - وسجّى النعمان بثوب ، ثم أتى حُذيفةَ بن اليمان في مَيْمَنَتِهِ فدفع إليه الراية باعتباره خليفة النعمان . وكتموا مصاب النعمان عن الجيش لكيلا يهن الناس .

واستمرَّ القتالُ حتى إذا أظلم الليل ، انكشف العجم وتراجعوا ، والمسلمون ملتحمون بهم ملتبسون فيهم لا يرفهون عنهم ، فاختلط عليهم طريق التراجع وعمي عليهم قصدهم فخرجوا عنه ، واتجهوا نحو اللَّهب[1]

(١) جرف من خندقٍ أَوْ وادٍ عميق .

الذي كانوا دونه « بأسبيذهان » فوقعوا فيه ، فكان لا يهوي منهم أحدٌ إلا صرخ بالفارسية : « وايَهْ خُرْد » ، وبذلك سُمِّي المكان ، فمات فيه منهم مائة ألفٍ أو يزيدون ، وفي رواية : أنه قُتل في اللَّهب ثمانون ألفًا ، وفي المعركة ثلاثون ألفًا ، مقترنون في السَّلاسل سوى من قُتِل في المطاردة[1] .

واجتمع المسلمون بعد المعركة فتساءلوا : « أين أميرنا ؟ » ، قال معقل بن مقرن المزني : « هذا أميركم ، قد أقرّ اللهُ عينه بالفتح ، وختم له بالشهادة » .

وفي رواية عن معقل بن يَسَار قال : « فأتيت النعمان وبه رَمَقٌ ، فغسلت وجهه من إدَاوَةِ ماءٍ كانت معي . فقال : من أنت ؟ قلت : معقل ، قال : ما صنع المسلمون ؟ قلت : أبشر بفتح الله ونصره . قال : الحمد لله ، اكتبوا إلى عمر . ولم يفلت إلا الشريد ، فكان منهم فيرزان ، ولما أُتي عمر بغنائم « نهاوند » ، فقال : ما وراءك يا سائب ؟ فقلت : خيرًا يا أمير المؤمنين ، فتح الله عليك بأعظم الفتح ، واستشهد النعمان بن مقرن رحمه الله ، فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم بكى ، فنشج حتى لأنظر إلى فروع منكبيه من فوق كتده ... ونشج كأنما أصيب بأعزِّ إنسانٍ لديه ... وكاد الحزن على النعمان يُنْسِي عمر فرحة الفتح بهذا النصر الكبير الذي سُمِّيَ في التاريخ بفتح الفتوح . فقال : ومن ويحك ؟! فقال : فلان وفلان ، حتى عددت له ناسًا كثيرًا ، يقول السائب : فلمَّا رأيت ما لقي ، قلت : والله يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده من رجلٍ يُعرف وجهه ، فقال عمر وهو يبكي : المستضعفون من المسلمين [لا يضرّهم ألا يعرفهم عمر] لكن الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم ، وما يصنعون بمعرفة عمر بن

---

(١) تاريخ الطبري ٤ / ١٣٦ .

أم عمر[١] ؟

الجرّاحُ بن عبد الله الحكمي ، مقدم الجيوش ، وفارس الكتائب :

« أبو عقبة : وَلِيَ خُرَاسَانَ وسِجِسْتانَ لعمر بن عبد العزيز ، وكان بطلًا شجاعًا ، مهيبًا طُوالًا ، عابدًا قارئًا ، كبير القدر .

قال الوليد بن مسلم : كان إذا مرَّ في جامع دمشق ، يُميل رأسه عن القناديل من طوله . وكان رحمه الله على خراسان كلها ؛ حربها وصلاتها ومالها .

قال ابن جابر : وفي سنة اثنتي عشرة ومائة غزا الجراح بلاد الترك ورجع فأدركته الترك ، فقُتل هو وأصحابه .

وقال سُليم بن عامر : دخلتُ على الجرَّاح ، فرفع يديه ، فرفع الأمراء أيديهم ، فمكث طويلًا ، ثم قال لي : يا أبا يحيى ، هل تدري ما كنا فيه ؟ قلت : لا ، وجدتُّكم في رغبة ، فرفعت يدي معكم ، قال : سألنا الله الشهادة . فوالله ما بقي منهم أحد في تلك الغزاة إلا استشهِد .

قال خليفة : زحف الجراح من بَرْذعة[٢] سنة اثنتي عشرة إلى ابن خاقان ، فاقتتلوا قتالًا شديدًا ، فقُتل الجراح في رمضان[٣] .

قال الواقدي : كان البلاء بمقتل الجرّاح على المسلمين عظيمًا ، بَكَوْا عليه في كلِّ جندٍ »[٤] .

---

(١) الكامل لابن الأثير ٣ / ٦ ، والخراج صـ ٤١ .

(٢) قصبة أذربيجان .

(٣) تاريخ خليفة صـ ٣٤٢ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٥ / ١٨٩ - ١٩٠ .

الأَميرُ الكبيرُ ، رأس الشجعان والأبطال ، أبو محمد عبد الله البطّال :

كان شاليش[١] الأمير مسلمة بن عبد الملك ، وكان مقرّه بأنطاكية ، أوطأ الروم خوفًا وذلًّا .

ولما عقد عبد الملك بن مروان لابنه مسلمة على غزو بلاد الروم ، وَلَّى على رؤساء أهل الجزيرة والشَّام البطال ، وقال لابنه : سيِّره على طلائعك ، وآمُرْه فليعس[٢] ، فإنه أمين ، أمير ثقة مقدم شجاع ، فقدّم مسلمةُ البطالَ على عشرة آلافٍ ، يكونون بين يديه ؛ ترسًا من الرُّوم أن يصلوا إلى جيش المسلمين .

قال أبو مروان - شيخٌ من أهل أنطاكية - قال : كنت أغازي مع البطال ، وقد أوطأ الروم ذلًّا . قال البطال : فسألني بعض ولاة بني أمية عن أعجب ما كان من أمري في مغازيّ فيهم . فقلت له : خرجت في سريَّةٍ ليلًا ، فدفعنا إلى قرية ، فقلت لأصحابي : ارخوا لجم خيلكم ، ولا تحركوا أحدًا بقتلٍ ، ولا بشيءٍ حتى تستمكنوا من القرية ومن سكانها ، ففعلوا وافترقوا في أزقتها ، فدفعت في أناس من أصحابي إلى بيتٍ يزهر سِرَاجُهُ ، وإذا امرأة تُسَكِّت ابنها من بكائه ، وهي تقول له : لتسكتن أوْ لأدفعنك إلى البطال يذهب بك ، وانتشلته من سريره ، وقالت : خذه يا بطّال ، قال : فأخذته[٣] .

إن النساء في عصرنا ، وفي كل عصرٍ يسكتن أطفالهن بالشيء المرعب ، أو عفاريت الجن ... فلك الله يا بطال ، من جنٍّ أنت أم إنس ؟! طارت

---

(١) مقدم الجيش .

(٢) يطوف بالليل .

(٣) سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، والبداية والنهاية ٩ / ٣٤٥ .

بذكرك الرّكبان ، وتُسَكَّت باسمك نساءُ العدوِّ فزعًا الصبيان .

عن أبي مروان الأنطاكي عن البطّال قال : انفردت مرةً ليس معي أحدٌ من الجند ، وقد صمدت خلفي مِخْلاةً فيها شعيرٌ ، ومعي منديلٌ فيه خبزٌ وشواءٌ ، فَبَيْنَا أنا أسير لعلّي ألقى أحدًا منفردًا ، أو أطّلع على خبرٍ ، إذا أنا بِبُسْتَانٍ فيه بُقولٌ حسنة ، فنزلت وأكلت من ذلك البَقْلِ بالخبز والشواء مع البَقْل ، فأخذني إسْهَالٌ عظيم قمت منه مرارًا ، فَخِفْتُ أن أضعف من كثرة الإسهال ، فركبت فرسي والإسْهَالُ مستمرٌّ على حاله ، وجعلت أخشى إنْ أنا نزلت عن فرسي أن أضعف عن الركوب ، وأفرط بي الإسهال في السير حتى خشيت أن أسقط من الضعف ، فأخذت بعنان الفرس ونمت على وجهي ، لا أدري أين يسير الفرس بي ، فلم أشعر إلا بِقَرْع نعاله على بلاطٍ فأرفع رأسي ، فإذا دَيْرٌ ، وإذا قد خرج منه نِسْوَةٌ بصحبةِ امرأةٍ حسناء جميلة جدا ، فجعلتْ تقول - بلسانها - : أنزلنه . فأَنْزَلْنني ، فَغَسَلْن عنِّي ثيابي وسَرْجي وَفَرَسي ، ووضعنني على سريرٍ ، وعملن لي طعامًا وشرابًا ، فمكثْتُ يومًا وليلة مسْتويًا ، ثم أقمت بقية ثلاثة أيام حتى ترد إلَيّ حالي ، فبينا أنا كذلك ، إذ أقبل البطريق[1] ، وهو يريد أن يتزوجها ، فأمرت بفرسي ، فحوِّل وعلِّق على الباب الذي أنا فيه ، وإذا هو بطريق كبير فيهم ، وهو إنما جاء لِخطْبَتِهَا ، فأخبره من كان هناك بأن هذا البيت فيه رجلٌ ، وله فرس ، فهمَّ بالهجوم عليَّ ، فمنعَتْهُ المرأة من ذلك ، وأرسلتْ تقولُ له : إنْ فُتِحَ عليه الباب لم أَقْضِ حاجته ، فثناه ذلك عن الهجوم عليّ ، وأقام البطريق إلى آخر النهار في ضيافتهم ، ثم ركب فرسه ، وركب معه أصحابه وانطلق ، قال البطال : فنهضتُ في أثرهم ،

(١) البطريق في لغة الروم : الأمير الكبير في الجيش .

فهمّتْ أن تمنعني خوفًا عليَّ منهم ، فلم أقبلْ ، وسُقتُ حتى لحقتهم ، فحملتُ عليه ، فانفرج عنه أصحابُه ، وأَرادَ الفرارَ،فألحقُهُ فأضرب عنقه ، واسْتلبْتُهُ ، وأخذت رأسه مسمطًا على فرسي ورجعت إلى الدَّيْر ، فخرجْنَ إليّ ووقفن بين يديّ ، فقلت : ارْكَبْنَ ، فركبنَ ما هنالك من الدَّوابِّ ، وسُقت بهنَّ حتى أتيتُ أمير الجيش فدفعتهن إليه ، فنفلني ما شئتُ منهنَّ ، فأخذت تلك المرأة الحسناء بعينها فهي أُمُّ أولادي ، وكان أبوها بطريقًا كبيرًا فيهم – يعني : تلك المرأة – وكان البطال بعد ذلك يكاتب أباها ويُهَادِيهِ .

وذكر أن عبد الملك بن مروان لما ولّاهُ المصِّيصَة بعث البطَّالُ سريةً إلى أرض الروم ، فغاب عنه خبرُها ، فلم يَدْرِ ما صنعوا ، فركب بنفسه وحده على فرس له ، وسار حتى وصل « عَمُّورِيَّة » فطرق بَابَهَا ليلًا ، فقال له البواب : مَنْ هذا ؟ قال البطال : فقلت : أنا سيّاف الملك ورسوله إلى البطريق ، فأخذ لي طريقًا إليه ، فلمَّا دخلت عليه إذا هو جالسٌ على سرير ، فجلستُ معه على السرير إلى جانبه ، ثم قلت له : إني قد جئتك في رسالة فمُرْ هؤلاء فلينصرفوا ، فأمر مَنْ عنده فذهبوا ، قال : ثم قام فأغلق باب الكنيسة علي وعليه ، ثم جاء فجلس مكانه ، فاخترطت سيفي ، وضربت به رأسه صَفْحًا ، وقلت له : أنا البطال ، فاصْدُقْني عن السريَّة التي أرسلتها إلى بلادك وإلا ضربتُ عنقك الساعة ، فأَخْبِرْني ما خبرها ؟ فقال : هُمْ في بلادي ينتهبون ما تهيَّأ لهم وهذا كتابٌ قد جاءني يُخْبِرُ أنهم في وادي كذا وكذا ، والله لقد صدقتك . فقلت : هات الأمان.فأعْطاني الأمان ، فقلت : ائتني بطعام ، فأمر أصحابه فجاءوا بطعامٍ فوُضِعَ لي ، فأكلتُ فقمتُ لأنصرف ، فقال لأصحابه : اخرجوا بين يديْ رسول الملك ، فانطلقوا يتعادون بين يديْ ، وانطلقت إلى ذلك الوادي الذي ذكر ، فإذا

أصحابي هنالك ، فأخذتهم ورجعت إلى « المصيصة » . فهذا أغرب ما جرى .

قال الوليد : وأخبرني بعض شيوخنا أنه رأى البطّال وهو قافلٌ من حجَّته ، وكان قد شغل بالجهاد عن الحج ، وكان يسأل الله دائمًا الحج ثم الشهادة ، فَلَمْ يتمكن من حجة الإسلام إلَّا في السَّنةِ التي استشهد فيها رحمه الله .

وكان سبب شهادته أن ليون - ملك الروم - خرج من القُسْطَنْطِينيَّةِ في مائة ألف فارس ، فبعث البطريق - الذي البطال متزوج بابنته التي ذكرنا أمرها - إلى البطّالِ يخبره بذلك ، فأخبر البطالُ أميرَ عساكر المسلمين بذلك - وكان الأمير مالك بن شبيب - وقال له : المصلحة تقتضي أن نتحصن في مدينة « حران » ، فنكون بها ، حتى يقدم علينا سليمان بن هشام في الجيوش الإسلامية ، فأبى عليه ذلك ، ودهمهم الجيش ، فاقتتلوا قتالًا شديدًا ، والأبطال تحوم بين يدي البطال ، ولا يتجاسر أحدٌ أن يُنوِّه باسمه خوفًا عليه من الروم ، فاتَّفق أَنْ ناداه بعضهم وذكر اسمه غلطًا منه ؛ فلمّا سمع ذلك فرسان الروم ، حملوا عليه حملة واحدة فاقتلعوه من سرجه برماحهم ، فألقوه إلى الأرض ، ورأى الناس يقتَلون ويؤسَرون ، وقُتِل الأمير الكبير مالك بن شبيب ، وانكسر المسلمون وانطلقوا إلى تلك المدينة الخراب فتحصَّنوا فيها ، وأصبح ليون ، فوقف على مكان المعركة ، فإذا البطَّال بآخِرِ رَمَقٍ ، فقال له ليون : ما هذا يا أبا يحيى ؟ فقال : هكذا تُقتَل الأبطال ، فاستدعى ليون الأطباء ليداووه ، فإذا جِرَاحُهُ قد وصلت إلى مقاتلِهِ ، فقال له ليون : هَلْ من حاجة يا أبا يحيى ؟ قال : نعم . فأمُرْ مَنْ معك من المسلمين أن يَلُوا غسلي والصلاة عليّ ودفني ، ففعل الملك ذلك وأطلق لأجل ذلك أولئك الأسارى ، وانطلق ليون إلى جيش المسلمين الذين

تحصَّنوا فحاصرهم ، فبينما هم في تلك الشدة والحصار إذْ جاءتهم البُرد بقدوم سليمان بن هشام في الجيوش الإسلامية ، ففرَّ ليون في جيشه الخبيث هاربًا راجعًا إلى بلاده ، قبّحه الله ، فدخل القسطنطينية وتحصّن بها .

قال ابن كثير : « وأما ما يذكره العامة عن البطال من السيرة المنسوبة إلى دلهمة والبطال والأمير عبد الوهاب والقاضي عقبة فكذب وافتراء ، ووضع باردٌ وجهل ، وتخبط فاحش ، لا يروج ذلك إلّا على غبيٍّ أو جاهل رديءٍ »[1] .

قال الذهبي في « السيرة / ٢٦٩ » : « كُذب عليه أشياء مستحيلة في سيرته الموضوعة » .

فارس المغرب ابن فتحون :

قال الطرطوشي عن ابن فتحون : « كان خال والدتي ، وكان أشجع العرب والعجم ، وكان المستعين بن المقتدر بالله يرى ذلك له ويعظمه ، وكان يُجري له في كل يوم خمسمائة دينار ، وكانت النصرانية بأسرها قد عرفت مكانه وهابت لقاءه ، فيُحكى أن الرومي كان إذا سقى فرسه فلم يشرب ، يقول له : اشرب أَوَ ابن فتحون رأيت في الماء »[2] .

حتى الخيول تهابهم .... وتظن أن في الماء خيالهم ، وسرى الخوف من بطلنا في دماء فرسان العدو وأوصالهم .... والله لا تموت الأمة يا ابن فتحون إلا بموت مثلك ... فللّه دَرُّ أم درت عليك . وإن شئت أخي أن تسمع الأعاجيب من سيرة بطلنا فاسمع الآتي :

(١) البداية والنهاية ٩ / ٣٤٥ - ٣٤٧ .

(٢) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق لابن النحاس ٢ / ١٠٠٥ طبع در البشائر الإسلامية .

« قال الطرطوشي : حسده نظراؤه على كثير العطاء ومنزلته من السلطان ، وما زالوا حتى غيّروه عليه ، فغزا المستعينُ بلادَ الرُّومِ ، فتواقف المسلمون والمشركون صفوفًا فبرز عِلْجٌ وسط الميدان ينادي : هل من مبارزٍ ؟ فخرج إليه فارسٌ،فتجاولا ساعة فقتله الرومي ، فصاح الكفار سرورًا ، وانكسرتْ نفوس المسلمين ، ثم برز له آخر فقتله ، وآخر فقتله ، فجعل الروميُّ يكرّ بين الصفين ويقول : هَلْ من مبارزٍ واحد لاثنين ، واحد لثلاثة ، ثلاثة من المسلمين لواحد من الفرنج ، فضجّ المسلمون واضطربوا ، ولم يتجرأ أحدٌ من المسلمين أن يخرج إليه ، وبقي النَّاسُ في حيرةٍ ، فقيل للمستعين : ما لها إلا أبو الوليد ابن فتحون ، فدعاه وقال له : ما ترى ما يصنع هذا العلج ؟ فقال : هو بعيني . قال : فما الحيلة فيه ؟ فقال أبو الوليد : ماذا تريد ؟ قال : أن يُكفى المسلمون شره . قال : الساعة يكون ذلك إن شاء الله ، فلبث قميص كتان واسعَ الأكمام ، وركب فرسًا بلا سلاحٍ ، وأخذ بيده سوطًا طويل الطرف ، وفي طرفه عقدة معقودة ، ثم بَرَزَ إليه ، فعجب النصراني منه ، وحمل كل منهما على صاحبه ، فلم تخطئ طعنة النصراني سرج ابن فتحون ، فتعلَّق ابن فتحون برقبة فرسه ، ونزل الأَرْض ، لا شيء منه في السرج ، ثم استوى على سرجه وحمل عليه ، فضربه بالسوط على عنقه ، فالتوى على عنقه ، وأخذه بيده من السرج ، فاقتلعه وجاء به نحو المستعين ، فألقاه بين يديه ، فعلم المستعين أنه أخطأ في صنعه معه ، فأكرمه وردَّه إلى منزلته ، وزاد في عطائه »[1].

لله دَرُّكَ يا ابن فتحون .. تنزل في الميدان إلى أعظم الفرسان ، الذي جندل قبلك الأبطال ، وأشاع الرعب في صفوف المسلمين .. فلا ترضَى

---

(١) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ٢ / ١٠٠٥ - ١٠٠٦ .

بأن تنزل إليه بسلاحٍ أو بسيفٍ ، وإنما بسوطٍ وكأنه من العبيد لا يُربّى إلا به ، وتأتي به تَجُرّهُ والسوط في عنقه غلٌّ ... فبوركت يمينك ... وبورك سوطك .

ابن الجزري :

« في أثناء حصار الرشيد لحصن « هرقلة » بأرض الروم ، خرج رجلٌ من أتم الرجال في أكمل السلاح ، على أجود الخيل ، ونادى بلسانٍ فصيح : يا معشر العرب ؛ ليخرج إليّ من فرسانكم عشرون مبارزة ، فلم يخرج إليه أحدٌ لنوم الرشيد ، وجال الرومي بين الصَّفَّيْنِ وهو ينادي بذلك ، فضجَّ المسلمون واضطربوا ، وعاد إلى الحصن مسرورًا يضحك هو وأصحابه ، وكثر ضَجِيجُهُم ، فلمَّا استيقظ الرشيدُ أُعْلِمَ بذلك ، فَتَألَّم وقلق وقام وقعد ، وقال : هلَّا أَيْقَظتموني ؟! وما بال أحدكم لم يخرج إليه ؟ فقال له بعض الحاضرين : إنَّ غرَّته ستحمله على الخروج في غد ، فما نام الرشيد تلك الليلة ، فلمَّا أصبح خرج الرومي ، وقال ما قاله بالأمس ، فقال الرشيد : ليخرج إليه عشرون فارسًا ، فقال ابن مخلد : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما يخرج إليه غير واحد ، فإن ظفر به فالحمد لله ، وإن قتله كان شهيدًا ، ولا تسمع الروم أن فارسًا روميًّا خرج إليه عشرون من المسلمين ، فقال : صدقت ، وكان في عسكر المسلمين رجلٌ يعرف بابن الجزري ، معروفٌ بالنجدة موصوفٌ بالشجاعة ، فقال : أنا أخرج إليه وأستعين بالله عليه ، فأمر له بفرسٍ وسلاحٍ ، فقال : لا أريد شيئًا ، فانحدر إليه بعد أن ودَّعه الرشيد ودعا له ، ونزل معه عشرون فارسًا ليودِّعوه . فلما صاروا في بطن الوادي ، قال الرومي : غدرتم يا مسلمين ، طلبت عشرين ، نزل واحدٌ وعشرون ، فقالوا : ما يبارزك غير واحد ، ونحن مودعوه وراجعون . فقال العلج : سألتك بالله أنت ابن الجزري ؟ قال : نعم . قال : كفؤ كريمٌ . فرجع

المسلمون ، وتطاعنا حتى كَلَّا ، واشتد الحرُّ عليهما ، والمسلمون والمشركون ينظرون إليهما ... فولَّى ابنُ الجزري منهزمًا ، فعطعطَ[١] المشركون ، وضجَّ المسلمون ، والعلج في أثره ، ثم عطف ابن الجزري على العلج ، فاختطفه من سرجه ، وما أوصله إلى الأرض إلَّا بعد مفارقة رأسه لجسده ، فكبَّر المسلمون تكبيرةً واحدةً كادت الجبال تتدكدك منها ، وانكسر المشركون ، وجدَّ المسلمون في القتال ، فَفُتِحَ الحصْنُ عنوةً ، وقتلوا وأسروا ، ولما صعد ابن الجزري إلى الرشيد أجلسه ، وأمر بِصَبِّ الأموال عليه حتى عجز عن النهوض ، وأفرِغت عليه الخلع حتى لم يُطِقْ حملها ، وصار يسأل الإعفاء »[٢].

شيخ الإسلام ، بقي بن مخلد :

قال الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٣ / ٢٩٦) :

« من مناقبه أنه كان من كبار المجاهدين في سبيل الله ، يقال : شهد سبعين غزوة » .

المنبجي : الإمام المحدِّث ، أبو بكر عمر بن سعيد :

« حدث عنه الطبراني ، وأبو حاتم بن حبان .

قال ابن حبان : كان قد صام النهار ، وقام الليل ثمانين سنة ، غازيًا مرابطًا ، رحمة الله عليه »[٣].

* * *

---

(١) العطعطة : حكاية الصوت ، يقال : عطعط القوم : إذا قالوا : عيط عيط .

(٢) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ٢ / ١٠٠٠ - ١٠٠٢ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٤ / ٢٩٠ .

الإمام الزاهد شيخ خراسان ، أبو علي شقيق البَلْخي :

كان شقيق مع تألهه وزهده رأْسًا من رؤوس الغزاة .

قال حاتم الأصم : كنا مع شقيق البلخي ونحن مصافوّ الترك ، في يوم لا أرى فيه إلا رؤوسًا تندر[1] ، وسيوفًا تقطع ، ورماحًا تقصر ، فقال لي شقيق - ونحن بين الصَّفَيْنِ - : كيف ترى نفسك يا حاتم ؟ تراه مثله في الليلة التي زُفَّتْ إليك امرأتك ؟! قلت : لا والله ! قال : لكني والله أرى نفسي في هذا اليوم مثله في الليلة التي زفَّت فيها امرأتي ، قال : ثم نام بين الصفين ودَرَقَته تحت رأسه ، حتى سمعت غطيطه ، قال حاتم : ورأيت رجلًا من أصحابنا في ذلك اليوم يبكي ، فقلت : ما لك ؟ قال : قُتل أخي . قلت : حَظٌّ أخيك صار إلى الله وإلى رضوانه . فقال لي : اسْكُتْ ، ما أبكي أسفًا عليه ولا على قتله ، ولكنِّي أبكي أسفًا أن أكون دريت كيف كان صبره لله عند وقوع السَّيف به . قال حاتم : فأخذني في ذلك اليوم تُركِّي فأضْجَعَنِي للذَّبح ، فلم يكن قلبي به مشغولًا ، كان قلبي بالله مشغولًا ، أنظر ماذا يأذن الله له فيَّ ، فبينا هو يطلب السكين من جفنة إذْ جاءه سهمٌ غابرٌ فذبحه فألقاه عني[2] .

لله دَرُّكَ أبا علي ... عرفت فالزم ... هذا طريقٌ سار من قبلك عليه أبو سليمان خالد بن الوليد ... بل قال قولًا أَحْلَى من قولك .. وإن أمةً تعي مثل قولك ، وتفرح بالجهاد والشهادة مثل فرحك لا تموت ، إنما تموت إذا فرحت بالدِّرْهَمِ والدِّينَارِ والقَطِيفَةِ والخَمِيصَةِ ، وتبايعتْ بالعِينَةِ،وتبعتْ أَذْنَابَ البَقَرِ .

---

(١) تسقط .

(٢) حلية الأولياء ٨ / ٦٤ .

فارس الإسلام ، الإمام العابد المجاهد ، أبو إسحاق أحمد بن إسحاق السُّرْمَاري :

شيخ البخاري ... وبشجاعته يُضْرَبُ المثل .

قال إبراهيم بن عفّان البزّار : كنت عند أبي عبد الله البخاري ، فجرى ذكر أبي إسحاق السُّرْمَاري ، فقال : ما نعلم في الإسلام مثله ، فخرجْتُ ، فإذا أحيد - رئيس المطوّعة - فأخبرته ، فغضب ودخل على البخاري وسأله ، فقال : ما كذا قلتُ ، بل ما بلغنا أنه كان في الإسلام ولا الجاهلية مثله .

قال إبراهيم بن شماس : كنت أكاتب أحمد بن إسحاق السرماري فكتب إليَّ : إذا أردت الخروج إلى بلاد الغُزّيَّة ، في شراء الأسرى فاكتب إليَّ ، فكتبت إليه ، وقدم سمرقند ، فخرجنا ، فلما علم جَعْبَوَيْه استقبلنا في عِدَّةٍ من جيوشه ، فأقمنا عنده ، فعرض يومًا جيشه ، فمرَّ رجلٌ فعظَّمه وخلع عليه ، فسألني عنه السرماري ، فقلت : هذا رجلٌ مبارزٌ ، يُعَدُّ بألف فارسٍ . قال : أنا أبارزه . فسكتُّ . فقال جعبويه : ما يقول هذا ؟ قلت : يقول كذا وكذا . قال : لعلَّه سكران لا يشعر ، ولكن غدًا نركب . فلما كان الغد ركبوا ، فركب السرماري معه عمودٌ في كُمِّهِ ، فقام بإزاء المبارز فقصده ، فهرب أحمد حتى باعده من الجيش ، ثم كرَّ وضربه بالعمود فقتله ، وتبع إبراهيم بن شماس لأنه كان سبقه ، فلحقه ، وعلم جَعْبَوَيْه فجهّز في طلبه خمسين فارسًا نقاوةً ، فأدركوه ، فثبت تحت تَلٍّ مختفيًا ، حتى مرُّوا كلُّهم واحدًا بعد واحدٍ ، وجعل يضرب بعموده من ورائهم إلى أن قتل تسعةً وأربعين ، وأمسك واحدًا قطع أنفه وأذنيْه ، وأطلقه ليخبر ، ثم بعد عامين تُوفِّي أحمد ، وذهب ابن شماس في الفداء ، فقال له جعبويْه : مَن ذاك الذي قتل فرساننا ؟ قال : ذاك أحمد السرماري ، قال : فلِم لم تحمله معك ؟ قلت : تُوفي . فصك في وجهي ، وقال : لو أعلمتني أنه هو ؛ لكنت أعطيه

خمسمائة برذون ، وعشرة آلاف شاة .

قال محمد المُطَّوِّعي : كان عمود المطوعي السرماري وزنه ثمانية عشر مَنًّا[(١)] ، فلما شاخ جعله اثني عشر مَنًّا ، وكان به يُقاتل ، قال عُبيد الله بن واصل : سمعتُ أحمد السرماري يقول ، وأخرج سيفه ، فقال : أعلم يقينًا أنِّي قتلت به ألف تركيٍّ ، وإن عشتُ قتلت به ألفًا أخرى ، ولولا خوفي أن يكون بدعةً لأمرت أن يدفن معي[(٢)] .

السُّرْمَارِي من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ منه .. لقد قتل جُلَيْبِيبُ سَبْعَةً ، فقال رسول الله ﷺ : « قتل سبعة ثم قتلوه ، هذا مني وأنا منه ، هذا مني وأنا منه » فكيف لو رأى رسولُنا ﷺ قَاتِلَ الألِف ... إنَّ أيامنا وواقعنا المخزي يحتاج لِشسْعِ نَعْل السرماري .

وَشِسْعُ النَّعْلِ مِنْهُ يا لِئَام ... يَفُوقُ الْهَامَ مِنْكُمْ والجَبِينَا

قال محمود بن سَهْلٍ الكاتب : كانوا في بعض الحروب يحاصرون مكانًا ، ورئيس العدوِّ قاعد على صُفَّة[(٣)] ، فرمى السرماري سَهْمًا فغرزه في الصفة ، فأومأ الرئيس لينزعه ، فرماه بسهمٍ آخر خَاطَ يده ، فتطاول الكافر لِيَنْزَعَهُ من يده ، فرماه بسهمٍ ثالث في نَحْرِهِ ، فانهزم العدوُّ وكان الفتح .

قال الذهبي : « وأخبار هذا الغازي تَسُرُّ قلب المسلم » .

قال الحافظ أبو القاسم الدمشقي : كان مع فرط شجاعته من العلماء

---

(١) المَنّ : زنة رطلين .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣ / ٣٨ - ٣٩ ، وتهذيب التهذيب ١ / ١٤ .

(٣) الصفّة : الظلة والبهو الواسع العالي السقف .

العاملين العُبَّاد .

فأين هذا ممن يُسمون أنفسهم - من قرَّاء السُّوءِ وعلمائه - : بالقرّاء إنهم الخرّاء .. أكلوا كثيرًا ، وذهبوا إلى الخلاء كثيرًا .. وناموا كثيرًا .. بِئْسَ حملة القرآن والعلم هم .

« قال أحمد بن إسحاق : ينبغي لقائد الغزاة أن يكون فيه عَشْرُ خِصَالٍ :
أن يكون في قلب الأسد لا يَجْبُن .
وفي كِبْرِ النّمر لا يتواضع .
وفي شجاعة الدُّبِّ يقتل بجوارحه كلها .
وفي حملة الخنزير لا يولِّي دبره .
وفي غارة الذئب إذا آيس من وجه أَغَارَ من وجه .
وفي حمل السلاح كالنَّمْلة تحمل أكثر من وزنها .
وفي الثبات كالصَخْر .
وفي الصبْرِ كالحِمَارِ .
وفي الوقاحة كالكلب ، لو دخل صيده النَّار لدخل خلفه .
وفي الْتماس الفرْصة كالدِّيك »[١].

وكلها كانت في السرماري .. فإن لم تكن فيه ، ففي من ؟!

الإمام الحافظ ، أبو أحمد محمد بن علي بن محمد الكرجي الغازي المجاهد المعروف بالقصّاب :

قال الذهبي في السير (١٦ / ٢١٣) : « وَعُرِفَ بالقصَّاب؛ لكثرة ما قتل في مغازيه » .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣ / ٣٧ - ٣٨ .

الأمير عبد الوهاب بن بخت :

« قتِل شهيدًا مع البطّال .

قال مالك : كان كثير الحجِّ والعمرة والغزو حتى استُشْهِدَ ، ولم يكن أحق بما في رحله من رفقائه .

لقي العدوَّ ففرّ بعض المسلمين ، فجعل ينادي ويركض فرسه نحو العدو أن : هلمّوا إلى الجنة ، وَيْحَكُمْ ! أفرارًا من الجنة ؟! أتفرّون من الجنة ؟! إلى أين ويحكم ؟ لا مقام لكم في الدنيا ولا بقاء !! ثم قاتل حتى قُتل »[1] .

محمد بن عبد الله بن حوذان :

قُتِلَ هذا البطل المغوار في سنة اثنتي عشرة ومائة ، في وقعة الجنيد مع التُرْكِ ورئيسهم خاقان بالشعب .

يقول ابن جرير الطبري : « قاتل يومئذ محمد بن عبد الله بن حوذان وهو على فرسٍ أشقر ، عليه تجفاف مذهَّب ، فحمل سبع مرات يقتل في كلّ حملة رجلًا ، ثم رجع إلى موقفه ، فهابه من كان في ناحيته ، فناداه ترجمان للعدو : يقول لك الملك : لا تقبل وتحوّل إلينا ، فنرفض صَنَمَنَا الذي نعبده ونعبدك ، فقال محمد : أنا أقاتلكم لتتركوا عبادة الأصنام وتعبدوا الله وحده . فقاتل واستشهد »[2] .

لله دَرُّه ! كيف كان قتاله حتى يقولوا له من إعجابهم وذهولهم مقالتهم هذه الشنيعة له .

وفي هذه الموقعة قُتِل :

---

(١) البداية والنهاية ٩ / ٣١٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ١٣٩ ، ١٤١ .

النضر بن راشد العبدي :

وكان دخل على امرأته والناس يقتتلون ، فقال لها : كيف أنت إذا أُتيت بأبي ضمرة في لبد مُضَرَّجًا بالدماء ؟ فشقّت جيبها ودعتْ بالويل ، فقال : حسبك ، لو أعولت عليّ كل أنثى لعصيتها شوقًا إلى الحور العين ؛ ورجع فقاتل حتى استشهد ، رحمه الله[١] .

لكنّ الذي أكرمهم بالشهادة يعرفهم :

نعم .. كم في الإسلام من مَغَاوِيرَ وأسْدٍ لا نعرفهم .. وما ضرهم أن لا نعرفهم .. ولكنّ الذي أكرمهم بالشهادة يعرفهم .

عن عبد الله بن قيس ، أبي أميَّة الغِفاري قال : كنا في غزاةٍ لنا . فحضر عَدُوّهُم فَصِيحَ في الناس ، فهم يثوبون إلى مصافّهم،إذا رجل أمامي ، رأسُ فَرسي عند عَجُز فَرسِه ، وهو يُخاطب نفسه ويقول : أيْ نفس ، ألم أشهد مشهدَ كذا وكذا ؟! فقلتِ لي : أهلك وعيالك ، فأطعتُك ورجعتُ ؟! ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت : أَهلُكَ وعيالُكَ فأطعتك ورجعت ؟! والله لأعرضنَّكِ اليوم على الله ، أخذَكِ أو تَركك . فقلتُ : لأرمُقنَّه اليوم . فرمقته فحمل الناسُ على عدوّهم ، فكان في أوائلهم . ثم إن العدوّ حمل على الناس فانكشفوا فكان في حُماتهم ، ثم إن الناس حملوا فكان في أوائلهم ، ثم حمل العدوّ وانكشف الناس فكان في حُماتهم . قال : فوالله ما زال ذلك دأْبَه حَتَّى رأيته صريعًا . فعدَدْتُ به وبدابته ستّين ، أو أكثر من ستّين طَعنةً[٢] .

* * *

(١) تاريخ الطبري ٤ / ١٤١ .

(٢) صفة الصفوة ٤ / ٤٢١ .

حسن أولوبادلي ، أوّل مسلم وطئ أرض القسطنطينية :

« في حصار السلطان محمد الفاتح للقسطنطينية ، في محاولة فتحها ، تكلم الجنود عن أسوار القسطنطينية التي أُحْكِمَ تحصينها ، والزيت المغلي الذي يصبونه على المسلمين فيهلكهم ، وإذا بصوتِ شابٍّ في مقتبل العمر من « أولوباد » يُسمى « حسن أولوبادلي » يرتفع ويقول : « وهل جئنا إلى هنا إلا لنهلك في سبيل الله عز وجل ؟! يا إخوتي ؛ كيف نخاف من زيت الكافرين المغلي إذا كنا مجاهدين حقًّا ؟! وهل تركنا قريتنا ، وأهلنا ، وأحبابنا إلا من أجل لقاء ربنا عز وجل شهداء في سبيله ؟! » .

وأقبل الجند يبايعون حسنًا على أن يكونوا أول من يجيب نداء قائدهم المجاهد في الغد ، وتواعدوا أن يكون هدفهم الثغرة التي أحدثتها مدافع الإسلام قريبًا من بابٍ في الجهة الشمالية للقسطنطينية . ولما اشتد القتال ، واستمر الكرّ والفر ، وقوافل الشهداء تزداد لحظة بعد لحظة ، في تلك الأثناء ، كان المجاهد حسن ، وثلاثون من أبناء قريته « أولوباد » يتقدمون بخفةٍ وحذر نحو الثغرة التي حددوها هدفًا لهم في ليلتهم السابقة ، وتمكن حسن وعددٌ من إخوانه المجاهدين من النجاة من السهام المنهمرة من السماء ، حتى إذا بلغوا الثغرة اندفعوا إلى داخل المدينة مكبرين مهلِّلين ، فتلقفتهم مئات السيوف والرماح ، وانهمرت على أجسادهم مئات الأسهم ، واندلقت فوق رؤوسهم قدور الزيت المغلي ، ولكن حسن وإخوانه لم يَأْبَهُوا لكلِّ هذا العناء ، فقاتلوا قتالًا لا يقدر عليه إلا رجالٌ صنعهم الإسلام ، وتمكنوا بعونِ الله وقوته من الوصول إلى أحد أبواب القسطنطينية ففتحوه . وبينما كان جند الإسلام يندفعون إلى داخل القسطنطينية ويتواثبون إلى

أعالي سورها يزيلون رايات الكفر البِيزنْطِيَّة من فوقها ، ويضعون مكانها الرايات الإسلامية ، كان حسن أولوبادلي وإخوانه يُستشهدون واحدًا إثْر واحدٍ عن بكرة أبيهم ، وَصَدى تكبيراتهم لا يفتأ يزلزل الأرض من تحت أقدام أعداء الإسلام .

وسجل التاريخ في صفحاته البيضاء ، بمداد من نور أن حسن أولوبادلي ، كان أول مسلم وطئت قدماه أرض القسطنطينية .

فبوركت يا حسن ، وبوركت روح كل شهيد جعل من جسده جِسْرًا يعبر من فوقِهِ إخوانه المجاهدون إلى القسطنطينية ليرفعوا من فوق أسوارها راية الإسلام الخالدة »[1].

الشيخ سعيد ملّا الكردي :

« يا جنرال سوف نصفّي حسابنا يوم الحساب الأخير »

« كجبلٍ شامخٍ من جبال الأناضول ، قلعة الإسلام في تركيا ، يبرز اسم الشيخ المجاهد سعيد ملا الكردي – شيخ أكبر القبائل الكرديَّة – الذي تصدى لمؤامرات الرِّدَّة التي قادها العلماني أتاتورك .

أسَّس في عام ١٩١٩ م حزبًا أطلق عليه « حزب انبعاث وحدة الإسلام » ليقف أمام محاولات التغريب ، وشتّت أتاتورك أعضاءه ، وحين أعلن أتاتورك إلغاء الخلافة في ١٩٢٤ م ثار ضده الشيخ سعيد ملا سنة ١٩٢٥ ، واندفعت معه الجماهير المسلمة تحت راياته الخضراء التي كُتب عليها : « لا إلـٰه إلا الله ، محمد رسول الله » وكوَّن الشيخ جيشًا من الأكراد ، وتمكّن من السيطرة على مناطق شَاسِعَةٍ ، حتى وصل إلى « ديار بكر »

---

(١) مواقف بطولة من صنع الإسلام . لزياد أبو غنيمة صـ ٢١ – ٢٥ – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

فحاصرها ، وكاد يسيطر عليها ، لولا أن أتاتورك سارع فقذف بكل ما لديه من قوات زاد تعدادها عن ثمانية فرق عسكرية كاملة التجهيز ، واستعملت في تقدُّمها أبشع أساليب البطش والتنكيل ، واضطر الشيخ سعيد ملا - أمام هذه القوة الغاشمة - إلى التراجع إلى الجبال الوعرة ؛ ليبدأ من هناك شن حرب عصابات ضد قوات أتاتورك ، فأحكم أتاتورك الحصار حول الشيخ ، ومنع وصول أية إمدادات أو مؤن إليه .

وفي ميدان ديار بكر الرئيسي ، انعقدت محكمة الطغاة ؛ لمحاكمة الشيخ سعيد ملّا وإخوانه ، فحكمت بإعدامه مع عددٍ كبيرٍ من إخوانه ، وَأَمَرَ أتاتورك بأن تبقى أجسادهم الطاهرة معلقة على أبواب مسجد ديار بكر الكبير .

وكان الشيخ سعيد ملّا قد أظهر أثناء المحاكمة رباطة جأشٍ لا يقدر عليها إلَّا الأبطال ، ولقد ظلَّ - رحمه الله - محتفظًا برباطة جأشه حتى آخر لحظةٍ من حياته ، وتوجه إلى رئيس المحكمة العسكرية التي حكمت بإعدامه قائلًا : « سوف نُصَفِّي حسابنا يوم الحساب الأخير » ، ثم توجَّه إلى قائد الحملة العسكرية التي هزمته قائلًا : **يا أمير اللواء ، تعالَ ودِّع غريمك** ، ثم تقدم من منصة الإعدام ، وأمسك حبل المشنقة بيديه ، وساعد الجلّادَ في وضعه حول عنقه ، وأجمعت المراجع التركية ، التي وصفت تنفيذ حكم الإعدام بالشيخ الملّا ، أن صوته شقَّ عنان السماء مردِّدًا بشموخٍ : « لا إلٰه إلا الله محمدٌ رسول الله » . وتدلَّى الجسد الطاهر على أبواب مسجد ديار بكر شاهد صدقٍ على أن جماهير الشعب التركي المسلم قدّمت القوافل المتتالية من الشهداء ؛ دفاعًا عن دينها ووفاءً لعهدها مع الله »[1].

---

(١) مواقف بطولة من صنع الإسلام صـ ٤٤ - ٤٨ .

الشيخ بديع الزَّمَان ، سعيد النورسي :

كوَّن - رحمه الله - سنة ١٩٠٨ جمعيَّة إسلامية ، تسمى « الاتحاد المحمدي » ، وانتشرت فروعها في جميع أنحاء تركيا ، وأصبحت في فترةٍ وجيزةٍ شوكة في حلوق زعماء الاتحاد والترقي ، الماسونيين ، الذين أدركوا أن هذه الجمعيَّة ستكون السَّدّ المنيع ، الذي ستتكسر عليه كلّ سهام تآمرهم ومكائدهم ضد الإسلام في تركيا .

واندفعت جماهير الشعب المسلم في « إسلام بول » في يوم ٣١ آذار سنة ١٩٠٨ م ، يتقدمها العلماء ، وطلّاب الشريعة ، وأعداد غفيرة من العسكريين ، تعلن غضبها ضد تسلط جمعية الاتحاد والترقِّي ، وترتفع هتافاتها تشقُّ عنان السماء :« الشريعة في خطر ، نريد حكم الشريعة » .

ولم تتوقف هذه الانتفاضة إلا بعد أن تخلَّتْ جمعيَّة الاتحاد والترقي عن الحكم مرغمةً ، وتسلل زعماؤها إلى مدينة « سلانيك » ، فرارًا من غضب الجماهير المسلمة حتى شكلوا جيشًا من صنائعهم بقيادة اللواء محمود شوكت باشا ، يعاونه نفرٌ من الضباط ، كان أتاتورك من أبرزهم .

وتسلَّل جيش الخلاص نحو « إسلام بول » ، وحين دخل جيش الخلاص إلى إسلام بول ، خرجت شراذم عصابات الاتحاد والترقي من جحورها لتنضمَّ إلى جيش الخلاص،وتمكن أعداء الله من قمع المقاومة الإسلامية بكلِّ عنفٍ وقسوةٍ ، وعزلوا السلطان عبد الحميد الثاني ، وصبُّوا جَامَّ غضبهم ضد الشيخ النورسي وإخوانه ، وكان أول حصاد محكمة خورشيد باشا الماسوني الحكم بإعدام خمسين مجاهدًا ، وما هي إلا دقائق إلا وكانت أجسادهم الطاهرة تتدلَّى من فوق أعواد المشانق .

وجيءَ بالشيخ المجاهد سعيد النورسي ليمثل أمام خورشيد باشا ، فسأله

خورشيد - وهو ينظر إلى الأجساد التي تتأرجح في الهواء - : وهل أنت أيضًا تدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية يا شيخ سعيد ؟ فأجابه - وهو ينظر إلى أجساد إخوانه الذين أكرمهم الله بالشهادة -: « اعلم يا خورشيد أنه لو كان لي ألف روحٍ لما ترددت أن أجعلها كلها فداءً لحقيقةٍ واحدةٍ من حقائق الإسلام ، واسمعْ منِّي جيدًا يا خورشيد ، إنني لا أَخْشى حكمكم بإعدامي ، فقد هيَّأْتُ نفسي بشوقٍ عظيمٍ للذهاب إلى الآخرة ، لألحق بإخواني الذين سبقوني إلى أعواد المشانق لينالوا الشهادة في سبيل الله » .

واكتفى الطغاة بسجنه ، ومضى - رحمه الله - في قيادة مسيرة الحركة الإسلامية الممتحنة في تلك الأيام العصيبة .

أرسل إلى أعضاء مجلس النواب في تركيا وكانوا يُسمَّوْن « المبعوثون » : « أيها المبعوثون .. إنكم مبعوثون ليومٍ عظيمٍ » ، وكان من بركة هذا البيان أن أعلن ستون نائبًا ممن كانوا قد خُدعوا بأتاتورك توبتهم واستقاموا على أداء الصلاة .

وناظر النورسي أتاتورك أمام مجلس النواب ، وقال أتاتورك للشيخ غاضبًا : « لقد دعوتك إلى هنا لأستفيد من آرائك المهمة ، ولكنك بدلًا من ذلك لم تتحدث إلا عن الصلاة » ، فجاءه جواب الشيخ النورسي حممًا تلفح وجه الزنديق : « اعلم يا باشا ، أن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإسلام إنما هي الصلاة ، وأن الذي لا يصلي خائن ، وحكم الخائن مرفوض »[1].
هكذا الرجال ، وإلا فالقبر أولى .

وبعــد :

فهذه بطولات تحتاج إلى ....

(١) مواقف بطولة من صنع الإسلام صـ ٤٩ - ٥٦ .

مجلدات[١]... وسيذكر التاريخ أن الإسلام أتى على قوم لا شأن لهم في الأرض ولا ذكر لهم في السماء، فغيّرهم وصنع بهم تاريخًا وأمجادًا وأيامًا لا تُنسى .. وإن نسي التاريخ فلن ينسى أنه يومًا من الأيام نودي في دمشق على الأسرى بعد حطين « وبيع فيها الأسير بدينار، وباع بعض الفقراء أسيرًا بنعلٍ، فقيل له في ذلك، فقال: أردت هوانهم، وحكى بعضهم أنه لقي بـ « حوران » شخصًا واحدًا، ومعه طنب خيمة وفيه نيف وثلاثون أسيرًا يجرّهم وحده؛ للخذلان الذي وقع عليهم »[٢].. هذه أيامهم أيام تمسّكوا بدينهم .. فكن على طريق القوم فإن أمير القوم يرعى القافلة .. علك تسمع صوت حاديهم:

مَلَكْنَا هٰذِهِ الدنْيا القُرُونَا ... وَأَخْضَعَهَا جدودٌ خالدُونَا
وسَطَّرْنَا صَحَائِفَ مِنْ ضِياءٍ ... فما نَسِيَ الزَّمَانُ ولا نَسِينَا
وكنَّا حِينَ يأخذنا وليٌّ ... بِطُغْيَانٍ نَدُوسُ لَهُ الجَبِينَا
تَفِيضُ قُلوبُنَا بالهَدْيِ بَأْسًا ... فَمَا نُغْضِي عَنِ الظُّلْمِ الجفُونَا
بَنَيْنَا حُقْبَةً في الأَرْضِ مُلْكًا ... يُدعِّمُهُ شَبابٌ طَامِحُونَا
شَبَابٌ ذَلَّلوا سُبُلَ المَعَالِي ... وَمَا عَرَفوا سِوَى الإِسْلَامِ دِينَا
تَعَهَّدَهُمْ فَأَنْبَتَهُمْ نَبَاتًا ... كَرِيمًا طَابَ في الدُّنْيَا غُصُونَا
إِذَا شَهِدُوا الوَغَى كَانُوْا كُمَاةً ... يَدُكُّونَ المَعَاقِلَ والحُصُونَا
شَبَابٌ لَمْ تحَطِّمْهُ اللَّيَالِي ... وَلَم يُسْلِمْ إلى الخَصْمِ العَرِينَا
وَإِنْ جَنَّ المَسَاءُ فَلَا تَرَاهُمْ ... مِنَ الإِشْفَاقِ إِلَّا سَاجِدِينَا

---

(١) تحت الطبع كتابي « فرسان النهار » في أكثر من مجلد،فيه - والحمد لله - جمع وافر عن أبطال المسلمين.

(٢) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ٢ / ٩٣٥.

كَذَلِكَ أَخْـرَجَ الإِسْلامُ قَـوْمِي ... شَـبَابًا مُخْلِصًا حُـرًّا أَمِينَـا
وَعَلَّمَـهُ الكَرَامَـةَ كَيْفَ تُبْنَى ... فَـيَأْبَى أَنْ يُقَـيَّدَ أَوْ يَهُـونَا
وَمَا فَتِئَ الزَّمَـانُ يَدُورُ حَتَّى ... مَضَى بِالْمَجْدِ قَـوْمٌ آخَـرُونَا
وَأَصْبَحَ لَا يُرَى فِي الرَّكْبِ قَوْمِي ... وَقَـدْ عَاشُـوا أَئِمَّتَـهُ سِنِينَا
وَآلَمَـنِي وَآلَمَ كُـلَّ حُـرٍّ ... سُـؤَالُ الدَّهْـرِ أَيْنَ المُسْلمونَا
ترى هَلْ يَرْجِع الماضي فإني ... أَذُوبُ لِذَلِكَ الماضي حَنِينَا
دَعُـوني مِـن أمـانٍ كَاذِبَـاتٍ ... فَلَـمْ أَجِدِ المُنَى إِلَّا ظُنُونَـا
وَهَاتُوا لي مِـن الإيمـانِ نورًا ... وقَـوُّوا بَيْنَ جَنَـبيَّ اليَقِـينَا
أَمُـدُّ يَـدِي فَأَنْـتَزِعُ الرَّواسي ... وأَبْني المَجْدَ مؤْتلفًا مَكِينَـا[1]

وبعد .. فما أشدَّ شوق البلاد والعباد إلى فارس الأُمَّة المنتظر ، شبيه خالد ، وابن زنكي ، وصلاح الدين ، ليَضْمِدَ جراح الأُمَّة !. وفي ثنايا الشَّوْق تمرُّ أطياف مَنْ سبقوه مِنَ الأبطال الذين غيَّروا وجه التاريخ .

زَمَانُكَ بُسْتَانٌ وَعَصْرُكَ أَخْضَرُ ... وَذِكْرَاكَ عُصْفورٌ من القلبِ يَنْقُرُ
دَخَلْتَ على تَاريخنَا ذاتَ لَيْلَةٍ ... فَرَائِحَةُ التَّاريخِ مِسْكٌ وَعَنْبَرُ
وكنتَ فكانت في الحُقُولِ سَنَابِلٌ ... وكانت عَصَافِيرٌ وَكَانَ صنوبَرُ
لمسْتَ أمانِينَا فصارَتْ جَداوِلًا ... وأمطَرتَنَا حُبًّا ولا زلت تمطرُ
تأَخَّرْتَ عن نَقْع الوَغَى يا حبيبنا ... وما كُنْتَ عن نَقْعِ الوَغَى تتأخرُ
سَهِدْنَا وفكَّرْنا وشاختْ دُمُوعُنَا ... وشابَتْ لَيَالِينَا وما كنتَ تحْضرُ
تُعـاوِدُني ذِكْـرَاكَ كلَّ عشيَّةٍ ... ويُورق فِكْري حين فيك أُفَكِّرُ
وتأْبَى جراحي أَنْ تَضُمَّ شِفَاهَهَا ... كأَنَّ جِـرَاحَ الحبِّ لا تتخَثَّرُ

---

(١) القاصيدة لهاشم الرفاعي مع تقديم وتبديل لبعض مواضع الأبيات . انظروا ديوان الرفاعي .

تأخَّرْتَ يا أغْلى الرِّجَالِ فليلُنا ... طويلٌ وأضواءُ القناديل تسهرُ
تأخَّرْتَ فالساعات تأكُلُ نَفْسَهَا ... وأيامُنَا في بَعْضِهَا تتعثَّرُ
أَتسْأَلُ عَنْ أَعْمَارِنَا أَنْتَ عمرنا ... وأنت لنا الآمالُ أنت المحرِّرُ
وأَنْتَ أبو الغَمَرَاتِ أنت وَقُودُهَا ... وأنتَ انْبِعَاثُ الدِّينِ أنت التغيُّرُ
تأخَّرت عنَّا فالجِيادُ حزينة ... وسيفُكَ من أَشْوَاقِهِ كاد يُنحرُ
حصانك في سيناء يَشْرَبُ دَمْعَه ... ويا لعَذَابِ الخيلِ إذْ تتذكَّرُ
وراياتُكَ الخَضْراء تَمْضُغُ دَرْبَهَا ... وَعَلَيْكَ آمال الثُّغُورِ تقصرُ
نساءُ فلَسْطينَ تكحَّلْنَ بالأَسَى ... وفي بيتِ لَحْمٍ قاصِراتٌ وقُصَّرُ
وَلَيْمُونُ يافا يابسٌ في حقولِهِ ... وهلْ شجرٌ في قبضةِ الظُّلْمِ يُزهِرُ
رَفِيقَ صلاح الدين هَلْ لَكَ عوْدةٌ ... فَإنَّ جيوشَ الرُّوم تَنْهَى وتَأْمُرُ
رِفَاقُكَ في الأَغْوَارِ شَدُّوا سُروجَهُمْ ... وجندُكَ في حِطِّينَ صلُّوا وكبَّروا
تغني بك الدُّنْيَا كأنَّك طَارِقٌ ... على بركاتِ اللهِ يَرْسُو ويُبْحِرُ
تناديك من شوقٍ مآذنُ مكةَ ... وتبكيك بدرٌ يا حبيبي وخَيْبَرُ
ويبكيك صفْصافُ الشَّآمِ وورِدُها ... ويبكيك زهر الغُوطَتَيْنِ وتدْمُرُ
تعالَى إلينا فالمروءَاتُ أطرَقَتْ ... وموطنُ آبائي زُجاجٌ مُكَسَّرُ
هُزِمْنَا وما زلنا شتات قبائلٍ ... تعيش على الحِقْدِ الدَّفينِ وتَزْأَرُ
يُحَاصِرُنَا كالموْتِ بليون كَافِرٍ ... فَفِي الشَّرْقِ هولاكو وفي الغرب قيصرُ
أَيَا فارسًا أشْكو إليهِ مَواجِعِي ... ومثلي له عُذْرٌ ومثلك يَعْذرُ
أنا شَجَرُ الأحْزَانِ أَنْزِفُ دائمًا ... وفي الثلْج والأنوارِ أعطي وأثْمِرُ
وأصرخ يا أرْض المروءَاتِ احْبَلي ... لعلَّ صَلَاحًا ثانيًا سوفَ يظهرُ

* * *

لا تُهيِّءْ كَفَنِي يا عاذلي فأنا لي مَعَ الفَجْرِ مَواثِيق وعهْدُ

لنا الفجْر الآتي ... مثلما كان لنا الماضي الزَّاهر ... فَهَل تعقل الصليبيَّة .

أنا جوادٌ عصيٌّ لا يطوِّعهُ بوحُ العَنَاقِيدِ أو عِطْرُ الهُنَيْهَاتِ
أَتيتُ أَرْكُضُ والصَّحراءُ تَتْبَعُني وأحرفُ الرَمْل تجري بين خطواتي
أتيتُ أَنْتَعِلُ الآفاق ... أمنحها جرحي ... وأبْحَثُ فيها عَنْ بداياتي

* * *

يا أَنْتِ لو تَسْكُبينَ البَذْرَ في كَبدي أَوْ تشْعلين دِمَاءَ البَحْرِ في ذاتي
فَلَنْ تُزيلي بقايا الرَّمْلِ عَن كتفي ولا عبير الخزامى من عَباءاتي
هذِي الشُّقوق التي تَخْتَالُ في قَدَمِي قَصَائِدٌ صَاغَهَا نَبْضُ المَسَافَاتِ
ماذا ترين أمْرِيكا إن في غدنا عُرْسُ اللَّيالي .. وأفْراحُ السَّمٰوَاتِ
وهل عَلِمْتِ بنيرانٍ مُؤَجَّجةٍ ومارِدٍ يحتويه الموسمُ الآتي ...؟

أمَّا الواقع المرّ والوحل الذي نعيشُ فيه وسط الوحل دنيء الهمم..

تراني أُحِبُّكَ
يا وطن الموتِ في نشرةِ التاسعة ؟
كيف أحبّك
لا شيء غير الجفُونِ ...
الشجُونِ ...
الجراحِ ...
لَهْوِ الطَّواويس ؟
لَغْوِ القواميس ؟

أَحْبُولَةِ العنكبوتِ ؟

وتعْويذةِ الانْشراحِ[1]

نعم .. لَهْوُ الطَّواويس : ما يدور في الاسْتِعْرَاضاتِ العسكرية عبر هذه الأمة .

أفي السَّلام أعيار جفاء وغلظة   وفي الحرْبِ أشْباه النِّساءِ العَوارِك

وأمَّا لَغْوُ القَوَامِيسِ : فهو كلام السَّحَرَةِ الَّذين يحوِّلون « الهزيمة » إلى « نصر » والرضوخ إلى سلام الشجْعان .

وأما أحبولة العنكبوت : فهو كيدنا الضعيف .

وأما تعويذة الانشراح : فهي الأغنيَّة الشبابية للفسَّاقِ والمارقين ، التي تعيش عليها الأمة وتصحو .

أمَّا الغد ..

لَكَ الآن أَنْ تعبر الموت نحوك ..

تعتَنِقَ الحُلْمَ ..

تفتح للصوت طَاقَاته المطْلقةِ

على قمة الصبُحِ تبصره يتمادَى ..

اغترفْ منه فاتحة الفَجْر ..

كَيْ تتوضأ مغتسلًا مِنْ هُمُومِكَ ..

قِف الآن محتفلًا بقدومِكَ ..

لك الشرْق شمسٌ وَفَجْرٌ ووعدٌ

---

(١) أين اتجاه الشجر – للشاعرة ثريا إبراهيم العريض .

لك الغرب أرجوحة للمساءِ الرقيقِ
لك الذاريات شمالًا جنوبًا ..
وكلُّ التماعِ الأهلّة ..
وكلُّ امتداد الطريق
فاترك الآن مَوْتَك واستقبل الذاريات
ارْتجلْ موسِم الأَجْنِحَةِ »[1].

لَنا الفَجْرُ الآتي :

في سبيل اللهِ أَمْضي
وَعَلى هَدْي كتابِ اللهِ قد أحْكمتُ نَبْضِي
أرتدي الفَجْرَ وأَمْضي في سبيلي
.. فإذا الشمسُ دَليلي
وإذا الأنجمُ في قلبي .. وأعْراسُ النخيلِ
وسُطورًا من رحيقِ الذكرِ
.. أَتْلُوها .. فيسْتيقظُ سَيْف الحقِ
.. أتْلُوها .. فيصْحو الشرقُ
.. أتْلُوها فتجْري للينابيعِ طُيورِي
وَعَلَى هَدْيِ كتابي
.. أكتب الفصل الذي يأْتي
.. وأخطو فَوْقَ حدِّ الشَمْسِ استنطق عُرى البرقِ
كي أنقذ آلافَ الرِّقَابِ
قَدْ تقولون بِأنَّ السَّيف في كَفِّي أَقَالَتْه المعَارِكْ

(١) أين اتجاه الشجر – لثريا إبراهيم العريض . المجلة العربية – العدد ٢٢١ .

.. وبأنَّ الليلَ هَالِكْ
وبأنِّي لم أعُدْ أُتْقِن شدَّ القَوْسِ .. تغريد النبالْ
والفتوحاتُ التي أدْمنَهَا العُشَّاقُ في السَّبع الطوالْ
قد تقولون ..
.. « وإفْكًا ما يقول الزَّيف » .. ضَرْبٌ مِنْ خيالْ
قد تقولون محالْ
.. أين يجيءُ السَّيل دَفّاقًا
.. وأن تجري مع السَّيل التِّلالْ
قد تقولون ..
.. ولكنِّي أقولْ
وأنا أَقْرأ فاتحةَ العَصْرِ .. وأشواقَ الحقولْ
إنَّ في الدَّرْبِ الخيولْ
.. وعلى وَقْع التِّلاواتِ ستخضرُّ الفصولْ
ولنا اليومُ الجميلْ
.. ولنا التكْبيرةُ الأولى
لنا الأُفْقُ
لنا الرَّاياتُ والصَّوتُ البديلْ
ولنا السَّيف الذي خبَّأه البرقُ إلى اليوم الثَّقيلْ

أمَّا مَنْ سفُلتْ هِمَّته ..عابدو التراب .. أصْحابُ القوميات :

هـذا يُشَـرِّقُ إن الشَّـرْقَ كَعْبتُه ... وذا يُغَـرِّبُ إلَّا أَنـه الذَّنَـبُ
الزَّارُ والعَـارُ والأَوْتَـارُ تعـرِفُهُمْ ... والعَزْفُ والقَصْفُ والإدْبَارُ والهربُ
مَهْمَا دَجَا الليلُ فالتاريخُ أنبأني ... أن النهـارَ بأَحْشـاءِ الدُّجَى يَثبُ
مُستَمسـكٌ بكتابِ اللهِ مُعتَصمٌ ... والرِّيحُ حَوْلي والأوثانُ والنُّصُبُ

إني لأَسْمَعُ وَقْعَ الخيل في أُذُني ... وأُبصرُ الزمَنَ المَوْعـودَ يقتربُ
وَفِتْيَة في رياض الذكرِ مَرْتَعُهم ... للهِ مَا جَمَعُوا للهِ مَا وَهَبُوا
إذَا نظرتُ إليهمْ خِلْتُ أَنَّهُمُ ... جاءوا من الخلدِ أوْ للخلْدِ قد رَكِبُوا
هُمُ الَّذين على سِيمَائِهِمْ رَكَضَتْ ... أغْلى النجوم وَشَعَّ الموسمُ الخَصِبُ
تأبى الأَعِنَّة إلا في أَكُفِّهِمُ ... والخيلُ إلَّا إذا ما فَوْقها رَكِبُوا
جاءوا على قَدَرٍ واللهُ يحرسهُم ... وشِرْعةُ اللهِ نعْمَ الغاي والنَسَبُ[1]

* * *

(١) إنها الصحوة إنها الصحوة . ديوان محمود مفلح – دار الوفاء للطباعة والنشر .